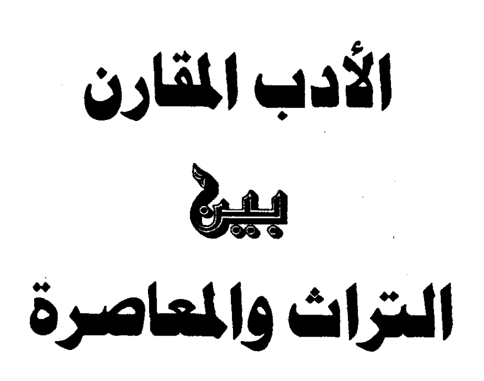


تأليف

الأستاذ الدكتور

صابر عبدالدايم

وكيل كلية اللغة العربية بالزقازيق

وعضو مجلس إدارة اتحاد الكتاب

الطبعة الثانية

مزيدة ومنقحة

١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م



مقدمـــة

الحمد لله الذى أنزل القرآن بلسان عربى مبين ، وقال فى محكم كتابه .

﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ والأرض وَاخْتِلافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ ﴾

والصلاة والسلام على من أوتى جوامع الكلم .

وبعد

فإن هذه الدراسات فى "الأدب المقارن" تعد مدخلا لدراسة هــذا الأدب ، ومحاولة للتعرف على حقيقة مصطلح المقارنة ، وقد حرصت على عــدم التقيد بما شاع فى أوساط المشتغلين بهذا الحقل الأدبى وبخاصة ، الغربيين منهم ، ونقبت عن جذور هذا المصطلح فى تراثنا القديم ... ممثلا فى جهود علمائنا ومفكرينا القدامى فى عصر ازدهار الحضارة الإسلامية .

* وهذه الدراسة تفصح عن التوجه العلمى وإلى اظهار ما خفــى مــن كنوز الثقافة العربية والإسلاميةفى المجال الأدبى وهىتسير على النحــو التالى.

الفصل الأول : الأدب المقارن " أضواء على المدلول والنشأة "

(أ) المدلول " مصطلحات ومناقشات " .

(ب) النشأة " دعاوى غربية وجذور عربية إسلامية " .



الفصل الثانى : "ظاهرة التلاقى بين الآداب : عواملها وثمارها "

وتوضح هذه الدراسة مظاهر التأثير المتعددة ، وهذه المظاهر ما هى إلا إشارة البدء فى معالجة قضايا أدبية كثيرة تثرى حقــل الأدب المقــارن ، وحرصت الدراسة على استنباط ثمرة العناق الحميم بين الآداب ويتمثل ذلك فى العوامل العامة ، والظواهر الفنية التى تقرب ما بين الآداب ومن هــذه العوامل والظواهر.

(أ) التطلع إلى ارتياد الآفاق الأدبية الجديدة .

(ب)الشعور بالاغتراب الزمانى والمكانى .

(جـ) الوقوف على أسرار اللغة والكشف عن اتجاهاتها وخصائصها.

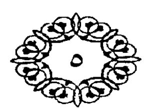
(د) الترجمة.

(هـ) المصادر الأدبية والنقدية الحديثة .

الفصل الثالث : تراثنا الأدبى يؤثر فى الآداب الأوروبية .

وهذه الدراسة ألقت الضوء على تأثر الشعر الأسبانى بالشعر الأندلسـى وبخاصة " فن الموشحات والزجل " ، وألقت الضوء على الصلات بين الشعر الايطالى فى العصر الوسيط وبين أصــوله العربيــة فــى ظــل الحضارة الاسلامية.

- والنزعة المثالية والإنسانية فى الحب فى عصر النهضة، وبخاصــة عند بترارك وبوكاشيو كانت مظهرا من مظاهر تأثير الفلسفة العربية فى الحب ، حيث كانت تستقى معانيها من فيض الغزل العذرى فى الأدب العربى.



- وأقامت الدراسة الأدلة على أن تأثر "دانتى" بتراثنا الأدبى الإسلامى لا مجال لأدنى شك فيه ولا يمكن تفسيره بالصدفة أو توارد الخواطر.
- ونوهت الدراسة بتأثير القصص العربية المترجمة إلى اللاتينية فى نشأة الأدب القصصى فى أوروبا ، وألقت الضوء على قضية "أثر المقامات العربية فى نهضة القصة العالمية " وكذلك قصة " حى بن يقظان" .

واستأنست هذه الدراسة فى الجزء الأخير منها بالآراء السديدة ، والحقائق الفكرية التى تجلت فى كتاب الأستاذ العقاد "الثقافة العربية أسبق من ثقافة اليونان والعبريين " فسبق الثقافة العربية حقيقة تاريخية ، والإيمان بها لا يحتاج — كما يقول العقاد — إلى أكثر من الإطلاع على الأبجدية اليونانية ، وعلى السفرين الأولين من التوراة التى فى أيدى الناس إلى اليوم ، وهما سفر التكوين وسفر الخروج ، فالأبجدية اليونانية عربية بحروفها وبمعانى تلك الحروف ، وأشكالها منسوبة عندهم إلى قدموسى الفينيقى ، وهو فى كتاب مؤرخهم الأكبر "هيرودوت" أول من علمهم الصناعات .

- وفى الفصل الرابع .. حرصت على تقديم الشهادات الإبداعية التى تعلن عن أصالة ثقافتنا .. وعمق تأثيرها فى الثقافة والآداب العالمية .. وهذا الفصل يعد وثيق الصلة بالفصل الثالث .... حيث نوهت بقضية تأثير تراثنا فى الآداب الأوروبية .. وفى هذا الفصل نفصل القول فى هذا التأثير من خلال تقديم نموذج لأكبر شعراء ألمانيا وهو "جوته" .. وانطلقت فى تحليل المادة الإبداعية .. وتوثيق النصوص مستشهدا بكتاب "جوته والعالم العربى " وهو كتاب مترجم ..

والأقوال فيه موضوعية ومنصفة " وليست ادعائيــة أو تبريريــة ، وإنما تؤكد عالمية الثقافة الإسلامية .. وأصالتها .

- ورصدت فى الفصل الخامس .. أصداء الثقافة العربية والإســلامية فى الأدب الروسى ؛ وهذه الأصداء سبقتها إيقاعات حقيقية تركــت بصماتها فى بلاد آسيا الوسطى . . وفى منطقة القوقاز ..وبلاد مــا وراء النهر .. وكانت فى الزمن القديم امتــدادا لــبلاد فــارس .. وانتشرت فى هذه المناطق اللغة العربية .. ونبغ فيها علماء كبــار كان لهم أثر عميق فى الفكر الإنسانى فى مسيرته الطويلة ، ولم تؤد هذه المرحلة . ولكن ظلت أصداؤها تنتقل من جيل إلى جيل .. حتى تجسدت هذه الأصداء التأثرية فى نتاج كبار الأدباء الــروس وفــى مقدمتهم " الكسندر بوشكين" ، و "ليرمونتــوف" ، وشــيخ الأدبــاء الروس "تولستوى" و "ايفان بونين" ، و " كراتشكوفسكى" .

- وتؤكد النصوص الإبداعية التى أبدعها هؤلاء الأدباء أنهم اطلعــوا على مصادر الفكر الإســلامى .. ومصــادر الإبــداع العربــى .. واستلهموا كثيرا من معالم ومشاهد ومواقف هذه الثقافــة .. وفــى مقدمة هذه المصادر " القرآن الكريم " و"السيرة النبويــة " وكــذلك "عيون القصائد فى الشعر العربى " والشخصــيات التــى أدت دورا رائدا فى مسيرة الحضارة العربية والإسلامية ، وكتاب " ألف ليلــة وليلة " له دور فى هذه القضية .

- وفى الفصل السادس رصدت قضية لها دورها فــى ميــدان الأدب المقارن فى " المجال التطبيقى " وهى الكشف عن المؤثرات الأدبية

الأجنبية فى أدب المهجر وهذا الأدب يمثل جسرا ابداعيا تمازج فيه المزاج الشرقى مع انطلاقة الإبداع .. وتهويماته عند " الغربيين" .

- والجديد المثير أن أدب المهجر لم يتأثر فقط بالآداب الغربية ولكنه أثر كذلك فى بعض أدباء الغرب ، ومنهم الشاعر الفرنسى "فيكتور هوجو" حيث تأثر بفن الموشحات الأندلسية ونسج على منوالها بالفرنسية ،وديوانه "المشرقيات" دليل ساطع على ذلك ، وقصائده "مصارع الثيران ، والعصفور ، والخليفة " شاهد واقعى ناطق بهذا التأثر .

- والفصل السابع يرصد أصداء المذاهب الأدبية الأوروبية فى الأدب العربى الحديث .

- وتجسد هذه الأصداء الحلقة الجديدة فى حلقات التأثر والتأثير المتبادل بيننا وبين الآداب الأجنبية .. فالأدب العربى فى القرن العشرين .. بدأ يستعيد توازنه .. بعد عقود طويلة من " الجمود والترنح " .. وعدم التجديد ، وضعف الصلة بينه وبين التراث العربى والإسلامى الرحيب .. ، وكذلك بينه وبين الآداب الأجنبية .

- والتأثر الأكبر كان فى ميدان القصة والمسرح والرواية ، وفى مجال الرؤى والتجديدات فى الأشكال الشعرية ، والقوالب الحديثة .

- وبدءا من مدرسة الديوان ، ومدرسة أبولو ، ومدرسة المهجر ، ثم التيار الجديد فى الشعر .. كان التأثر جارفا ، وبالغ كثير من الأدباء والنقاد فى تأثرهم حتى كادوا يفقدون أصالتهم وهويتهم ، .. وظن صغار الأدباء .. أن الإبداع فى ذروته وتوهجه لا يكون إلا باحتذاء

أثر الغرب . والذوبان فى عوالمهم ، وهذا وهم وانهزام لأن كل أمة لها خصائصها ، وفنونها ، وهمومها ، وواقعها ، وطرقها التعبيرية ووسائلها الفنية ورؤاها الإبداعية .

وبعد

* فإن هذه الحقائق التى حرصت على تجليتها فى هذه الدراسات تحاول تأصيل القيم الفكرية والإبداعية التى أبدعتها أمتنا العربية فى أوج حضارتها ، وآمل أن تكون هذه الحقائق إشارات ضوئية تدفع بنا إلى ارتياد طريــق الأصالة والمعاصرة معلنين عن استقلالنا الفكرى والأدبى ، وآمل مــن الله التوفيق والسداد.

د/ صابر عبد الدايم

الطبعة الثانية .

الزقازيق .

الإثنين " يوم وقفة عرفات " .

٩ من ذى الحجة سنة ١٤٢٣هـ .

١٠ من فبراير سنة ٢٠٠٣ م .



الفصل الأول

"الأدب المقارن"

أضواء على المدلول والنشأة

أولا :

المدلول : " مصطلحات ومناقشات " .

إن الباحث عن مدلول الأدب المقارن لا يستطيع أن يحدد هذا المدلول منفصلا عن فهمه لمدلول التاريخ الأدبى ومدلول النقد الأدبى . لأن الأدب المقارن مرتبط بالوعى الكامل لمفهوم النوعين السابقين ، وهو لاحق بهما فى أداء وظيفته ، فالقارئ الجاد لا يقرأ للتسلية أو اضاعة الوقت ، وإنما يقرأ قراءة متخصصة ، وبعد قراءته يكون فكرة عن الكتاب المقروء أيا كان نوعه وبخاصة اذا كان فى الأدب الإبداعى . والشعر والقصة والرواية والمسرحية ويحاول تقويم ما قرأ ، ويسأل نفسه أسئلة متعددة .

ما المضمون الذى حاول الكاتب أن يوصله للقارئ؟ وما الشكل الذى صب تجربته فيه ؟ وما الوسائل الفنية التى استعان بها فى تشكيل هذه التجربة ؟ وإلى مدى حالفه التوفيق ؟.

وبعد كل هذه التساؤلات السابقة يستطيع القارئ الجاد أن يحكم على العمل الذى استهواه فجد فى الكشف عن خباياه .

والحكم على العمل الأدبى سواء كان هذا الحكم جدليا أو فلسفيا أو تأثريا أو ذاتيا هو أولى خطوات النقد الأدبى فهو المرحلة الأولى فى استكشاف النص الأدبى .

- ويجد القارئ نفسه مضطرا إلى التعرف على شخصية الأديب ، والبحث عن تاريخه وعن ثقافته ، وعن المنابع التى استمد منها هذه الثقافة ، وعن عوامل النبوغ التى شكلت موهبته ، وهذه التساؤلات تقود الإنسان إلى دراسة التاريخ الأدبى للأعمال التى قرأها فى اطار العصر الذى نشأت فيه .

- وبعد ذلك يجد القارئ نفسه تواقا إلى المعرفة والموازنة بين الأعمال الأدبية ثم الاطلاع على الأعمال الأجنبية عن طريق الترجمات أو قراءتها بلغاتها ان كان يعرف لغة أجنبية أو أكثر ، وطالب العلم لا يشبع ، ومهما قرأ فسوف يظل فى حاجة إلى الري وكلما كثرت قراءته كلما شعر بالحاجة إلى المزيد ، وصدق رسولنا عليه السلام .

" اثنان لا يشبعان : طالب العلم وطالب المال " .

وبعد الإطلاع على الآداب الأجنبية يحاول أن يتعرف على تاريخ هذه الآداب ويستقصى نشأة أنواعها الأدبية ، ويقارن بين هذه الآداب ، ويرصد عوامل التأثر والتأثير فيما بينها ، وهذا هو ميدان الأدب المقارن .

فدراسته لا تنفصل عن دراسة النقد الأدبى والتاريخ الأدبى . إنه يأتى فى المرحلة الثالثة بعد الفهم الواعى لوظيفة النقد الأدبى ، والرصد الجاد لمسيرة الأدب التاريخية والتعرف على أصوله ومصادره .

فالأدب المقارن هو :

" دراسة علائق الوقائع التى وجدت بين منتجات أعاظم المؤلفين فى كل دولة ، والمنابع التى انتهلوا منها أو استوحوها أو تأثروا بها .

- وهو يعنى أيضا بتلك التغييرات العجيبة أو التشويهات الأسيفة التـــى يحدثها الأفراد أو الشعوب فى منتجات الأجانب خضوعا لظروف مختلفـــة وعوامل متباينة كالجهل والأوهام والأخيلة الخصبة ، والقصص المتداولة ، والمأثورات الموروثة " (١)

وقد عرف " بندتوكروشيه" الأدب المقارن بأنه " اسم جديد لنـــوع مـــن الخبرة هى موضع التبجيل على مر العصور " (٢) وكلمة مقارن لا يقصـــد بها معناها اللغوى لأن الأدب المقارن " يدرس مواطن التلاقى بـــين الآداب فى لغاتها المختلفة ، وصلاتها الكثيرة المعقدة ، فى حاضرها أو فى ماضيها وما لهذه الصلات التاريخية من تأثير أو تأثر " (٣) .

- ويقول الناقد الفرنسى "فيلمان" .

فى محاضراته فى السربون عام ١٨٢٨ بأنه " السرقات الأدبيـــة التـــى تتناولها كل الدول "

ويعرفه " فان تيجم " قائلا : المقارنة تعنى التقريب بين وقـــائع مختلفـــة ومتباعدة فى غالب الأحيان وذلك رجاء استخلاص القوانين العامـــة التـــى تسيطر عليها ، والأدب المقارن الحقيقى يحاول ، ككل علم تـــاريخى ، أن يشمل أكبر عدد ممكن من الوقائع المختلفة الأصل حتى يزداد فهمه وتعليله لكل وحدة منها على حدة فهو يوسع أسس المعرفة كما يجد أسباب أكبر عدد ممكن من الوقائع (٤) .

---

(١) د/ محمد غلاب : مقدمة كتاب : الأدب المقارن . فيرنان جويار ص (و).
(٢) د/ محمد غنيمى هلال : الأدب المقارن ص٣ .
(٣) السابق ص ١٥ .
(٤) فان تيجم : الأدب المقارن ص ٢٠ .

ويقول بول فاليرى " لا يوجد شئ أكثر ابتكارا ولا أشد شخصية من أن يتغذى الإنسان من الآخرين ، ولكن ينبغى هضم الغذاء ، فالحق أن الأسد مكون من كباش مهضومة " (١) .

• وحين نتأمل هذه التعريفات للأدب المقارن نجد أنها متقاربة لأنها تهتم بالتلاقى التاريخى بين الأدب أو الأدباء ، ثم دراسة مواطن هذا التلاقى فى لغات الآداب المختلفة .

• وتعريف فيلمان فيه حدة وتهجم ، فليس التأثر سرقة وانما استلهام روح الأدب على الوجه الذى فسره بول فاليرى . وطاغور شاعر الهند الذى قال "فعلينا أن نجاهد كى ننظر فى عمل كل مؤلف بوصفه كلا ، وننظر فى هذا الكل بوصفه جزءا من خلق الإنسان العالمى ، وننظر إلى هذا الروح العالمى فى مظاهره من خلال الأدب العالمى . وهذا هو ما آن لنا الآن أن نفعل " .

• ومصطلح " الأدب المقارن " لم يرض الأوساط الأدبية فى فرنسا وفضلوا أن يقولوا " المقارنة الأدبية " وهو مصطلح استعمله " فيلمين " سنة ١٨٩٢م ، وقد قلد "فيلمين" فى ذلك " كوفييه" الذى استعمل اصطلاح "التشريح المقارن" عام ١٨٠٠م والألمان يقولون "تاريخ الأدب المقارن " .

• ومن أوائل الذين استعملوا مصطلح " الأدب المقارن " عند الانجليز "ماثيو أرنولد" عام ١٨٤٨ م (٢) .

---

(١) مقدمة الأدب المقارن : ف جويار ص (ل) .

(٢) انظر : نظرية الأدب ، وينيه ويليك ، واوستن وارين . ترجمة د / محيى الدين صبحى .

رينيه

• وإذا كانت التعريفات السابقة للأدب المقارن تتلاقى وتتقارب " فـإن بعض المشتغلين بدراسة الأدب يقولون " إن الأدب المقارن يعنى أول مـا يعنى دراسة الأدب الشفهى وبخاصـة موضـوعات القصـص الشـعبى وهجرته، وكيف ومتى دخل حقل الأدب الفنى الذى هو أكثر رقيا منـه ، وذلك أن الأدب المكتوب يتأثر كثيرا بالأدب الشفهى .

• ويؤكد أصحاب هذا الرأى أنه يجب أن نفترض وجود أصل شـعبى لعديد من الأنواع والموضوعات الأدبية ، والشواهد الكثيرة تؤكـد المنشـأ الاجتماعى للأدب الشعبى ، وامتزاج قصص الفروسية وأغانى الشـعراء الجوالين "التروبادور ، والمطربون " فى الفلكلور أمر لا يرقى إليه الشك ".

• وبعض الباحثين مثل " هانس ناومان " فى كتابه " الحضارة الجماعية البدائية " سنة ١٩٢١م يعدون " الأدب الشفهى " " تراثنا ثقافيا منهارا " .

وبرغم هذا فإن دراسة " الأدب الشفهى " تساعد على فهم عمليات التقدم الأدبى ، وأصل ومنشأ أنواعها الأدبية وصناعتها[١] .

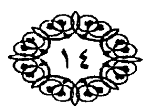
• فالأدب الشفهى ليس هو " الأدب المقارن " وإنما يعد وسيلة هامة من وسائل البحث والتقصى وازدهار قضايا الأدب المقارن ، وتوثيق نتائجه .

• وتتعدد اتجاهات ومدارس الأدب المقارن .. وهى اتجاهات تتلاقـى فى كثير من جوانبها .. ومن أهمها .

(أ) المدرسة الفرنسية .. وهى تمثل النهر الرئيس الذى انطلقـت منـه موجات الأدب المقارن .. وقد عرف عن المقارنين الفرنسيين التأكد علـى

---

(١) السابق ص ٥٨ .



شرط الحدود اللغوية والحدود بين الأمم فى دراسة " الأدب المقارن " الذى يعرفه " جويار" على أنه تاريخ العلائق الأدبية الدولية " .

أما المقارنون الأمريكيون ــ فقد تغاضوا عن شرط الحدود اللغوية الذى دافع عنه " الرواد الفرنسيون " .

و " وينيه ويلك " يرى أن محاولة حصر الأدب المقـارن فـى دراسـة التجارة الخارجية للآداب نوع من الجهد الضائع ، فهى محاولة يمكـن أن تجعل الأدب المقارن من حيث هو موضوع دراسته مجموعة من الأجزاء المتناثرة التى لا يربطها رابط ، مجموعة علاقـات تتعـرض باسـتمرار للانقطاع عن كل له معناه "

- واتجه بعض المقارنين الأمريكيين إلى توسيع مجالات البحـث فـى "الأدب المقارن" "فهنرى ريماك" يعرف الأدب المقارن على أنـه " ذلـك الفرع الذى يعنى بدراسة العلاقات بين الآداب من جانب وفروع المعرفـة والمعتقدات كالفنون والفلسفة والتاريخ والعلوم الإجتماعية والعلوم الدينيـة من جانب آخر ، وهو مقارنة الأدب بمجالات أخرى من التعبير الإنسانى".
- وتحظى دراسات " الأدب المقارن " فى أوروبـا الشـرقية بعنايـة ملحوظة منذ الخمسينات من " القرن الماضى " (القرن العشـرين) وقـد وضحت بوادر هذا الاهتمام فى مؤتمر عقد فى " تشيكو سلوفاكيا " فى عام ١٩٥٤م، حيث خصصت موضوعات البحث فى هـذا المـؤتمر لدراسـة العلاقات الأدبية بين الدول السلافية .
- وشارك المقارنون (السوفيت) بالعديد من دراسات الأدب المقارن .

- وتنطلق الدراسات الحديثة فى علم " الأدب المقارن " فى " روسيا" و" الإتحاد السوفيتى سابقا " ، وكما يحددها أحد رواده المقارن " جير مونسكى" ليس فقط من دراسة ما يسمى " بالتأثيرات " و " الاقتباسات " ولكن أيضا من " إقامة صلة التشابه والاختلاف بين الظواهر الأدبية وتفسيرها تاريخيا "(١) .

- وبعض الباحثين يرى أن " الأدب المقارن " يتلاقى مع الأدب العالمى أو "الأدب العام أو الشامل".

ولهذا المفهوم صعوبات وعليه اعتراضات وأولها : أن الأدب العالمى مختلف عليه ، فهو له ثلاثة مفاهيم :

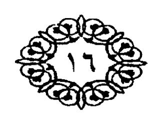
<u>وأولها</u> : أن الأدب العالمى يعنى أن الأدب ينبغى أن يدرس على اتساع القارات الست كلها ، وهذا المفهوم لم يقصده جوته واضع هذا المصطلح.

<u>وثانيها</u> : أن الأدب العالمى هو محاولة جادة تأمل وتبشر بوقت تصبح فيه كل الآداب أدبا واحدا ويعنى : فكرة توحيد الآداب جميعها فى تركيب عظيم تلعب فيه كل أمة دورها ضمن ائتلاف عالمى .

<u>وثالثها</u> : أنه يقصد باصطلاح الأدب العالمى أنه " الكنز العظيم من الآثار الكلاسيكية " كآثار : هوميروس ، ودانتى ، وشكسبير ، وجوته ممن طبقت شهرتهم الآفاق وهذا الاصطلاح يرادف " الروائع المختارة من الأدب العالمى".

---

(١) انظر مقدمة كتاب " مؤثرات إسلامية وعربية فى الأدب الروسى " د/ مكارم الغمرى .



• والأدب : انسانى فى جوهره ، عالمى فى رؤيته ، قومى فى تصوره ، بيئى فى لغته وصوره ، وقد تصبح المحلية طريقا للعالمية ، حينما يصل المستوى الأدبى إلى مستوى النموذج العام ، والرمز الـذى ينبـئ عـن الخصائص الإنسانية العامة .

• وليست المشابهة فقط بين أدبين أو أديبين أو موضوعين هى الـدافع إلى المقارنة بل لا بد أن يثبت تاريخيا هذا الالتقاء كما فعلت " مدام ستايل" فى كتابها " من ألمانيا" وقد كشفت فيه لفرنسا عن الأدب الألمـانى كشـفا رائعا ، وقد صنع مثل هذا الصنيع قبلها فولتير فى كتابه : رسائل فلسفية " حيث نقل لفرنسا روح الأدب الانجليزى " .

• وقد تلاقى الأدب الفرنسى مع الأدب العربى منذ الحروب الصليبية " ونقل الفرنسيون كثيرا من القصص ذات الطابع الشعبى أو الخرافى وأطلق عليها "جاستون بارى " لقب ، " فابليو" وهذا النوع مـن الأقصوصـات " الفابليو" جنس أدبى راج فى فرنسا من حوالى منتصف القرن الرابع عشر الميلادى ، وهو قصة شعرية تؤلف لتحكى . والجانب الغالب هو جانـب المسلاة ،ولكنها قد تكون مع ذلك ذات طابع خلقى أو اجتماعى ثم انها تنحو منحى واقعيا مبنيا عادة على شئون الحياة اليومية ، أو العـيش الغالبـة ، ويعنى الشعراء فيها بابراز العيوب التى تثير السخرية لأنها أسهل فى اثارة الضحك [١] .

• وكما صنعت " مدام ستايل" فى كتابها " من ألمانيا" . وصنع فـولتير فى كتابة " رسائل فلسفية " قام عالمان مصريان جليلان هما الأستاذ أحمـد

---

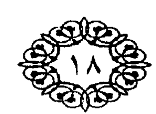
(١) د / محمد غنيمى هلال : الأدب المقارن ص ٨٦ .

أمين ، و د/ زكى نجيب محمود بكتابة " قصة الأدب فى العالم " وقسمـا عملهما إلى ثلاثة أقسام ، يعالج القسم الأول أدب العصر القديم وأدب العصور الوسطى .

ويعالج القسم الثانى الأدب من بدء النهضة إلى أول القرن التاسع عشر.

وقد بينا فى مقدمة الكتاب الدافع الذى حفزهما إلى ابراز ذلك العمل المضنى الشاق حيث قالا : ودعانا إلى هذا العمل ما رأينا من حاجة الأدب العربى إلى أن يضع عينه على الآداب الأخرى ، يستفيد من موضوعاتها واتجاهاتها ، ويستلهم بعض نماذجها كما تفعل كل أمة حية الآن ، فلم تترك أدبا من الآداب الشرقية والغربية الا أعلمت قومها به ووقفتهم عليه ، وذكرت لهم خصائصه ، وعيوبه ، ومميزاته ، ونقلت شعره شعرا ونثره نثرا ، وعرفتهم بأشهر رجاله ، وترجمت أقوم آثاره ، فلو شاء انجليزى أو فرنسى أو ألمانى أن يعرف أى أدب صينى أو يابانى ، أو هندى أو فارسى أو عربى ، أو أى أدب آخر غربى لوجد من كل ذلك الأدب الكثير بلغته ، ووجد المطولات والمختصرات ، والمجموعات والمتفرقات.

واستغل أدباء كل أمة هذه الآداب المعروضة خير استغلال . فاستغلوا ألف ليلة وليلة ، ورباعيات الخيام ، والشعر الجاهلى . والقصص الهندى، وكل يوم يزيدون من ثروتهم ونتاجهم . أخرجوا المجموعات الواسعة فى قصص العالم ، ومختارات من الكتب الدينية فى العالم ، والكتب الكبيرة فى أهم آداب العالم ، وهكذا حتى لم يعد الأدب ملك الأمة التى انتجته ، بل أصبح ملكا مشاعا لكل أمة يقظة تستثمره وتستغله ، وأصبح شأن الآداب شأن البريد وغلات العالم ، والمستكشفات الطبية والعلمية ليست ملكا لأحد



حتى ولا مخترعها ، بل هى ملك لكل أحد شاءها واستطاع الاستفادة منها"(١).

• وكما تلتقى الآداب وتتلاقح وتتكاثر يلتقى الأدباء ويتغذون من نتاج بعضهم البعض ، فيحدث التفاعل والاندماج . وفى أدبنا العربى يبدو التلاقى التاريخى بين وليم بليك الانجليزى وبين جبران خليل جبران ، حيث احتذى جبران حذوه وقلده فى كل شئ حتى فى طريقة حياته وظهر أثر هذا الاحتذاء به فى أدبه .

وأعجبه من حياة بليك هدوؤه العائلى ومشاركته زوجته له فى تأملاته، ومعاونتها له فى فنه بقدر استطاعتها ، وظهر أثر وليم بليك فى كتابات جبران وأخيلته التى تجول فيما وراء الحس ، وتجسم المعنويات ومن هذه الأساليب قوله فى كتابه **" رمل وزبد "**

" كلنا خلقا ضالين ، هائمين ، تواقين آلاف السنين قبل أن نلهم الكلمات من البحر والريح فى الأجمات ، فأنى لنا الآن أن نفصح عن خوالى الدهور بأصوات أمسنا" .

• ويتأثر " ميخائيل نعيمه ونسيب عريضه بالأدب الروسى وذلك نتيجة لتلقى العلم فى مراحلهما الأولى بالمدارس الروسية " ودراسة نعيمة فى جامعة "بلتافا" واطلاعه على نتاج الأدباء الروس أمثال " جوركى ، وتشيكوف ، وبيلنسكى، وبوشكين ، وتكراسوف " .

وهذا التلاقى التاريخى والالتحام بالثقافة الروسية ينتج عنه تأثر نعيمة بهذه الثقافة . ويبدو هذا التأثر فى قصص نعيمة ذات المغزى الاجتماعى

---

(١) احمد أمين ، زكى نجيب محمود . قصة الأدب فى العالم (المقدمة) .

المتعاطف مع الكادحين من الشعب ، فهو يكتب عن العامل " أبـى بطـه " وعن " مسعود " وعن تكريم الصحفيين ، وعن " ستوت " وعـن الشـباب الثائر ، ويدعو إلى محاربة الظلم الاجتماعي ، والثورة علـى المسـتغلين والمرابين .

وقد استمد نعيمة من الأدباء الروس والنقاد أشياء كثيرة أثرت في تفكيره فيما بعد " فبيلنسكى " الناقد الروسى كشف له عن مواطن الصدق والقـوة والخير والجمال فى العمل الأدبى وعن سمو وظيفة الأديب اذا هو أحسـن تأديتها بالنسبة إلى نفسه وإلى الحياة حواليه ، وإلى الذين يقرعونه .

و " جوركى " قد سلط أمام ذهنه أنوارا كشافة على زوايا مظلمـة مـن الحياة الروسية حياة المشردين والمحرومين والناقمين على نظام يعيشون فى ظله حياة المنسيين الساكنين فى القاع (١) .

وقد أعجب " بتشيكوف " فى تصويره الدقيق لجميع نواحى الحياة فقـد كان "تشيكوف " يغشى المحاكم والأسواق وحلبات السباق ، وأماكن اللهـو الشعبية باحثا عن مادة للكتابة ومن ثم استطاع أن يقف على حقيقة أخـلاق الكتبة ، وصغار الموظفين والقساوسة ، والفلاحين، والعمال (٢) .

و "النهر المتجمد" الذى وصفه نعيمة فى قصيدته المسماة بهذا الاسم انما يرمز إلى حياة الشعب الروسى المتجمدة ، والتى يهيمن عليهـا القيصـر الروسى .

---

(١) انظر : الأدب العربى الحديث ومدارسه د / محمد عبـد المـنعم خفـاجى ، وانظر أدب المهجر .. دار المعارف ١٩٩٤ م للمؤلف .
(٢) ماهر نسيم : لمحات من الأدب الروسى .

ويؤكد نعيمة هذا التأثر بعد تصفحه لمجلة " الفنون " التى أصدرها نسيب عريضة سنة ١٩١٣م فيصيح "لا لست فى حلم ياميشا ، فهذه النفحات التى هبت عليك من فنون رفيقك نسيب عريضة لم تنطلق من خيالك ومن رغبتك الملحاح فى أن تجدد العربية شبابها إنها حقيقة راهنة ، وانها البشارة لك بالانبعاث الذى رحت تترجاه لبنى قومك منذ أن أطللت على الأدب الروسى ، والآداب العالمية ، وأدركت قدسية الكلمة وقوة القلم اذا هو لم يدنس الكلمة بالكذب والرياء والتدجيل ولم يعبد الحرف دون الروح " (١).

ويرجع تأثر نسيب بالأدب الروسى إلى نشأته الأولى فقد ، تلقى تعليمه الابتدائى فى مدرسة حمص الروسية المجانية وحين ظهر تفوقه اختارته الجمعية الروسية الامبراطورية ليكمل تعليمه الثانوى فى مدرسة المعلمين الروسية فى مدينة الناصرة فى "فلسطين" (٢) .

وتمكن نسيب بعد ذلك من قراءة الأدب الروسى ، وترجم قصة عن اللغة الروسية أسماها " أسرار البلاط الروسى " وهى قصة تصور المكائد التى كانت تتم فى البلاد الروسى خلال نظام حكم الامبراطور " نيقولا الأول " ويمكن أن نلحظ فيها بوضوح عدم رضا الشعب ، والاهتمام بالمشاكل الاجتماعية .

وفى صحيفة الفنون حرص نسيب على ترجمة بعض القطع النثرية والشعرية من الأدب الروسى .

---

(١) د/ نادرة جميل السراج : نسيب عريضة ص ٢٧ .
(٢) السابق ص ٢٣ .

والمقارنة بين الآداب تعتمد على الوقوف على مواطن التلاقى بين الآداب أو بين الأدباء ، وتتحقق برصد عوامل التأثير والتأثر التى تتبادلها الآداب المختلفة كما حدث فى تأثر الأدب العربى بالأدب الانجليزى والفرنسى فى النصف الأول من القرن العشرين ليس فى الموضوعات فقط . ولكن فى منهج التفكير وفى طريقة الأداء .

وهذا التأثر نتج عن التلاقى التاريخى بين أدبنا العربى والآداب الأجنبية عن طريق الأدباء الذين استطاعوا أن يتعمقوا هذه الآداب ويهضموها ثم تظهر آثارها فى أدبنا العربى متمتعة بشخصية مستقلة .

وكان فى مقدمة هؤلاء الأدباء . جبران ونعيمة رائدا مدرسة المهجر ، والعقاد والمازنى رائدا مدرسة الديوان ، وأحمد زكى أبو شادى وابراهيم ناجى ، وعلى محمود طه من رواد مدرسة "أبولو" وطه حسين ، وتوفيق الحكيم اللذان استلهما روح الغرب فى أعمالهما الابداعية ، وفى منهجهما الفكرى .

ثانيا : " النشأة "

دعاوى غربية وجذور عربية إسلامية

لم ينشأ الأدب المقارن من فراغ . ولم يكن بعيدا عن الحقل العربى فى عصر ازدهار الحضارة العربية الإسلامية .

وبعض الباحثين يدعى أنه نشأ فى فرنسا ، ويحدد أن هذه النشأة كانت فى سنة ١٨٨٦م ويؤكد هذا الميلاد قائلا : ان ذلك الكتاب النظرى الذى وضعه هـ بوسنيت الانجليزى بعنوان " الأدب المقارن " سنة ١٨٨٦م

يعين الافتتاح الرسمي للبحوث المقارنة " [١] ويحدد باحث أوروبى آخر ظهور الأدب المقارن قائلا "وفى الثلث الثانى من هذا القرن "التاسع عشر" ظهر الأدب المقارن نهائيا"[٢] .

وقد تبعهما باحث عربى ولكنه كان أحرص منهما وأكثر دقة حين قال : وقد وفيت كل وجوه النقص واكتمل بحث معنى الأدب المقارن عـى يـد البحاثة الفرنسى " جوزيف تكست " فى آخر القرن التاسع عشر . وهو يعد حقا أبا للأدب المقارن الحديث . وقد وجه لذلك خير توجيه على يد أستاذه "برونتيير" فى مدرسةالمعلمين العليا بباريس فانصرف لدراسة الصلات بين الآداب الأوروبية وتمتاز دراسته بالأفق الواسع والنظرة الشاملة فى بيان تطور الأفكار واختلافها على حسب تطور الشعوب واختلاف أحوالها الاجتماعية .

وتبعه فى هذا الطريق " فردينان بالدنسبيرجيه " .

- وقد بحث "جوزيف تكست " تأثير القدماء فى كتاب النهضة ،وتأثير الآداب الجرمانية فى الأدب الفرنسى فى عصر النهضة ، وتأثير مونتينى فى الأدب الإنجليزى ، " وروسو " والأصول الأولى لعالمية الأدب [٣] .

- وقد دعا " جوزيف تكست " لأدب عام أوروبى . ومما قاله فى هذا الاتجاه : فى اليوم الذى يتكون فيه ذلك الأدب الأوروبى سيصبح بالطبع كل نقد أدبى عالميا ، وحينئذ ستمتد بحق من فوق الحدود الدولية – إذا كانت ستبقى بعد تلك الحدود – أواصر الصلات العقلية ثابتة متأصلة .

---

(١) ف جويار ، الأدب المقارن ص ١٨ .
(٢) فان تيجم : الأدب المقارن ص ٢٨ .
(٣) انظر كتاب د . محمد غنيمى هلال ، الأدب المقارن ص ٧٨ .

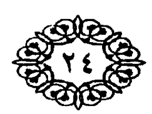


وتربط برباطها المعنوى الشعوب إلى الشعوب ، وتخلق لأوروبا كلها روحا اجتماعية كما كان فى العصور الوسطى .

• ويلاحظ أن الباحثين الأوروبيين تسيطر عليهم روح التعصب . أو يقصرون دراستهم على الأدب الأوروبى فقط . ويدعون صراحة إلى أدب أوروبى عالمى . وهذا الأدب تذوب فى عناصره كل الآداب ، بحيث لا تبقى حدود فاصلة بين أمة وأخرى .

والحق أننا عندما نبحث فى نشأة الأدب المقارن لا نبحث عنه فى الآداب الأوروبية وحدها . بل إلى جانب الآداب الأجنبية يجب أن نبحث عن جذوره فى أدبنا العربى وأن نبحث عن مواطن التلاقى بين آدابنا والآداب الأخرى . شريطة أن يكون هذا البحث بعيدا عن التكلف والادعاء ، مبنيا على التلاقى التاريخى بين الآداب والأدباء .

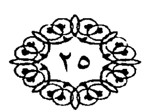
• ويكفى أن نقرأ النص التالى فى كتاب "فان تيجم " الذى سماه " الأدب المقارن" لنقف على النظرة المتعصبة التى لا تضع فى حسابها أثرا للثقافة العربية والإسلامية ، ولا أثرا لثقافة غير الثقافة الأوروبية يقول فان تيجم " ففى القرون الوسطى كانت وحدة العقيدة الدينية والثقافيه اللاتينية والأساطير الدينية وأساطير الفروسية الشعبية توجد بين رجال الدين والأدباء فى الغرب عددا لا حصر له من نقاط الالتقاء ، وتشعرهم بأنهم جميعا مواطنون لمدينة إلهية وإنسانية واحدة ، " وفى القرن السادس عشر " كانت " النهضة" إذ ترى فى كبار مفكرى اليونان واللاتين منابع عامة من الفكر ، وترى فى كبار شعراء اليونان واللاتين نماذج عامة للشعر ، كانت تربط الإنسانيين من مختلف البلدان بعضهم ببعض ربطا وثيقا ، فإذا هم مأخوذون بهذا المثل الأعلى نفسه ، وإذا هم يتغذون من هذه المادة نفسها ،



وإذا بالكتاب من هنا ومن هناك يحاولون أن يجاروا الأقدمين بمحاكـاتهم ، وفى القرن الثامن عشر كان ذيوع اللغة الفرنسية ، بـين أبنـاء الطبقـات الراقية من أوروبا كلها ، والإعجاب بالكتاب الفرنسيين الـذين أصـبحوا بدورهم فى عداد الكلاسيكيين ، وتشابه الأذواق الأدبية والإتجاهات الفكرية ، كل ذلك كان يجمع الأدباء والجمهور المتنور من كلية البلدان تحت لواء عالمية عقلية .

وأخيرا فى القرن التاسع عشر بتأثير الثورات والحروب والهجـرات : (الهجرة الفرنسية الكبرى أولا ، ثم هجرات المثقفين الكثيرة بعد ذلك فيمـا بين ١٨٠٨ـ ١٨٣٥) وبتأثير فورة الدراسـات التاريخيـة والفيلولوجيـة والبحوث التى تصهر دراسة الحقوق والتقاليد الشعبية فى بوتقـة واحـدة ، وبتأثير الرومانطيقية على وجه الخصوص ، أصبح كثير من النقاد يـرون فى آداب أوروبا الحديثة كلا واحد تنطوى أجزاؤها المختلفة على اختلافات وتشابهات ، وعلى هذا الأساس كان جوته فى عـام ١٨٢٧ يتحـدث إلـى "اكريمان" عن " الأدب العام " على أنه مجموعة من الآداب الخاصة ينبغى أن نحسن النظر إليها حتى لا تكون فريسة أخطاء قوميـة فبعـد عالميـة المسيحية والفروسية فى القرون الوسطى . والعالمية الإنسانية فى "عصـر النهضة " والعالمية الكلاسيكية الفلسفية فى "عصر التنوير" ظهرت عالميـة رومانطيقية تاريخية تعنى أكثر من العالميات التـى سـبقتها بالاختلافـات القومية وتسلم بوجودها وتحاول فهمها .

وفى الثلث الثانى من هذا القرن "الثامن عشر" ظهر الأدب المقارن نهائيا إلى الوجود ، فإذا نحن نرى تسلسلات أدبية : جوته ، بيرون ، ميكفكتس ثم روسو.



وإذا بنا أمام دراسات عن تأثير المبعدين الفرنسيين ، ومقارنة الأدب الأسبانى بالأدب الفرنسى ، والعلاقات الأدبية بين فرنسا وايطاليا أو بين فرنسا وانجلترا كل ذلك فيما بين عام ١٨٤٠ وعام ١٨٦٠ .

فأول كتاب عن "شكسبير والمسرح الفرنسى " يرجع إلى عام ١٨٥٥ ، وفى عام ١٨٦٠ تبدأ الأطروحات الفرنسية لنيل الدكتوراه فى هذه الموضوعات .

ولئن كانت أولى " الأبحاث الافتتاحية " فى هذا الباب ترجع إلى ما قبل هذا العهد بقليل فإنها دون الأبحاث الجديدة اتساعا وقيمة (١) .

- وتأمل النص السابق وحدق فى العبارات الآتية :

" وحدة العقيدة الدينية المسيحية والثقافة اللاتينية " .

" رجال الدين والأدباء فى الغرب " .

" كبار مفكرى اليونان واللاتين " .

" كبار شعراء اليونان واللاتين " .

" الهجرة الفرنسية الكبرى " .

"آداب أوروبا الحديثة " .

" عالمية المسيحية والفروسية فى القرون الوسطى " .

" مقارنة الأدب الأسبانى بالأدب الفرنسى" .

" العلاقات الأدبية بين فرنسا وإيطاليا " .

---

(١) انظر " الأدب المقارن " لفان تيجم ص ٢٧ ــ ٢٨ .

" أو بين فرنسا وانجلترا ".

وبعد ....

فهل تجد أثرا للثقافة الإسلامية وتأثيرها فى الثقافة العالمية ؟.

هل عثرت على " مصطلح " عالمية الإسلام ؟.

هل وجدت عبارة توحى بأثر الشعر الأندلسى فى الشعر الأسبانى وفى الشعر الأوروبى كله ؟.

لا أثر يذكر لذلك !!! .

وأعلل ذلك بأن أدباء أوروبا الذين ظهروا فى القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين كان بعضهم يجهل الثقافة الإسلامية وأثرها فى توجيه الثقافة الأوروبية وكان أكثرهم ينزع إلى طمس أثر الحضارة الإسلامية والعربية بدافع من التعصب المسيحى والاتجاه إلى الغزو الفكرى ، والاستئثار بروح المغامرة والاكتشافات الأدبية .

- وكان لتحامل كبار مفكرينا على الأدب العربى واتهامه بالجمود والهروب إلى الثقافة الأوروبية أثر فى تقوية هذا الاتجاه .

- وبعيدا عن رد الفعل ، وبروح الانصاف سأحاول بايجاز أن أجلى جهود العلماء العرب والمسلمين فى هذا الاتجاه حيث ألقوا فى عقل الأوروبيين ووجدانهم جذوة الفكر ، وما زالوا يمسكون بها وقد ازدادت اتقادا ووهجا وأصبحت منارة تهدى السالكين .

ثالثا : جذور التلاقى بين أدبنا العربى القديم وبين الآداب الأخرى :

حينما نتأمل الجو الفكرى والأدبى فى عصر ازدهار الحضارة العربية نرى هذا التلاحم الثقافى بين آداب الأمم التى فتحها الإسلام .

- وكان الوزراء والكتاب أكثر الناس ثقافة فارسية عربية ، وكان أطباء القصور النساطرة أكثرهم ثقافة يونانية عربية ، وكان المتكلمون — على ما يظهر — أكثرهم ثقافة من كل نوع .

وقدم المتكلمون للأدباء والشعراء معانى لم تكن معروفة من قبل كما قدموا لهم تعبيرات لم تكن معروفة أيضا . وهذا من آثار التلاحم الثقافى والالتقاء التاريخى بينهم .

ومن ذلك قول أبى نواس :

تنازع الأحمدان الشبه فاشتبها — خلقا وخلقا كما قد الشراكان

اثنان لا فصل للمعقول بينهما — معناهما واحد والعدة اثنان

وقول أبى تمام :

جهمية الأوصاف الا أنهم — قد لقبوها جوهر الأشياء

وقول ابن الرومى

ما عذر معتزلى موسر منعت
كفاء معتزليا مثله صفدا

أيزعم القدر — المحتوم — يبسطه
أن قال ذاك فقد حل الذى عقدا (١)

---

(١) انظر " ضحى الإسلام " لأحمد أمين ص ٣٨٠ — ٣٨١ .

• والأمثلة الشعرية السابقة كانت ثمرة تأثر الفكر العربي بالفلسفة اليونانية.

• والتلاقي بين الأدب الفارسي والأدب العربي كان عن طريق الفرس المتعربين وهم ما نسميهم في ميدان الأدب المقارن "الوسطاء" فهم : مزجوا ما نشأوا عليه من أدب فارسي بما تعلموا من أدب عربي ، مزجوا القصة الفارسية بالقصة العربية كما في ألف ليلة وليلة ، وغيره ومزجوا الحكم الفارسية والتشبيهات الفارسية بالحكم والتشبيهات العربية .

وكان كسرى أنوشروان مشتهرا بالنرجس ، وكان يقول :

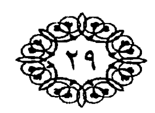
هو ياقوت أصفر بين در أبيض . على زمرد أخضر . فيقول الشاعر العربي.

وياقوتة صفراء في رأس درة	**مركبة في قائم من زبرجد**
كأن بقايا الطل في جنباتها	**بقية دمع فوق خد مورد**

• ويضع الفرس الأساطير فينحو العرب نحوهم . فقول العرب في العنقاء يشبه قول الفرس في "سيمرغ" وكلاهما مخلوق خيالي توهمه الشعراء والأدباء.

ومن أساطير الفرس أن مسكن " السيمرغ " على الشجرة التي تلقى كل البذور وهي في المحيط الواسع على مقربة من شجرة الخلد تجتمع عليها البذور التي أنتجتها النباتات كلها طوال السنة .

ولا تزال تنتقل الأسطورة بين العرب ، حتى يدخلها الفيروزابادي في القاموس المحيط فيقول : والجزائر الخالدات . ويقال لها جزائر السعادة



ست جزائر فى البحر المحيط من جهة المغرب ، منها يبتــدئ المنجمــون بأخذ أطوال البلاد ، تنبت فيها كل فاكهة شرقية وغربية وريحـــان وورد . وكل حب من غير أن يغرس أو يزرع [١] .

• ومنذ القرن الثانى الهجرى " الثامن الميلادى " ترجمت إلى العربية كتب كثيرة من التاريخ الإيرانى ، أثرت أيما تأثير فى جنس التاريخ الأدبى عند العرب [٢] .

وقد أثر الأدب العربى فى الأدب الفارسى ، وخير مثل تطبيقـــى لـــذلك الشاعر " أبو جعفر الرودكى فقد نظم على الأوزان والقوافى العربية مـــع التوسع فى الزحافات والعلل ، وادخال الرديف فى القافية ، ونظـــم كتـــاب كليلة ودمنة فى القافية المزدوجة التى يسميها الفرس المثنوى وقد سبق إلى نظم هذا الكتاب فى اللغة العربية ، واستوحى التاريخ الفارســـى والتـــاريخ العربى فى الموضوع والتصوير" [٣] .

وفى مقامات " حميد الدين الفارسية " للقاضى حميد الدين البلخى " عمر بن محمود " تأثر بنهج " بديع الزمان الهمذانى " و " القاسم بن على محمـــد بن عثمان" الملقب بالحريرى " فى المقامات التى قاما بتأليفها : وقد اعترف البلخى فى مقدمة مقاماته الفارسية بهذا التأثر " .

" على الرغم من أن مقاماته تختلف عن المقامات العربية من وجـــوه : فشخصية المؤلف تحتل المكانة الأولى المباشرة فيها ، فليس فيها راو معين

---

(١) انظر : القاموس المحيط مادة ، ج ز ر ، وانظر كتاب : ضـــحى الإســـلام ص٣٨٣ .

(٢) محمد غنيمى هلال : الأدب المقارن ص ٢٤٦ .

(٣) انظر : قصة الأدب فى العالم . أحمد أمين وزكى نجيب محمود ص ٤٥٨.

. وإنما يروى المؤلف أحداثه عن كثير من أصدقائه ، لا يذكر أسماءهم ، ثم إنه ليس فى مقاماته بطل تتعدد مواقفه فى مختلف المقامات كما فى مقامات الحريرى وبديع الزمان " (١) .

واتصل العرب بالهنود وكان لهذا الاتصال آثار قيمة فيما يخص الأدب والمقارنة بين الآداب والوقوف على أهم مظاهر التأثير والتأثر فيما بينها .

وأهم ما استفاد الأدب العربى من الهند أمورا ثلاثة :

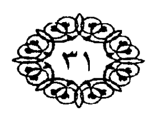
١ـ ألفاظ هندية عربت . وقد كان ذلك أيام كان العرب يتاجرون مع الهند ، وينقلون سلعا هندية ويحملون مع هذه السلع أسماءها ، وقد حكى السيوطى ألفاظا هندية عربت ووردت فى القرآن الكريم ، مثل : زنجبيل وكافور ـ ومما ورد فى اللغة العربية من الألفاظ الهندية ، الآبنوس والببغاء والخيزران والفلفل وغير ذلك من أسماء النباتات والحيوانات الهندية ، ويضاف إلى ذلك آراء فى الأدب والبلاغة نقلت إلينا عنهم .

٢ـ القصص الهندى : وقد أولع العرب به . وكتاب " كليلة ودمنة " أصله هندى ونقل إلى الفارسية ثم نقل من الفارسية إلى العربية ، وقصة السندباد هندية الأصل نقلت إلى العربية كما أن فى كتاب " ألف ليلة وليلة " قصصا دل البحث العلمى على أن أصلها هندى .

٣ـ الحكم .. وهو نوع يتفق والذوق العربى فهو أشبه شئ بالأمثال العربية ، والجمل القصيرة ذوات المعانى الغزيرة التى أولع بها العرب .

---

(١) د / محمد غنيمى هلال . الأدب المقارن ص ٣٢٢ .



يقول ابن قتيبة : قرأت فى كتاب من كتب الهند " شر المال ما لا ينفق منه ، وشر الإخوان الخاذل ، وشر السلطان من خافه البرئ ، وشر البلاد ما ليس فيها خصب ولا أمن " [1] .

وقد تأثر الأدب العربى بالنوع الثالث أكثر من النوعين السابقين حيث لم تظهر فى الأدب العربى ملاحم تشبه الملاحم الهندية مثل ملحمة "ماها بهاراتا" وهى ملحمة شعرية طويلة يمتزج فيها التاريخ بالأساطير . ويرجع مؤرخو الأدب الهندى أن تكون هذه الملحمة من نتاج عدة شعراء ، وبلغ من ضخامتها أنها لو وضعت الالياذة والأوديسيا والانيادة ، والفردوس المفقود إلى جانبها لما بلغت من الطول ما بلغته قصيدة "ماها بهاراتا " ، ولكن الرأى الشعبى لا يرضيه إلا أن تكون هذه الملحمة الوطنية لشاعر واحد ، فينسبها إلى "فياسا" .

- ولم نر ملحمة مثل ملحمة " رامايانا " وهى تروى مغامرات راما " وشاعرها هو "فالميكى" والحب هو الموضوع الرئيسى فى هذه الملحمة ، وقد ظلت معينا لا ينضب للمسرح مدى ألف عام أو يزيد .

والقصص الدينى الهندى يختلف مع لب العقيدة الإسلامية فلذلك نراه ظل بعيدا عن الأدب العربى .. إلى أن تأثر المتصوفة المسلمون بهذه الأفكار فنادوا بوحدة الوجود والاتحاد والحلول . وتناسخ الأرواح . ويتجلى هذا الأثر فى أدب "الحلاج" الذى قال موضحا نظريته فى الاتحاد والحلول .

مزجت روحك فى روحى كما تمزج الخمرة بالماء الزلال
فإذا مسك شئ مسنى فإذا أنت أنا فى كل حال [2]

---

(١) انظر كتاب : ضحى الإسلام ص ٢٤٩ .
(٢) الحلاج : الطواسين ص ١٣٤ .

ويقول ابن القارض :

فكلـــى لكلـــى طالـــب متوجـــه　　　وبعض لبعض جـــاذب بالأعنـــة

ويقول :

وشفع وجودى فى شهودى ظل فى ....

.... اتحادى وترا فى تيقظ غفوتى

واسراء سرى عن خصوصى حقيقـــة

إلى كسيرى فـــى علـــوم الشريعـــة

ولم أله باللاهوت عن حكـــم مظهـــرى

ولم أنس بالناســـوت مظهر حكمتى(١)

وأثر هذه الثقافات يتضح فى كتاب " البيان والتبيين " للجاحظ . ومن ذلك رأيه فى البلاغة حيث يقول : أخبرنى أبو الزبير كاتب محمد بن حســـان ، وحدثنى محمد بن أبان : قالا

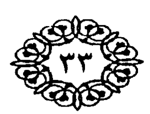
قيل للفارسى : ما البلاغة ؟ قال : معرفة الفصل من الوصل .

وقيل لليونانى : ما البلاغة ؟قال : حسن الاقتضـــاب عنـــد البداهـــة ، والغزارة يوم الاطالة .

وقيل للهندى : ما البلاغة ؟ قال : وضوح الدلالة ، وانتهاز الفرصـــة ، وحسن الاشارة (٢) .

---

(١) ديوان ابن الفارض ص ٦٨ .
(٢) البيان والتبيين ص ٦١ جـ ١ .



ويقول الجاحظ مقارنا بين العرب وغيرهم فى الآداب والخطب.

وجملة القول أنا لا نعرف الخطب إلا للعرب والفرس .

وأما الهند فإنما لهم معان مدونة ، وكتب مجلدة ، لا تضاف إلى رجل معروف ، ولا إلى عالم موصوف ، وإنما هى كتب متوارثة وآداب على وجه الدهر سائرة مذكورة .

ولليونانيين فلسفة وصناعة ومنطق ، وكان صاحب المنطق نفسه بكئ اللسان، غير موصوف بالبيان ، مع علمه بتمييز الكلام وتفصيله ، ومعانيه ، وبخصائصه وهم يزعمون أن جالينوس كان أنطق الناس ، ولم يذكروه بالخطابة ولا بهذا الجنس من البلاغة .

وفى الفرس خطباء ، إلا أن كل كلام للفرس ، وكل معنى للعجم ، فإنما هو عن طول فكرة ، وعن اجتهاد وخلوة ، وعن مشاورة ومعاونة ، وعن طول التفكر ، ودراسة الكتب ، وحكاية الثانى علم الأول ، وزيادة الثالث فى علم الثانى ، حتى اجتمعت ثمار تلك الفكر عند آخرهم .

وكل شئ للعرب فإنما هو بديهة وارتجال ، وكأنه إلهام [(١)] .

- والأدب المقارن فى صورته النهائية التى أعطتنا أبعاده العلمية وظواهره وخصائصه وموضوعاته جاء وليد جهود الأدباء الأوروبيين .

- ولكن تشييدهم لهذا العلم قام على جحود النشاط الأدبى والفكرى الذى ماجت به الأوساط الأدبية والفكرية فى أوج الحضارة العربية والإسلامية .

---

(١) السابق ص ٤٠٤ جـ ١ .

• وقد ظهرت دراسات وجهود علمية متتابعة ساعدت على استقلال الأدب المقارن " وقد ظهر فى مبدئه على أنه ادراك وجدانى للعالمية الأدبية ، مضاف إلى الرغبة فى دراسة هذه العالمية من الوجهة التاريخية " [١] .

• ومن الجهود المتتابعة فى ميدان الأدب المقارن: كتاب " الأدب المقارن " وضعه هـ ، بوسنيت سنة ١٨٨٦ ، ويقول " جويار " إنه يعين الافتتاح الرسمى للبحوث المقارنية .

• وفى السنة عينها " ١٨٨٦م " بدأ " ادوارد رود " فى جنيف دروسه فى التاريخ المقارن للآداب .

• وبعد ذلك بسنة أى فى سنة ١٨٨٧م أنشأ فى ألمانيا مجلته عن " الأدب المقارن " .

• وفى سنة ١٨٢٥ م ألف " جوزيف تكست " رسالة عنوانها " جان جاك روسو " وأصول العالمية الأدبية ، وتعد هذه الرسالة أول كتاب عظيم عن المقارنة العلمية .

• ومن سنة ١٨٩٧م إلى ١٩٠٤ م تتابعت الطبقات المختلفة لقائمة المؤلفات التى كتبها "بيتس " وبالد نسبرجر .

فقد كتب بيتس رسالته " الأدب المقارن ، بحث احصائى " وظهر فى مجلة : الفيولوجيا الفرنسية والأدب عام ١٨٩٧ ، ثم نشر كتابا فى عام ١٨٩٩م ، مصدرا بمقدمة بقلم جوزيف تكست .

---

(١) ف جويار ، الأدب المقارن ص ٢ .



وشعر بيتس بما يعتور كتابه من نقص وجمع اضافات كثيـرة أعـدها لطبعة جديدة ظهرت بعد موته فى عام ١٩٠٤ م ، وأشرف علـى نشـرها وقدم لها "مسيو بالدنسبرجر " وقد أضاف " مسيو بالدنسبرجر " كثيرا إلـى كتاب " بيتس " وقد انتشر الأدب المقارن انتشارا كبيرا منذ سـنة ١٩٠٤ م بفضل جهود " مسيو بالدنسبرجر " .

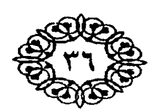
فهو منذ ذلك الحين جعل على مدى أثناء نصف قرن يقدم سلسـلة مـن الدراسات المقارنة .

- وقد أسس بالاشتراك مع "بول هازار" فى سنة ١٩٢١ " مجلة الأدب المقارن " الفرنسية واستمرت من ١٩٢١ ــ ١٩٣٦م وتوقفت إبان الحرب وبدأت سنة ١٩٤٦ م .

- وقد سجلت أكثر من مائتى رسالة علمية عن الأدب المقـارن فـى سجلات السربون من ١٩٤٥ م ــ ١٩٥١م .

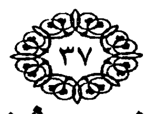
وفى الجامعات المصرية والعربية بدأ الأدب المقارن يحتل مكانة بارزة ، حيث أصبح مادة مستقلة يدرسها الطلاب الذين يتلقون العلـوم بالكليـات التى تعنى بالدراسات الأدبية والنقدية . مثل كلية اللغة العربية بالقـاهرة . جامعة الأزهر ،وكليات اللغة العربية الإقليمية وكليات الآداب بالجامعـات المصرية ، وكليات التربية ، وكلية دار العلوم .

- وقد تخصصت بعض الكليات فى دراسة الآداب الأجنبية فى لغاتهـا الأصلية مثل كلية الألسن ،وكلية اللغات والترجمة بجامعة الأزهر .



- وقد أنشئت أقسام لدراسة اللغات الشرقية وآدابها . وكــذلك اللغــات الأوروبية وآدابها بالكليات النظرية التى تعنى بدراسة العلــوم الإنســانية والفكرية والأدبية .
- وهذه الظاهرة تنبئ عن رغبة الأمة العربية والإسلامية فى النهوض من عثارها ، والعمل على الاستقلال الفكرى والأدبى . والحــرص علــى التشكل من جديد فى اطار خاص .. يجعل للأمة مذاقها الخــاص ولونهــا المستقل .

وهكذا تواصل الأمم المتحضرة مسيرتها التاريخية الحضارية .



الفصل الثانى .

ظاهرة التلاقى بين الآداب عواملها .... وثمارها (*)

- ١ -

• ان التأثر والتأثير المتبادل دليل النشاط والحيوية والابتكار والتفتح ، إذ أنه يفتح الطريق أمام الشعوب لمعايشة تجارب جديدة ، برؤية متطورة وتصور رائد واع .

• وكل أمة تطمح إلى أن يصل أدبها إلى آفاق العالميـــة ، وعالميـــة الأدب تتحقق حين تتجاوز الآداب حدود الاقليمية ، وتخرج عـــن دائرتهـــا الضيقة طلبا لكل ما هو جديد مفيد تستفيد منه ، وتســـتوحى مبادئـــه ، ولا تنقله بكل ثقله وإلا صدق على الآداب المتأثرة تعريـــف الناقـــد الفرنســـى "فيلمان " للأدب المقارن بأنه السرقات الأدبية التى تتناولها الدول .

• وبعض المهتمين بمسائل الأدب وقضاياه ينادون بما يسمونه " الأدب العالمى " وفى مقدمة أنصاره والداعين إليه "جوته " ويريدون بـــه "توحـــد الآداب فى العالم فى الأنواع الأدبية والأصول الفنية ، والغايات الإنسانية ، بحيث تندمج فى بعضها اندماجا تتمحى معه كل الحدود الفاصلة بين الآداب سوى حدود اللغة وموجبات البيئة ".

(*) نشرت هذه الدراسة بجريدة المدينة السعودية فى ثلاث حلقات .

١ــ ١٥ من رجب سنة ١٤٠٨هــ ٣ مارس سنة ١٩٨٨م العدد ٧٦١٤ .

٢ــ ٢٢ من رجب سنة ١٤٠٨هــ ١٠ مارس سنة ١٩٨٨م العدد ٧٦٢١

٣ــ ٢٩ رجب سنة ١٤٠٨هــ ١٧ مارس سنة ١٩٨٨م العدد ٧٦٢٨ .

• والطموح إلى " الأدب العالمى " المتوحد . كما يتصوره جوته وأنصاره يعد أمرا بعيد المنال ، وغاية تستعصى على الوسائل ، ويستحيل تحقيقها ، فلكل أديب ذاته المستقلة ، وموهبته الفريدة وأدبه الخاص ، وبيئته التى تحمل خصائص نفسيه وفكرية وفنية تتلاءم مع مزاجه وهو صدى لها ، ومن المخالف لقوانين الطبيعة البشرية أن تتحد طبائع البشر ، وتتوحد أمزجتهم ، وتتشكل خيالاتهم فى تصميم واحد ، وأما " عالمية الأدب " فيمكن تحقيقها ، وليس معنى العالمية أن ينفصل العمل الأدبى عن خصائص بيئية ، ويسمو فوق مشاكلها ، ويحلق بعيدا عن آفاقها ، بل من أسباب تفوق العمل الأدبى وعالميته أنه يكون أبن بيئته ، وأن يصورها ، بعمق وصدق فنى خالص .

• والواقع أن ما يحدث بين الآداب من تقارب فى التناول الأدبى رؤية وأداء يكون بدافع من تبادل التأثير والتأثر ، وكما تلتقى الآداب ، وتتلاقح وتتكاثر ، يلتقى الأدباء ، ويتغذون من نتاج بعضهم البعض ، فيحدث التفاعل والاندماج.

" والأدب العربى " فى هذا العصر ــ كما كان يطمح " أحمد أمين ، وزكى نجيب محمود " وقد تحقق بعض ما أراده فى حاجة إلى أن يضع عينه على الآداب الآخرى ، ويستفيد من موضوعاتها واتجاهاتها ، ويستلهم بعض نماذجها كما تفعل كل أمة حية الآن ، فلم تترك أدبا من الآداب الشرقية والغربية إلا أعلمت قومها به ، ووقفتهم عليه ، وذكرت لهم خصائصه وعيوبه ، ومميزاته ، ونقلت شعره شعرا ، ونثره نثرا .

وعرفتهم بأشهر رجاله ،وترجمت أقوام آثاره ، فلو شاء انجليزى أو فرنسى أو ألمانى ، أن يعرف أى أدب صينى ، أو يابانى أو هندى ، أو

فارسى ، أو عربى ، أو أى أدب آخر لوجد من كل ذلك الأدب الكثير بلغته ، ووجد المطولات والمختصرات ، والمجموعات ، والمتفرقات ، واستغل أدباء كل أمة هذه الآداب المعروضة خير استغلال ، فاستغلو ألف ليلة وليلة ، ورباعيات الخيام والشعر الجاهلى ، والقصص الهندى ، وكل يوم يزيدون من ثروتهم ونتاجهم ، وأخرجوا المجموعات الواسعة فى قصص العالم ، والكتب الكبيرة فى أهم آداب العالم ، وهكذا حتى لم يعد الأدب ملك الأمة التى أنتجته ، بل أصبح ملكا مشاعا لكل أمة يقظة تستثمره ، وتستغله ، وأصبح شأن الآداب شأن البريد ،وغلات العالم ، والمستكشفات الطبية والعلمية ليست ملكا لأحد ،حتى ولا مخترعها . بل هى ملك لكل أحد شاءها واستطاع الاستفادة منها [١] .

- **والتأثير يتخذ عدة مظاهر منها :**

(١) ***التأثير الشخصى*** :

حيث يتأثر أديب ما بالحياة الشخصية لأحد الأدباء الكبار ، ويحتذى حذوه ، ويتخذ من سلوكياته نموذجا لحياته ، أو أن تحتل شخصية أدبية مكانة مرموقة فى عصرها فيتأثر بها الأدباء ، وذلك كتأثير "جان جاك روسو" بشخصيته التى اتسمت بالمهابة والوقار فى الآداب الأوروبية ، والعقاد فى منهجة النقدى ، وفى منهج حياته المتسم بالصرامة والعنف والعزوف عن الزواج يشبه منهج "هازلت" الناقد الإنجليزى ، فقد كان "هازلت " عنيفا فى نقده لأكثر ما يكتب معاصروه وقد قال عن نفسه " أنا لا

---

(١) انظر : قصة الأدب فى العالم لأحمد أمين ، وزكى نجيب محمود . وانظر الدراسة الأولى بهذا الكتاب .

شئ إذا لم أكن نقادة " وكان يقول ما فى نفسه بصراحة تامة ، ولم يكن يستطيع الكتابة من غير صراحة ، وكان يصور معاصريه كما يراهم ، ويجعل من أخطائهم وهفواتهم جزءا مهما فى الصورة ، لايحابى ولا يجامل ، ولا يتأول أو يقبل معذرة [١] .

- وقد تأثر " جبران خليل جبران " بالشاعر الإنجليزى " وليم بليك " وأعجبه من حياته هدوؤه العائلى ، ومشاركة زوجته له فى التأملات الفنية ، ومعاونتها له فى فنه بقد استطاعتها ، وقد ظهر هذا الأثر فى كتابات جبران وفى أخيلته التى تجول فيما وراء الحس وتجسم المعنويات .

- وتأثير " العقاد وطه حسين والرافعى وأمين الخولى " فيمن أتى بعدهم من الأجيال أمر واضح ملموس حتى كاد أن يكون لكل منهم مدرسة مستقلة به فكرا وأسلوبا ومنهجا ، بل وسلوكا شخصيا .

(ب) **التأثير الفني :**

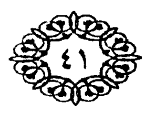
وأوضح مثل لذلك تأثير القصص التى كانت ذائعة فى العالم الإسلامى ، وتتخذ من الرحلات وعجائب المخلوقات مادة لها فى الآداب الأوروبية ، وقد أقبلت أوروبا على هذا اللون من الأدب .

إذ كانت تجاربها فى الرحلات والأسفار قليلة ، فاستهواها هذا الأدب ، وقد ساعد على نقل هذه الأقاصيص التجارة وجنود الحروب الصليبية [٢] .

- ويدخل فى نطاق التأثير الفنى تأثير فن المقامات العربية فى الأدب الأسبانى ، وتأثير قصة ألف ليلة وليلة والسندباد فى الآداب الأوروبية ،

---

(١) انظر : فى الأدب الحديث ص ٢٥٤ عمر الدسوقى .
(٢) د / طه ندا : الأدب المقارن ص ٨ / ٢ .



وتأثير قصص كليلة ودمنة فى "لافونتين " الفرنسى . حيث اقتــبس منهــا كثيرا من أساطيره ، وكذلك تأثير مسرحيات شكسبير فى أصحاب المذهب الرومانتيكى من الفرنسيين .

(جـ) التأثير الفكرى :

ومن ذلك تأثير الأفكار الروحية الشرقية فى "جوته" الألمانى ، وتــأثير الأفكار الإسلامية فى أدبه . وذلك بعد اطلاعه عليها ومعرفة قيمتهــا فــى تجميل الحياة واسعادها ، وكــذلك تــأثير أفكــار " فــولتير " فــى الآداب الأوروبية.

- وفى أدبنا المعاصر يبدو التأثير الفكرى والفنى واضــحا فــى أدب نجيب محفوظ . حيث تأثر " ببلزاك واميل زولا " فى كتابه " قصة الأجيال المتعاقبة " حيث كتب نجيب قصة " خان الخليلى ، وزقاق المدق ، ثم بين القصرين ، وقصر الشوق ، والسكرية ، وهذه القصص الــثلاث تصــور نماذج بشرية عاصرت أخطر فترة فى تطور حياة مصــر فــى العصــر الحديث ما بين عام ١٩١٧م ، وعام ١٩٤٤م ، وكذلك " محمد فريــد أبــو حديدة " يبدو تأثيره بالنزعة القومية العاطفية والوطنية التى ســادت فــى أوروبا .. فى نتاجه القصصى مثل قصة " زنوبيا" وقصة " المهلهل" وقصة "سنوحى" والتأثر بالاتجاهات الواقعية والفلسفية للقصص العالمية يبدو فــى كثير من النتاج القصصى ومن ذلك قصة "أنا الشعب " لمحمد فريــد أبــو حديد ، وقصة " عودة الروح " لتوفيق الحكــيم ، وقصــة "الأرض" لعبــد الرحمن الشرقاوى [١] وفى الشعر وبخاصة فى جيل الشعراء الذى أتى بعد

---

(١) انظر كتاب : الأدب المقارن . د / محمد غنيمى هلال .

شوقى وزملائه نجد تأثير مدرسة "النبوءة والمجاز " واضحا فى شعراء مدرسة الديوان . وشعراء مدرسة أبولو ، ومن رواد هذه المدرسة " جون ستيوارت مل " وشيلى ، وبيرون ء وورد زورث ، وقد خلفت هذه المدرسة مدرسة قريبة منها تجمع بين الواقعية والمجازية وكان لها تأثيرها أيضا فى الشعراء الذين أتو بعد شوقى . ومن رواد هذه المدرسة امرسون ، وبو ، وويتمان ، وهاردى " [١] .

(د) التأثير فى الموضوعات "

كتأثير الشعر العربى الغنائى فى المدح فى الأدب الفارسى ، ومثل تأثير الأدب الأندلسى فى الأدب الأسبانى فى موضوعات الشعر الشعبى ، ومثل تأثير الأدب الأسبانى فى الأدب الفرنسى فى القرن السابع عشر ، وموضوع "كليوباترا" وتناول الأدباء لهذه الشخصية كان ترجمة لظاهرة التلاقى بين الآداب، وقد أراد "شوقى" أن يصور "كليوباترا" تصويرا ينقذها من صورتها فى الآداب الأوروبية . فقدمها مخلصة لوطنها . تحيا وتموت لمجد مصر . وتأبى أن تسام الذل [٢] .

— ٣ —

- وظواهر التأثير المتعددة : الشخصية والفكرية والفنية والموضوعية تدفع بها إلى الوجود الفعال فى التلاقى ما بين الآداب عدة عوامل : منها ما

---

(١) انظر : شعراء مصر وبيئاتهم فى الجيل الماضى للعقاد وكتاب فى الأدب الحديث لعمر الدسوقى .

(٢) انظر تفاصيل ذلك الموضوع بكتاب : الأدب المقارن د / محمد غنيمى هلال.

يعد ظواهر عامة .. ومنها ما يعد ظواهر فنية تمثل ثمرة هذا العناق الحميم بين الآداب المتعددة .

- **فأما العوامل التى تعد ظواهر عامة تساعد** فى التقريب ما بين الآداب فهى عديدة ومنها :

(١) التطلع إلى ارتياد الآفاق الأدبية الجديدة .

فالتطلع إلى التجديد ، والنزوع إلى الرقى فطرة إنسانية خالصة ، وكسر حلقة الجمود بالدعوة إلى الاستفادة من نفائس الأمم الأخرى ، وبخاصة فى مجال الآداب الجديدة . وقد حدث هذا النزوع إلى التجديد فى العصر العباسى ، حيث تبادلت الأمة العربية مع الأمم المجاورة لها التأثير والتأثر.

- ومن الطبيعى أن ينشأ صراع رهيب بين المحافظين والمجددين ،أو أنصار القديم وأنصار الجديد ، وكل يدلى بحجته ، والغلبة تكون دائما لأنصار الجديد الذين تتسم دعوتهم بالحفاظ على استقلال شخصيتهم الأدبية ، أما إذا كانت دعوتهم مشوبة بالتطرف والمغالاة فالفشل مصيرها لأنها بعدت عن الأصالة التى يتطلبها كل عمل أدبى .

- وفى العصر الحديث رأينا الأمة العربية والإسلامية تشعر بحاجتها إلى تجديد ثقافتها ، وذلك بمزجها بعناصر الثقافة الأوروبية ، وقوبلت هذه الدعوة التغريبية بهجوم عنيف من أنصار القديم مما زاد من تطرف المجددين ومغالاتهم فى دعوتهم ، حتى أن بعضهم جذبه بريق الآداب الأوروبية ، وتصور أن الأدب العربى فقد أصالته بجوارها ، ودعا إلى هجر تقليد الأدب العربى . والاتجاه إلى الأدب الأوروبى .

• وكان فى مقدمة أنصار التجديد د / طه حسين . الذى فتن بـالأدب الفرنسى وبالثقافة اليونانية وكذلك كان لطفى السيد ، وجورجى زيـدان ، وسلامة موسى ، من أنصار النزعة التغريبية ، وبـالرغم مـن تطـرف دعوات التجديد فان واجبنا القومى يحثنا على الانفتاح على التراث العالمى ، وعدم الانفصال عن تراثنا بحيث نجمع بين الأصالة والمعاصـرة فـى مسيرتنا الأدبية ، فالأديب العربى لا تكتمل رؤيته ، ولا تتضح موهبته إلا بعد الإطلاع على التراث الإنسانى والإلمام بالثقافات القديمـة والحديثـة ، والتعرف على النبض الحقيقى لفنون الآداب الأجنبية ، والوقوف على سر تميز الأعمال الرائدة فى العالم من شعر وقصة ومسرح .

• والتأثر بهذه الآداب لا يكون عن طريق محاكاتها فى غير وعـى أو بارادة فنية مسلوبة ، وإنما يكون بتمثل الخصائص التى تميز كل أمة عـن غيرها ، وتصبغ الوجدان والفكر بالصبغة التى لا تخـتلط بغيرهـا ، ولا تذوب فيما سواها .. ومن هنا يكون التأثير إيجابيا ، أما التقليد الأعمـى ، والمحاكاة الآلية للثقافة الأجنبية . فلا يجنى الأديب من ذلك سوى التبعيـة المطلقة ، وفقدان معالم الشخصية المستقلة ، وهذه قمة التأثير السلبى [١] .

(ب) الشعور بالاغتراب الزمانى والمكانى ...

وهذا الشعور ينمى فى نفس الأديب النزوع إلى الهجرة .. وهى عامـل فعال فى التلاقى بين الآداب . وتبادل التأثير والتأثر . وهى فى صـورتها المادية تنشأ عن الكوارث الطبيعيـة أو سـوء الأحـوال الاقتصـادية أو الاضطرابات السياسية.

---

(١) من حوار مع كاتب هذه الدراسة نشر بجريدة الندوة السعودية حول أهميـة الثقافة الأجنبية للأديب العربى مكة المكرمة ١٤٠٧هـ

• وفى أدبنا العربى الحديث "كانت تجربة المهجر الأمريكى مجالا خصبا للشعراء الذين هاجروا من سوريا ولبنان إلى أمريكا هربا من سوء الأحوال الاقتصادية ، وطلبا للكسب المادى ، وأملا فى الحرية التى يعبرون فى ظلالها عن مبادئهم ، واستطاعوا أن يضيفوا إلى مضامين الشعر العربى وأشكاله الفنية مضامين جديدة وأشكالا متطورة ، وموسيقى آسرة " (١)

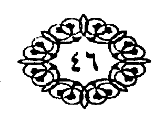
فأدب المهجر أسمى نوع لأدب الغربة " فالنائى عن الوطن ... النازح الدار ... البعيد المزار ، يحمل على كاهله هموما أثقل على نفسه من الجبال ، إنه متعلق بكل ذرة ضوء فى وطنه ، ومن هذه النافذة يخرج ضوء الإبداع ، وتنطلق شرارة الفن ، فإذا بأصداء الحنين موجات موسيقية تهز الرواسى ، وإذا بهذه الموسيقى تصبح — حين تقام الحواجز بين الإنسان وبين رغباته — رعدا يزلزل كيان المعوقين ، وانفجارا يلتهم الأخضر واليابس ، فأدب الغربة حنين فضجيج فرعد فانفجار ، ورواد النهضة الشعرية مثل البارودى وأحمد شوقى وغيرهما كان ابداعهم فى غربتهم على مستوى عال من الجودة الفنية ، وما زال بيت شوقى يدوى صداه فى زوايا الكون .

ويا وطنى لقيتك بعد يأس   كأنى قد لقيت بك الشبابا(٢)

---

(١)انظر : مقالات وبحوث فى الأدب المعاصر . دار المعارف بالقاهرة ١٩٨٤ د/ صابر عبد الدايم

(٢)من حوار مع كاتب هذه الدراسة نشر بجريدة " الرأى العام " بالكويت ١٩٨٨م.



• **والرومانتيكيون** فى نزعتهم وتشوقهم إلى عـالم أفضـل شـعروا بالاغتراب المكانى ، وأصبح هذا الشعور صورة من صور الخيال التـى يعبر بها **الرومانتيكى** عن ضيقه بالواقع الذى يعايشه حيث يشعر بحاجتـه إلى الفرار من بيئته ، ويختار لنفسه بيئة أخرى يحيا فيها بروجه ، وهو فى هجرته إلى البيئة المثالية الجديدة لا يتحرى الواقع ولكن تصنعها أحلامه ، وربما تكون هذه الهجرة عقلية بدافع من احساسه بالغربة الفكرية والثقافية ،أو تكون هجرة فنية حيث ينعم بالمشـاهد الآخـاذة ، والمنـاظر الفاتنـة يقول "جيراردى نرفال" " لكل فنان وطن مثالى غالبا ما يكون بعيدا عـن وطنه الأصلى ترتاح إليه موهبته الفنية " .

• ويمثل الحنين إلى الشرق صورة من صور الاغتراب المكانى عنـد الرومانتيكين ، فقد فتنوا بطبيعة الشرق الجميلة ومناظره العجيبة ، وشمسه الوضاءة المشرقة ، وبعضهم كان يتحسر إذا لم تتح له الفرصـة لزيـارة الشرق مثل "فلوبير" الذى كان يقول " ربما لا أرى أبدا الصين ، ولا أنـام أبدا على ظهر الجمال فى خطوها المنتظم ، ولا أرى فى الغابـة عيـون النمر تلتمع ــ جاثيا ــ بين فروع الخيزران " .

• وقد رأى " فكتور هوجو" أن الشرق عالم ساحر مشرق . فهو جنـة الدنيا ، وهو الربيع الدائم مغمورا بوروده ، وهو الجنة الضاحكة ، ويمتاز الشرق عنده بأن الله وهب أرضه زهورا أكثر من سواها ، وملأ سـماءه نجوما أغزر ، وبث فى بحاره لآلئ أوفر [١] .

---

(١)انظر " الرومانتيكية " د/ محمد غنيمى هلال دار العودة بيروت ط ٦ ١٩٦١م

(جـ) الفتوحات العسكرية وما تخلفه من آثار الغزوات والحروب :

• وهذه الفتوحات فى صورتها الإيجابية تعد مظهرا من مظاهر تلاقى الآداب وعاملا مؤثرا فى تلاقحها وتكاثرها .. والفتوحات الإسلامية فى أوج الحضارة الإسلامية خير مترجم لذلك، والحروب برغم الدمار الذى تنشره فانها تخلف تراكمات ثقافية وأدبية حيث تلتقى الشعوب . وتتلاقح الآداب ، وتتكاثر المعارف ، وعقب كل حرب ينتج أدب ذو طعم جديد ، ومضامين جديدة ، فالحروب الصليبية قد أتاحت للفرنسيين أن يطلعوا على نوع من القصص الشعبى العربى أثر فى الأقصوصات الشعبية لأدب فرنسا فى العصور وسموه "الفابليو" .

" ويستشهد "جب" على الأثر العميق التى تركته القصص الشرقية فى طريقة التفكير فى القرن الثامن عشر بما ذكره "وارفون" فى كتابه : تاريخ الشعر الإنجليزى الذى كتب حوالى سنة ١٧٧٠ م وذهب فيه مؤلفه إلى أن الحركة الرومانتيكية فى العصور الوسطى هى بلا ريب نتاج عربى خالص"(١) .

• والحرب العالمية الأولى والثانية أحدثتا نوعا من التلاقى بين الآداب الأوروبية والأدب العربى فظهرت المدرسة "الرومانسية" فى الأدب العربى الحديث ، وكانت مدرسة الديوان ومدرسة أبولو وجهين متميزين يمثلان ثمرة هذا التلاقى بين الآداب : يقول العقاد عن مدرسة " الديوان " " هى مدرسة أوغلت فى القراءة الإنجليزية ، ولم تقصر قراءتها على أطراف من

---

(١) الأدب المقارن . د / طه ندا ص ٢٢٢ .

الأدب الفرنسى وهى على ايغالها فى قراءة الأدباء والشعراء الإنجليز لم تنس الألمان والطليان والروس ، والأسبان واليونان واللاتين والأقدمين "[١]

- ثم ظهرت عقب الحرب العالمية الثانية " مدرسة الشعر الحر " متخذة النهج الأوروبى فى القصيدة شكلا ومضمونا نهجا لها .

- والصراع العربى الإسرائيلى جعل بعض المثقفين يدرسون اللغة العربية ، ويقفون على اتجاهات الأدب العبرى ،وتاريخه وخصائصه ، وأدى ذلك إلى انتشار المؤلفات العبرية التى توضح هذه الاتجاهات ، وتلك الخصائص ، ونشرت كثيرا من البحوث الأدبية عن الأدب العبرى فى المجلات المتخصصة، وأنشئت أقسام بالجامعات العربية لدراسة اللغات الشرقية وآدابها ومنها الأدب العبرى والفارسى والأوردى ،وكل هذه الجهود من شأنها أن تساعد على التلاقى الفعال بين الآداب حيث ينتج عنه تأثير وتأثر يؤدى بها إلى ارتياد دروب جديدة فى الشكل وفى المضمون مع احتفاظ كل أدب بخصائصه التى تميزه عن سواه.

- وللفتوحات وجهها الحضارى برغم ما يتخلف عن الحروب والغزوات من آثار سلبية أحيانا حيث تنقل هذه الفتوحات خبرات الفاتحين وتجاربهم . وبخاصة إذا كان الغزو فتحا وتخليصا للبلاد من ظلم جاثم على صدورهم ، فالغزو الإسلامى لبلاد الفرس أحدث آثارا كبيرة فى أدبهم فى اللغة وفى الآخيلة وفى المعانى : والأمثلة على ذلك كثيرة ، ويكفى أن نعرف أن اللغة الفارسية تحولت حروفها إلى العربية بعد الفتح الإسلامى

---

(١) شعراء مصر وبيئاتهم . عباس العقاد ص ١٩١.

لبلاد فارس ، وقد دخلت الألفاظ الفارسية فـي اللغـة العربيـة وعربـت وصارت من مكونات المعجم العربى ومنها:

- الابريق : معرب آبريز أى ما يصب الماء (آب ريز) .
- الأبهة : العظمة والبهجة : معرب آب بها ومعناه الجمال والحسن .
- البخت : حسن الحظ : واشتق منه العرب ألفاظا مختلفـا فقـالوا : بخيت ومبخوت .
- وقد وردت ألفاظ فارسية فى الشعر العربى كقول أبى نواس .

يـا نـرجس وبهـارى　　　بـده مـر ايـك يـارى[(١)]

ومعناه :

يـا نرجسـى وربيعـى　　　أعطنـى ولـو مـرة واحـدة

- ويقول العمانى فى مدح الرشيد :

من يلقه مـن بطـل مسـرند　　　فـى زغفـة محكمـة بالسـرد

يجول بين رأسه و " الكرد " يعنى العنق [(٢)] .

- وقد أثر الفتح النورماندى فى انجلترا فـى القـرن الحـادى عشـر الميلادى ، وبه صارت الفرنسية لغة البلاط والقضاء واللغة الرسمية للدولة ، كذا غزو فرنسا لمصر أحدث أثرا كبيرا فى مسـيرتها الثقافيـة حيـث

---

(١) الأدب المقارن . ص ٧٩ د / طه ندا .
(٢) انظر البيان والتبيين الجاحظ ص ٨٩ ، ٩٠ جـ ١ .

ظهرت المطابع ، وانتشرت الكتب المترجمة ، واطلع المثقفون على الأدب الفرنسي وآفاقه الجديدة.

- وكما قلت لكل أدب خصائصه وهو يستفيد من الآداب الأخرى لتتأكد أصالته ولا يذوب فيما سواه من آداب ، فيغدو مسخا شائها . لا لون له ولا طعم .. وما هكذا يكون الأدب الأصيل لأى أمة لها أصالتها الفريدة .

- وأما الظواهر الفنية التى تمثل ثمرة العناق الحميم بين الآداب فهى متعددة ومنها :

(أ) الوقوف على أسرار اللغة والكشف عن اتجاهاتها وخصائصها.

- وقد تبادلت اللغة الفارسية واللغة العربية التأثر والتأثير ، ومثل ذلك "الزرافة " يطلق عليها الفارسيون لفظ "اشتركا وبلنكث " وهم بهذا اللفظ ينظرون إلى شكل الزرافة ، ويرون أنها تجمع بين الناقة الوحشية والبقرة الوحشية والضبع (اشتر بمعنى بعير ، وكاو بمعنى : بقرة ، وبلنكث بمعنى ضبع) ولفظ "النعامة" معناه بالفارسية "اشترمرغ" وهو لفظ اشتقاقى : اشتر بمعنى "جمل " ومرغ بمعنى "طائر" فالنعامة تجمع بين شكل الجمل وشكل الطائر .

- ومن ثمار التأثير اللغوى أن الفارسيين تحولوا من الكتابة بالخط الآشورى والآرامى إلى الكتابة بالخط العربى ، وكان هذا الاتجاه ذا أثر كبير فى تيسير الثقافة العربية على متعلميهم ، وفى تسهيل تداول الكلمات العربية بينهم ،وفى التشجيع على قراءة الكتب العربية والتأثر بها ، وما لبث أن أثرت الأصوات والحركات العربية بصورتها الكتابية فى تغيير نطق بعض الكلمات الفارسية ، وفى اضافة ألف الوصل فى أول الكلمة ،

تفاديا من البدء بحرف ساكن كما كانت عليه اللهجات الإيرانية من قبـل ، وفى تأثير القواعد النحوية فى الألفاظ والتراكيب الفارسية .

- وقد أثر الوزن الشعرى العربى فى أوزان الشعر الفارسى .

- ويروى أن الشاعر العربى " يزيد بن مفرغ كان قد غضب عليه عبيد الله بن زياد أمير البصرة فى عهد يزيد بن معاوية " فأمر أن يطاف به فى الشوارع والأسواق . وسار الأطفال يقولون " أين شيست .. أين شيست " اى "ما هذا"؟

فأجاب الشاعر بالفارسية :

آب است ونبيذ است عصارات زبيب است

سمية روسبيد است

ومعنى الأبيات ، هو ماء ونبيذ ، وعصارات زبيب، سمية بغى ، تعريض بجدة ابن زياد ، ووزن هذا الشعر متردد بين الوافر والهزج فى العروض العربى.

- وقد انشد الخراسانيون ساخرين من أسد بن عبد الله القسرى حاكم خراسان فى عهد الخليفة الأموى : هشام بن عبد الملك لهزيمته فى الحرب أمام خاقان الترك عام ٧٢٦م .

ازختلان آمدى برتيساه آمدى
آبار باز آمدى خشك نزار آمدى(١)

---

(١)انظر كتاب الأدب المقارن ، وكتاب مختارات من الشعر الفارسى د/ محمد غنيمى هلال . وانظر تاريخ الطبرى جـ ٣ ص ١٦٢ .



ومعنى هذه الأبيات بالعربية :

من ختلات عدت ، على قسماتك الخسران عدت ، مضطربا ذاهلا عدت ، جاف العود هزيلا عدت .

• وقال أسود بن أبى كريمة مازجا بين اللغة الفارسية واللغة العربيـــة من قصيدة له على وزن الرمل المجزوء

لـــــزم الغـــــرام ثـــوبى	**بكـــرة فـــى يـــوم ســـبت**
فتمايلـــــــت علـــــيهم	**ميــــل زنكـــى بمســـت**
قـــد حســـا الـــداذى صـــرفا	**أو عقـــارا بـــا يخســـت**
ثـــــم كفـــتم ذو زيـــاد	**ويحكـــــم ان خركفـــــت**
ان جلــــــدى دبغتـــــه	**أهـــل صـــنعاء بحفـــت** [1]

• وهذه الظاهرة اللغوية اذا دلت على تداخل اللغات وجسمت الامتزاج بينها ، فهى فى الوقت نفسه لا تعد عامل قوة لغوية ايحائية وبخاصة فـى الحقل الأدبى لأنها تكون فى مجال الفكه والتملح كما قال الجـاحظ " وقـد يتملح الأعرابى بأن يدخل فى شعره شيئا من كلام الفارسية " .

• وعلاقات الدول مع بعضها تتحكم فى مدلول الألفاظ . ومـن هنـا تكتسب الألفاظ ايحاءات جديدة ، فالشعب الايرانى فى أعقـاب الفتوحـات الإسلامية يتأثر بالألفاظ العربية فى ظلال الإسلام ويحولها إلى مـدلولات تتفق مع ميوله الدينية ومعتقداته المذهبية فكلمة "ملة " فى اللغـة العربيـة بمعنى شريعة . وقد تحول هذا اللفظ عندهم إلى معنى الشعب . فلفظ " ملت إيران " معناه " الشعب الايرانى" ، ولفظ " بسـمل " فـى اللغـة العربيـة

---

(١) انظر كتاب البيان والتبيين للجاحظ ص ٩٠ جـ ١ .



اختصار بسم الله ، وفى الإيرانية بمعنى "الحيوان المذبوح " لأن الحيوان لا يحل أكله فى الإسلام بعد ذبحه إلا إذا ذكر اسم الله عليه . يقول تعـالى : ﴿ ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه ﴾ .

• ولفظ "بسملكاه " معناه مكان الذبح ، فاللفظ يدل على صفة الحـدث ومكانه ، ولفظ "بسمل كردن " بمعنى يذبح .

• والكلمة التى تفيد معنى " الشعر " فى اللغات السامية واحدة ومأخوذة من أصلها العربى مع قليل من التحريف طرأ عليها بعد انتشار السـاميين فى وادى النهرين وبادية الشام وأرض كنعان " وإلى هذا الرأى مال كثيـر من علماء اللغات السامية وفى مقدمتهم كما يقول العقاد العالم مرمر مجى فى كتابه " المعجميات يقول " ان لفظة الشعر كانت تدل قديما على الغنـاء وإن لم ترد بهذا المفهوم فى المعاجم التى بين أيدينا ، وبعد تحليل للكلمـة وتطورها فى اللغة الأكدية والعبرية والآرامية يعلـق العقـاد قـائلا " ولا غرابة فى أن تكون كلمة "الشعر" فى لغة الجزيرة سابقة لمرادفاتهـا فـى وادى النهرين وأرض كنعان لأن الجزيرة كانت مصدر الهجرات المتوالية إلى تلك المواطن كما تواتر فى أشهر الأقوال .[1] .

(ب) الترجمة :

ان الترجمات من أكبر العوامل الفنية التى تقرب ما بين الآداب ، وفـى البلاد الأجنبية وعلى الأخص فى البلاد الانجليزية الساكسونية قد سلكت فى هذا طريقة أكثر منهجية ، فأنشـأت قـوائم للمراجـع تجمـع الترجمـات

---

(١) انظر كتاب الثقافة العربية أسبق من ثقافة اليونان والعبريين للعقـاد ص١١٥ ــ ١١٧ .

الانجليزية للمؤلفات الألمانية "باك مورجان سنة ١٩٢٢م " ، والنقول الفرنسية للروايات الانجليزية فى القر "١٨" الثامن عشر (هـ . ولستريتر ١٩٣٦م) والترجمات الألمانية للآداب الانجليزية فى القرن "١٨" الثامن عشر "م . و . ل يرايس ١٩٣٤م " [١] .

- والترجمة تنمى الوعى القومى ، وتقرب ما بين الأمم . ولنأخذ مثالا على ذلك " الأدب الأفريقى " لقد ظل بمنأى عن الأدب العربى حتى نهاية الحرب العالمية الثانية ثم اهتمت به دور النشر الأمريكية والانجليزية والفرنسية والروسية رغبة فى اكتشاف أفكار أبناء شمال القارة عن جنوبها امعانا منهم فى تفتيت هذه الشعوب واثارة الدعوى العنصرية التى تفرق بين الأبيض والأسود.

- فترجمة الأدب الأفريقى إلى اللغة العربية ينمى الوعى القومى ويقوى من الروابط الإسلامية بين أبناء القارة الواحدة ، والأدب الأفريقى غنى بأنغامه وبألوانه ، وبفن النحت يقول الكاتب الغانى (ج . كوابينا نكيتا) " ان الموسيقى التقليدية فى أفريقا هى فى الأساس موسيقى شعبية تنظم وتمارس باعتبارها شأنا متكاملا من شؤون الحياة اليومية ، فالمرء يسمع موسيقى أينما ذهب . فالأم تغنى حين تهدهد طلفها ، وكذلك البائع الجائل يجذب انتباه زبائنه بالأغنية ، كما يمارس الرجال الموسيقى بأنفسهم فى الأماكن المتعددة ، أو يستمعون إليها من الموسيقيين الجائلين " [٢] .

- ويرجع ازدهار الأدب العربى فى العصر العباسى إلى الاتصال الخصب المثمر بين الثقافة العربية وبين ثقافات الأمم التى دانت للفتح

---

(١) الأدب المقارن ف . جوبار ص ٥٩ .
(٢) انظر " من الأدب الأفريقى" ص ٣٢ .

الإسلامى ونعمت فى ظلاله بالحضارة والرقى وكان المنصور أول خليفة ترجمت له الكتب من اللغات العجمية إلى العربية ومنها كتاب " كليلة ودمنة " وكتاب " السند هند " . ونشطت الترجمة فى عصر الرشـيد والمـأمون نشاطا ملحوظا ، وانشئت دار الحجكمة ، ووظفت بها طائفة من المترجمين ، وجلبت الكتب إليها من بلاد الروم ، وقد ألحق "المأمون بـدار الحكمـة مرصده المشهور وحوله إلى ما يشبه معهدا علميا كبيرا [*] .

• وقد أثرت هذه الحركة العلمية فى مجال الترجمة فى عقلية العباسيين ، وأثرت فى الأدباء والشعراء ، ولعلنا لا نبعد اذا قلنا إن الهجاء القصـير الذى شاع عند بشار بن برد وحماد عجرد وأضرابهما ، انما نشأ من هـذا التأثير بمعانى الفرس وأمثالهم [١] .

• وأمثال "بزرجمهر " الوزير الفارسى نقلت إلى العربية . ودارت فى كتب الأدب ، وتمثل الشعراء كثيرا من معانيها ، وقد كان فى ديوان صالح بن عبد القدوس ألف مثل للعجم .

• وقد تأثر الشعراء بالعقائد الفارسية القديمة ... فهذا أبو العتاهية يتأثر بالمانوية فى نظرية نشأة العالم عن أصلين هما النور والظلمة ، ومن النور نشأ كل خير ، ومن الظلمة نشأ كل شـر ، وأن أجنـاس الخيـر خـلاف لأجناس الشر ، وفى كل حاسة من حواس الإنسان جنس قائم بنفسـه مـن النوعين ، جنس مستقل عما يماثله فى الحواس الأخرى [٢] . يقول :

(*) انظر كتاب : العصر العباسى الأول د / شوقى ضيف .
(١) الفن ومذاهبه فى الشعر العربى ، د / شوقى ضيف .
(٢) انظر الحيوان للجاحظ جـ ٤ ، والملـل والنحـل للشهرسـتانى ص١٨٨ ، والعصر العباسى الأول لشوقى ضيف ص ٢٤١ .

لكـــل شـــئ معـــدن وجـــوهر	**وأوســـط وأصـــغر وأكبـــر**
وكل شـــئ لا حـــق بجـــوهره	**أصـــغره متصـــل بـــأكبره**
الخيـــر والشـــر همـــا أزواج	**لـــذا نتـــاج ولـــذا نتـــاج**
لكـــل انســـان طبيعتـــان	**خيـــر وشـــر وهمـــا ضـــدان**
والخيـــر والشـــر اذا ماعـــدا	**بينهمـــا بـــون بعيـــد جـــدا**

• وكذلك تأثر الشعراء بالثقافة الهندية ، وقد تسرب إليهم كثير من آراء الهنود وأفكارهم وقصصهم كقصة "بوذا" الذى هجر ملكه وساح فى الأرض عابدا ربه . وقد اتخذ منه أبو العتاهية مثلا للرجل الفاضل فقال :

يا من تشرف بالدنيا وزينتهـــا	**ليس التشرف رفع الطين بالطين**
اذا أردت شريف الناس كلهـــم	**فانظر إلى ملك فى زى مسكين[١]**

• ويتأثر ابو نواس بما يعتقده الهنود فى علم الطبائع فيقول فى هجـــاء بعض المغنين .

قـــل لزهيـــر اذا حـــدا رشـــدا	**أقلـــل أو أكثـــر فأنـــت مهـــذار**
سخنت من شدة البرودة حتـــى	**صـــرت عنـــدى كأنـــك النـــار**
لا يعجب السامعون من صـــفتى	**كـــذلك الـــثلج بـــارد حـــار**

ويقول ابن قتيبة " هذا الشعر يدل على نظر أبى نواس فى علم الطبائع . لأن الهند تزعم أن الشئ اذا أفرط فى البرد عاد حارا مؤذيا " .

---

(١) انظر ديوان أبى العتاهية ، وكتاب : الفن ومذاهبه فى الشعر العربى لشـــوقى ضيف .

- ويتأثر أبو نواس فى وصفه للخمر بعلم الفلك والتنجيم ، وبخاصة بما كان الهنود يعتقدونه فى هذا المجال : حيث يقول :

تخيــــرت والنجــــوم وقــــف	**لـــم يـــتمكن بهـــا المـــدار**
فلـــم تـــزل تأكـــل الليـــالى	**جثمانهـــا... مـــا بهـــا انتظـــار**
حتـــى اذا أمرهـــا تلاشـــى	**وخلـــص الســـر والنجـــار**
آلـــت إلـــى جـــوهر لطيـــف	**عيـــان موجـــوده ضـــمار**
كـــأن فـــى كأســـها ســـرابا	**تحيلـــه المهمـــة القفـــار**
لا ينـــزل الليـــل حيـــث حلـــت	**فـــدهر شـــرابها نهـــار!!** [١]

وهو "يريد أن الخمر تخيرت حين خلق الله الفلك ، وأصحاب الحســاب يذكرون أن الله تعالى حين خلق النجوم جعلها مجتمعة واقفة فى بــرج ثــم سيرها من هناك ، وأنها لا تزال جارية حتى تجتمع فى ذلك البرج الــذى ابتدأها فيه ، وإذا عادت إليه قامت القيامة . وبطل العالم (هكذا يزعمون)!!.

- والهند تقول " إنها فى زمان نوح اجتمعت فى الحوت إلا يسيرا منها ،فهلك الخلق بالطوفان ، وبقى منهم بقدر ما بقى منها خارج الحــوت" [٢] وواضح بطلان هذا المعتقد وذلك الزعم .

- وفى العصر الحديث يعنى بعض المستشرقين بنقــل نتــاج الأدبــاء العرب إلى اللغات الأجنبية ومنهم المستشرق الأسبانى "بيــدرو مــارتنيس مونتافيس " ويقول مدافعا عن الأدب العربى الحديث " فى الأدب العربى ، ولا سيما ما يتعلق منه بالقصة . ما يزال العقل الأوروبى يعيش باصـــرار

---

(١) ديوان أبى نواس ص ٢٧٤ .
(٢) انظر الشعر والشعراء لابن قتيبة ص ٧٧٤ والعصر العباسى الأول لشــوقى ضيف ص ١٢٨ .

فى الحكايات السحرية الغريبة التى تدور عليها " ألف ليلة وليلة " هذا العالم الذى يعج بالخوارق والمدهشات هو الذى يستهويه ، الا أن الخارقة الوحيدة التى يعنى بها الأديب العربى اليوم ، ولا سيما فى الظروف الراهنة التـــى نجتازها هى الوجود ــ الوجود الخاص والأساسى للإنسان . وفـــى هـــذه الأقاصيص العربية الجديدة لن تجد العقلية الأوروبية تصورات خياليـــة ، ولا أسماكا ذهبية تشطح عبر عوالم خياليه عجيبة ،فى هـــذه الأقاصـــيص العربية الجديدة ستجد الروح الإنسانية بكل بساطة وأعتقد أن هذا كاف ".

- وقد قام هذا المستشرق بترجمة سبع أقاصيص مختاره لســبعة مـــن الأدباء العرب المصريين وهم " نجيب محفوظ ــ يحيى حقى ــ محمد عبد الحليم عبدالله ــ يوسف ادريس ــ يوسف الشارونى ــ مصطفى محمود ــ حسين مؤنس " .
- كما قام بترجمة ٣٠ ثلاثين قصيدة لنزار قبانى تحت عنوان "قصائد غرامية عربية " .

وقام بترجمة "١٨" ثمانى عشرة أقصوصة مختارة لأدباء مـــن أقطـــار عربية متعددة وهم " محمود تيمور ــ محمد تيمور ــ نجـــاتى صـــدقى ــ يحيى حقى ــ محمود البارودى ــ عبد السلام العجيلى ــ عبد الله نيازى ــ عيسى الناعورى ــ يوسف ادريس ــ يوسف الشارونى ــ توما الخورى ــ ليلى بعلبكى ــ زكريا تامر ــ غادة السمان ــ عدنان الـــداعوق ــ أحمـــد مصطفى الهرشانى ــ ناجية تامر ــ ابن الواحة " [١] .

---

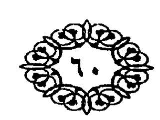
(١) انظر كتاب : فى الدراسات الأجنبية د / عيسى الناعورى .

(جـ) المصادر الأدبية والنقدية الحديثة :

وهى لها دور كبير فى التلاقى بين الآداب ، وتفاعلها ثم تطورها إلى الأفضل ، شريطة أن تعالج القيم النقدية فى الآداب المختلفة أو تعنى برصد المعايير النقدية فى أدب أمة ما ، وتبين مدى تأثرها بغيرها أو تأثيرها فيها.

- ومن الكتب التى أدت دورا فى هذا المجال كتاب " راسين وشكسبير تأليف استندال " وكتاب " من ألمانيا " لمدام "دى ستال" ، ومن الموقن به أن الباحث المقارنى يعنى بالدوريات المتخصصة فى الآداب الأجنبية وذلك كالمجلة البريطانية (١٨٢٥ـ ١٨٤٠م) التى تدرسها "كاتلين جونسى" (١٩٣٩م) ، والكتب النقدية التى تقارن بين الآداب فى الأدب العربى كثيرة ، ولكن المقارنة فيها غالبا ما تكون جزئية ، وأحينا افتراضية ، او متكلفة بعيدة عن التثبت التاريخى ، ومن الكتب البارزة فى هذا المجال كتاب " الأدب المقارن للدكتور محمد غنيمى هلال ، و "فن القصة" للدكتور محمد يوسف نجم ، وفن الشعر للدكتور احسان عباس ، وثورة الشعر الحديث د / عبد الغفار مكاوى ، و "التفسير النفسى للأدب د / عز الدين إسماعيل " وغيرها من الكتب التى تعنى بتقريب المسافات بين الآداب ، والبحث عن مواطن التلاقى بينها ،ومظاهر التأثر أو التأثير المتبادلة فيما بينها .

- ومن المجلات المتخصصة التى تعرض نماذج من الآداب الأجنبية أحيانا وتقارن بينها وبين نظيرها فى الأدب العربى مجلة "الشعر" المصرية ، وتعنى بكل ما يتصل بالشعر والشعراء ، وفى عدد يوليو ١٩٧٦م نطالع هذه الدراسات.



- العقاد وأسس النقد للشعر الأسطورى دراسة مقارنة د/ محمد عبدالحى .
- جيمس ستيورات . الشاعر الفلاح د / فاطمة محجوب .
- ميناس زيماكس والأرض المفقودة د / نعيم عطية .
- زنوبا " من الشعر الصومالى : عرض وتحليل " د / عبد الله متولى.
- الشعر الإيرانى المعاصر د/ محمد السعيد عبد المؤمن .
- الشاعرة الإيرانية " پروين اعتصامى " (١٩٠٦ــ ١٩٤١م) د / بديع محمد جمعه .
- شعراء اليهود ــ مصطفى حسين .
- وفى مجلة " فصول " التى تهتم بالنقد الأدبى والفنون الأدبية نطالع فى العدد الثالث أبريل ١٩٨١م هذه الأبحاث .
- استدارة الزمن عن جارثيا ماركيز ، ترجمة اعتدال عثمان .
- المنهج الأسطورى مقارنا ــ فريال غزول .
- التناول الظاهرى للأدب ، نظريته ومناهجه تأليف روبرت ماجليولا ترجمة د / عبد الفتاح الديدى .
- الهرمنيو طيقا ومعضلة تفسير النص ــ نصر أبو زيد .

<u>(د) الرحلات :</u>

وهى لها أثر عظيم فى نقل تجارب الشعوب بعد التعرف عليها ومعايشتها ، وهناك قصص يرويها الرحالون ، وكذلك أشعار نقلا عن البلاد التى طافوا بها، واختلطوا بشعوبها ، وتجسد هذه القصص خبرات

الشعوب وتجاربها ، وأحلامها التى تطمح إلى واقع مزهر بالعظمة والرخاء.

• وفى تاريخنا العربى الإسلامى عالمان جليلان انفقا حياتهما فى الترحل ، ونقل تجارب الشعوب الأخرى وهما " على بن الحسين بن على المسعودى ، وشمس الدين محمد بن عبد الله المكنى ، بابن بطوطة " .

• **يقول المسعودى** " وقد ركبت عدة من البحار ، كبحر الصين والروم والخزر والقلزم واليمن " ويقول " ان بحر الصين والهند وفارس واليمن متصلة مياهها غير منفصلة " .

وكتابه "مروج الذهب ومعادن الجوهر " مؤلف جامع فيه تراث العصر للعرب وسائر الأمم ، وفيه الاختيارات الشخصية بالاضافة إلى عنصر " الخرافة " أى الأساطير والرموز التى حفلت بها قصصه " فهو إلى جانب كونه كتابا فى التاريخ والجغرافية سفر فى الاجتماع والأدب " (١) .

• وابن بطوطة من طنجة بالمغرب ، وقد زار كل الدول العربية والإسلامية فى عصره ، فقد قصد مصر ثم غادرها متجها إلى فلسطين فالأناضول فشبه جزيرة القرم ، ومن هناك أبحر إلى القسطنطينية برفقة إحدى الملكات ، وانطلق إلى الهند عابرا بخارى ، وخوارزم ، وخراسان ، وكردستان ، وأفغانستان والهند والصين وسيلان والبنغال والملايو وسومطره ، وكانت ثمرة كل هذه الرحلات كتابه تحفة النظار فى غرائب الأمصار وعجائب الأسفار .. ، ومهما اختلف المفكرون حول هذا الكتاب وقيمته من الناحية التاريخية والجغرافية "فحسبه أنه أول من أجلى أسرار

---

(١) انظر : مروج الذهب للسعودى و " أدب الرحلة لجورج غريب " .

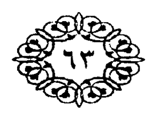


الأمم وأحوالها ، وكشف عن الكثير من مخبآتها ، ويكفيه ما جـاء لكبـار المستشرقين من أقوال فيه ، وقد أحلوه المرتبة اللائقة به بعـد أن تحققـوا بأنفهسم ــ وقد طافوا بالآمكنة التى عرفها ــ من مجهوده الجبار " [١] .

- وقد كانت للرحلات فى الزمن القديم قيمة تاريخية وفنية وأدبية رائعة ، أما فى عصرنا الحاضر فوسائل المواصلات الحديثة ، ووسائل الاعـلام المتقدمة قربت المسافات ، وأطلعت الإنسان على ما يريد وهو جالس فـى بيته ، ومع ذلك فإن الترحال فطرة إنسانية ، وقديما قال الشـاعر " سـافر ففى الأسفار خمس فوائد" ومن أدبائنا العرب من له ولـع بنقـل تجـارب الشعوب الحياتيه والفنية والأدبية ومنهم على سبيل المثـال لا الحصـر ، د / حسين فوزى ، أنيس منصور ، أمين الريحانى ، ميخائيل نعيمة .
- والأدباء الغربيون كتبوا عن الشرق " فهنرى بوردو" وهو أحد الهواة قد خصص مجلدين " لرحل الشرق " سنة ١٩٢٦م و كان مارى كاريـه " وهو أحد المتخصصين قد تتبع الرحل والكتاب الفرنسين فى مصر "سـنة ١٩٣٢م " وذلك مثل فولتيه الحالم الذى ينبذ الأحداث الشخصـية ليؤلـف رسالة عن أرض الفراعنة ، ومثل علماء حملة مصر الذين ألفوا عنها ذلك الكتاب الشهير "وصف مصر"[٢]
- وقد زار الشرق وبخاصة "العالم العربى" كثير من رواد الفكر والفن فى العالم الغربى " وقولناى الفرنسى " ابن الجيل التاسع عشـر ــ وهـو الأديب الذى جعل الكتابة على الشرق مقصورة على زيارته ،ويعد الفـاتح الأمثل لكل من حدثته نفسه بشك الريشة فى مطلع الشمس ولولا ذلك لمـا كان لشاتوبريان ، وللامرتين، ولوريس باريس . وسواهم شأن فى تلمـس دنيانا ، ولما كان عندنا أى مدى ــ من هذه الناحية ــ لكتابات الكثيرين من

---

(١) انظر تحفة الأنظار لأبن بطوطة وأدب الرحلة لجورج غريب .
(٢) الأدب المقارن ص ٣٥ ف جويار .



الأدباء الطالعين ، والموزعين على بلاد الغرب أمثـال فرنسـا وألمانيـا والنمسا وإيطاليا ، وأسبانيا ، وانجلترا .

- وبعض هؤلاء — الأدباء — زاروا الشرق لغاية فى النفس أو لعـدة غايات "فشاتوبريان" كان يهدف إلى ربط معالم الصـليبيين " فـى العـالم العربى " بمعالم بلاده ، ورغبة "لامرتين" الأولى كانت الأمل فـى اعـادة العافية إلى ابنته المريضة "جوليا" ، ويؤكد "لامرتين " أنه من أصل شرقى ، وأن اسمه الحقيقى هو "اللامرتين" أى بزيادة أل للتعريف التى هى عربية و "موريس باريس " يقول "ألا تزال آسيا حارسة تقاليد العالم وأحد أحلامه ؟ ولهذا سلكت الطريق إليها لأجعل من أوهامى حقائق تضئ ما فى رغبتى من ظلام " [١] .

- وكان للمستشرقين — برغم ما شاب حركتهم من دوافع مشـبوهة — دور لا ينكر فى الاتصال الأدبى الفكرى والحضارى بين الشرق والغرب ، وأغلبهم زار بلاد الشرق ، وعانى من الترحال ، ولكـن رحلاتـه كانـت مثمرة بالجهد الفكرى المبدع .

- ومنهم "دى ساس الفرنسى " منشئ الجمعية الآسيوية الفرنسية . وقد ترجم "كليلة ودمنة " ومقامات الحريرى ، وألفية ابن مالك ، والبردة .

- و"ماسينون" كان أستاذا لتاريخ الفلسفة فى الجامعة المصرية وعضوا بمجمع فؤاد الأول للغة العربية ، وألف "أخبار الحلاج والصوفية " .

- و "بلاشير" الفرنسى ، مؤلف ديوان " المتنبى " فى العالم العربى .

---

(١) أدب الرحلات : جورج غريب ص ١٤٦ .



- و" ادوارد براون " مؤلف "الطب عند العرب ، وتاريخ الأدب الفارسى من الفردوسى إلى السعدى " .
- و " مرجليوث " انجليزى ، وقد ترجم " معجم الأدباء " لياقوت الحمودى ، وديوان ، التعاويذى ، وحماسة البحترى .
- و" فيشر " ألمانى " وقد ترجم " ألف ليلة وليلة فى تسع مجلدات ، وتفسير القرآن للبيضاوى وعجائب المخلوقات للقزوينى .
- و" نولدكه " ألمانى ، ونه كتب "قواعد اللغة العربية ــ تقارب اللهجات ، تاريخ القرآن ، تاريخ عروة بن الورد " .
- والتلاقى بين الآداب تشتد أواصره ، كلما تقدمت وسائل الحضارة ، وارتقت مدارك الإنسان ، وتجاوبت مشاعره مع النبض الإنسانى فى أى مكان وفى أى زمان .

ولكن كما قلت .. يظل لكل أمة أدبها الناطق بلسان حالها المترجم لأمانيها وواقعها ، والأدب الضعيف هو النامى فى غير حقله ، والناطق بغير لسانه ، والسائر على غير قدميه ، انه أدب التقليد والتبعية ، أدب القشور والطلاء ، أدب البهرج والزيف .

ونحن نأمل أن يتحقق ــ فى ظل هذا العناق الحميم بين الآداب ــ لذاتنا الأدبية استقلالها ، وأن يتأكد وجودها المؤثر ، نأمل أن يحطم أدبنا المعاصر دوائر المحاكاة والتقليد ، وبخاصة تقليد الغربيين ، هل يصل أدبنا شرايينه بقلب هذه الأمة التى أثرت حضارتها فى مسيرة الإنسان وغيرت وجه العالم ؟ وحين تأثر أدب هذه الأمة قديما بالأدب اليونانى والهندى والفارسى فإن تأثره كان ايجابيا لأنه يمثل استيعاب التراث الإنسانى

وهضمه ، ويمثل عالمية الإسلام فى نشر جناحيه على العالمين ، ومصداق ذلك أن هذه الآداب سرت فى جسم الأدب العربى الإسلامى وذابت فى كيانه ، ولم تعد جسما غريبا عنه ، ولم يذب الأدب العربى فيها بل ذابت تلك الآداب فيه ، وهذا هو مفهوم الأصالة التى يحاول كل أدب أصيل الاحتفاظ بوجهها المتجدد .

• وأعتقد أننا مقبلون على عصر البعث الأدبى الجديد (أدب الأمة العربية الإسلامية) فنبض الحضارة ، وأمل الاستقلال لم يصبحا حلما غائما ، وإنما نراهما واقعا مضيئا نصارع فى سبيل تأكيد وجوده ، وضمان استمراره .

الفصل الثالث

تراثنا الأدبى والعلمى يؤثر فى الآداب الأوربية(*) وفى النهضة العلمية الحديثة

- ١ -

❖ ان الأمة الإسلامية ، فى بحثها الدائب عن أصالتها ، وفى محاولاتها الكشف عن معالم هذه الأصالة ، وازالة ما ران عليها من جمود وزيف ، تحتاج إلى التآزر بين مفكريها وكتابها وشعرائها وعلمائها ، كل يشارك بجهده المتميز فى بعث الحضارة الإسلامية التى امتدت جذورها فى الفكر الإنسانى ، فأينع وآتى أكله طيبا .

- ٢ -

❖ وحين نتأمل الجو الفكرى ، فى العصر العباسى ، نرى التلاحم الثقافى بين آداب الأمم ، التى فتحها الإسلام ، ونرى لكل أدب مؤيدين ، ولكل ثقافة أنصارا ، فوزراء العباسيين ، ومن نحا نحوهم يؤيدون الثقافة الفارسية ، ومدرسة "جنديسابور" وما تفرع منها تؤيد الثقافة اليونانية ، والأدباء وعلماء اللغة والنحو يؤيدون الثقافة الهندية ، وقد نشر هؤلاء جميعا ، فى الجو الفكرى الإسلامى ، هذه الثقافات المختلفة المشارب المتعددة المنازع ، يتنفس كل منها حسب ميوله واستعداده .

- ونتيجة لهذا التلاحم الثقافى والالتقاء التاريخى الذى يمثل لب المقارنة بين الآداب تأثر أدبنا بالأدب اليونانى والهندى والفارسى وكأنه بهذا

(*) نشرت هذه الدراسة بملحق "التراث " بجريدة المدينة المنورة بالسعودية العدد ٧٤٨٨ (٧ من ربيع الأول سنة ١٤٠٨ هـ ، ٢٩ من اكتوبر سنة ١٩٨٧م.

التأثر يترجم عالمية الإسلام إلى واقع أدبى مؤثر ، لأن هذه الآداب سرت فى جسمه ، وذابت فى كيانه ، ولم تعد مستقلة ، ولم يذب أدبنا الإسلامى العربى فيها ، بل ذابت فيه.

وهذه هى الأصالة التى لا بد منها فى أزمنة الاستجابة للموجات الوافدة.

- ٣ -

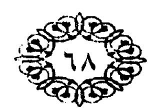
" من ثمار الحضارة العربية والإسلامية "

(أ) أثر العلوم الكونية والطبيعية فى النهضة العلمية العالمية الحديثة .

❖ إن هناك عدة ميادين ومحاور تمثل فى مجموعها الهرم الحضارى الذى شاده الباحثون والعلماء العرب والمسلمون فى عصر ازدهار الحضارة الإسلامية فى العصر العباسى الذى امتد منذ القرن الثانى الهجرى حتى القرن السابع .. أكثر من خمسة قرون ، وكذلك "فى العصر الأندلسى الذى تزامن مع حضارة الإسلام فى المشرق " فى الدولة العباسية واستمر بعدها عدة قرون .

- وفى ظل هذه الحقبة المزدهرة تفوق المسلمون فى العلوم الكونية والإنسانية والتجريبية واللغوية والشرعية والطبية والهندسية ، وانتشرت هذه العلوم وآثارها الحضارية فى العالم كله " شرقا وغربا " .

- وقامت النهضة الأوروبية على دعائم الحضارة الإسلامية الزاهرة إثر الاتصالات القوية بين الغرب والشرق عن طريق الرحلات والترجمة .. والحروب الصليبية ، واحتكاك الغرب المسيحيى بالشرق الإسلامى فى بلاد الأندلس .



- وأهم الميادين التى تأثر بها الأوروبيون والعالم الغربى بصفة عام هى (الأدب ــ الفلسفة ــ العلوم الطبيعية ــ الطب ــ الجغرافيا ــ المعارف الملاحية ــ التاريخ والعمارة ــ التحف الفنية ــ الموسيقى) .

- وهذا التأثر الحضارى المعروف جاء نتيجة الاتصال بـين نتـاج الحضارة العربية الإسلامية والعالم الأوروبى فى أوائل عصر النهضة فى مرحلة تمتد من القرن الثانى عشر إلى القرن السادس عشر الميلادى .

- والشواهد والأدلة ما زالت قائمة وناطقـة بتـأثر حركـة الفكـر الأوروبى فى هذه العصور بمنجزات التراث الحضارى للفكر الإسلامى .

(ب) الآثار العلمية للعرب والمسلمين فى العلوم الطبيعية .

- إن الإسلام دين العلم والحضارة ، ومعجزة الإسلام الخالـدة هـى "القرآن الكريم " ، وأولى آياته التى نزلت على رسول الله صلى الله عليـه وسلم هى ﴿ **أقرأ باسم ربك الذى خلق ، خلق الإنسان من علق** ﴾ .

- ويقول الحق سبحانه : ﴿ **وقل رب زدنى علما** ﴾ .

- ويؤكد القرآن الكريم ــ على الرغم من تربع الإنسان علـى ذروة التقدم العلمى ، وبلوغه المدى الأعلى فى هذا المجال ــ أن الإنسـان مـا زالت أمامه آفاق كثيرة متشعبة لم يتعرف عليها ،ولم يصل إليها قال تعالى : ﴿ **وما أوتيتم من العلم إلا قليلا** ﴾ .

- ويحث القرآن الكريم البشر أجمعين على التفكر فى خلق السماوات والأرض ، والكون والكائنات ، وينعى على المتشككين فى قـدرة الله عـز وجل عدم التدبر والتفكر والتذكر ، فيقول سـبحانه فـى سـورة الغاشـية

﴿ أفلا ينظرون إلى الأبل كيف خلقت ، وإلى السماء كيف رفعت ، وإلى الجبال كيف نصبت ، وإلى الأرض كيف سطحت ﴾ .

• ولذلك ما إن استقرت الدولة الإسلامية ، وامتد سلطانها من مشارف الصين شرقا ، إلى مشارف فرنسا غربا .. حتى أخذ العلماء العرب والمسلمون ينهلون من موارد العلم بمختلف فروعه وفنونه، فأخذوا يترجمون الذخائر العلمية ، وينقلون إلى اللغة العربية علوم الإغريق والرومان والفرس والهنود .

• وتنافس الخلفاء والحكام فى رعاية العلم والعلماء ، وقبل إنشاء المدارس كانت قصور الخلفاء ، ومنازل العلماء ، ودور الكتب والمساجد بمثابة جامعات يحج إليها طلاب العلم من كل أرجاء الأرض ؛ وقامت المساجد بدور رائد فى النهضة العلمية .

• ومنها الجامع المنصور فى "بغداد" والجامع الأموى فى "دمشق" ، والجامع الأزهر بالقاهرة ، وجامع القيروان بتونس ، وجامع القرويين فى فارس ، وجامع قرطبة بالأندلس ، والجامع الكبير بصنعاء .

❖ وفى هذه البيئة العلمية الصالحة ، وفى هذا الجو العلمى الحافل بالتفاعلات الحضارية نشأ عدد من العلماء يقرنون إلى عدد من العلماء فى كل عصر وآن .

• وكانت اللغة العربية لغة العلم يكتب بها العلماء ليقرأها الناس فى أى صقع من أصقاع الوطن الإسلامى الكبير ، وازدهرت حركة الترجمة أيما ازدهار ، ثم أقبل العلماء على التأليف والكتابة فى مختلف فروع

المعرفة العلمية ، ونقلوا علوما وابتكروا أخرى ، وأضافوا كثيرا من الأراء والنظريات التى نسبت إلى غيرهم .

- وتكلم العلماء العرب والمسلمون فى نظرية "التطور" ثم نسب ذلك إلى "داروين" فى القرن التاسع عشر ؛ وقد كتب فى هـذه القضـية "ابـن مسكويه" و "اخوان الصفا" وابن خلدون قبل داروين بقرون عديدة .

- وتحدث العلماء العرب والمسلمون فى قانون "الجاذبية" ، والـربط بين السرعة والثقل والمسافة ، وقد نسب كل ذلك إلى نيوتن دون سـواه ، وقد ثبت أن الخازن وغيره كتبوا فى ذلك قبل نيوتن بمئات السنين .

- وتحدث العلماء المسلمون فى أثر البيئة على الأحياء قبل لامارك ، كما نسب ذلك إلى ابن خلدون ــ فيلسوف العمران والاجتماع فى الإسلام .

- وشرح ابن النفيس الدورة الدموية الصغرى قبل "هارفى" ببضـعة قرون.

- وكذلك الحال فى طبيعة الضوء وسرعته وانكساره والذى كتب فيه ابن الهيثم قبل علماء أوروبا بزمن بعيد .

- وكذلك قاس العلماء العرب والمسلمون محيط الأرض ، وقـدروا حجوم الكواكب وما بينها من مسافات قبل "جاليليو " ، وغيره فـى عصـر النهضة الأوروبية ، وأضافوا إلى المعارف الفلكية الشئ الكثيـر ، ومـن العلماء فى ميدان "المعارف الفلكية" البتـانى ، والفرغـانى ، والكنـدى ، والخوارزمى ، الصوفى ، وغيرهم .

- وابتدع الخوارزمى استعمال الأرقام فى الحساب بدلا من حسـاب "الجمل" الذى كان سائدا ، واختار سلسلتين من الأرقام : الأولى ما يعـرف

بالأرقام الهندية وهى (١، ٢ ، ٣) ، والثانية ما يعرف بالأرقام الغبارية أو العربية (3-2-1) .

- وأنشأ الخوارزمى علم الحساب وعلم الجبـــر ، وعلمهمـــا للنـــاس أجمعين.

- وكذلك ألف علماء العرب فى النبات والحيوان والمعادن والفلـــك والرياضيات والكيمياء والصيدلة وحســـاب المثلثـــات والهندســـة والطـــب والموسيقى، ولهم إنجازات رائدة فى هذه المجالات .

- واعترف عدد كبير من مؤرخى العلم بفضل العـــرب والمســـلمين على العلم والإنسانية حتى قال أحد علماء أوروبا "لولا أعمال العلماء العرب والمسلمون لاضطر علماء النهضة الأوروبية أن يبدأوا من حيث بدأ هؤلاء ، ولتأخر سير المدنية عدة قرون ، وقـــال آخـــر " إن كثيـــرا مـــن الأراء والنظريات العلمية حسبناها من صنعنا فإذا العرب سبقونا إليها .

- وابن سينا : الفيلسوف والشاعر والطبيب .. له إنجازات فى علمى "الطبيعة والميكانيكا " فقد عالج موضوع سرعة الصوت وسرعة الضوء فى كتابه "الشفاء" .

- وابن الهيثم يعد فى مقدمة علماء " الطبيعة " فى جميع العصـــور والأحقاب ، وهو من آئمة علماء الضوء ، وقد عرفته أوروبا باسم "الهازن" وهو تحريف لكلمة "الحسن" ، وقد ألف فـــى علـــم الطبيعـــة "٢٤" أربعـــة وعشرين كتابا.

• والبيرونـــي : اشـــتهر فـــي الطبيعـــة ولا ســـيما "الميكانيكـــا والأيدروستاتيكا" ، وله شروح فى ضغط السوائل وتوازنها ، وصعود مياه الفوارات إلى أعلى .

• والخازن فى كتابه " ميزان الحكمة " كان له دور رائد فى تـــاريخ الطبيعة ، وتقدم الفكر العلمى عند العرب .

• وقد سبق "الخازن " علماء أوروبا فى الإشارة إلى مـــادة الهـــواء ووزنه ، وأشار إلى أن للهواء وزنا وقوة رافعـــة كالســـوائل ، وأن وزن الجسم المغمور فى الهواء ينقص عن وزنه الحقيقى .

• ويعد "جابر بن حيان " شيخ الكميائين العرب ، وقد أدخـــل علـــى الصناعة شيئا جديدا اسمه علم الميزان ، وعرف كثيـــرا مـــن العمليـــات الكيماوية كالتبخير والتقطير والترشيح والتكليس والإذابة والتبلور والتصعيد

• وكانت مؤلفات ابن حيان المراجع المعتمدة فى علم الكيمياء عـــدة قرون بعد ترجمتها إلى اللاتينية ، وقد درس مؤلفاته مشاهير علماء الغرب من أمثال "كوب ، وكراوس ، وسارتون " (١) .

• والحقائق السابقة لا تنفصل عن الجذور الحضـــارية لأمتنـــا فـــى مسيرتها الأدبية لأن البنيان الثقافى لا بد أن يكون متماسكا ـــ ومتكـــاملا .. وبعض هؤلاء العلماء الذين أثروا الحضارة الإنسـانية بمـــا قـــدموه مـــن إنجازات وابتكارات كانت لهم كذلك إنجازات فى المجالات اللغوية والأدبية

---

(١) انظر هذه الحقائق بالتفصيل فى كتاب " أثر العرب والإسلام فـــى النهضـــة الأوروبية " الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٧م .
وقد صدر الكتاب تحت اشراف مركز تبادل القيم الثقافية بالتعاون مـــع منظمـــة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة "اليونسكو" .



.. ، وقد شاركهم مبدعون كبار .. ونقاد راسخون .. وعلماء جادون .. فى العلوم الإنسانية .. والأدبية ومنهم الشعراء الكبار .. المتنبى .. وأبو العلاء المعرى ... وابن عربى ... وأبو تمام وغيرهم من كبار أدباء العربية .

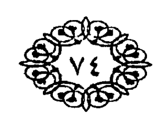
• ومن العلماء الذين أثروا الميدان البيانى ... واللغوى ... والأدبى "الجاحظ ، وعبد القاهر الجرجانى ، وحازم القرطاجنى ، وابن سلام" ، وغيرهم من أعلام الحضارة العربية والإسلامية .

• ولا يمكن إغفال دور الفقهاء ... وعلماء الحديث ، وعلماء الدراسات القرآنية . وعلماء الكلام ، وعلماء التصوف .. فى إرساء قواعد الحضارة العربية والإسلامية .

• وهذا التفوق الحضارى فى ميادين الحياة المتعددة منح الآداب طاقة إبداعية متجددة ،وتفوقا فنيا مدهشا ... ولا عجب ... فكثير من الآراء تذهب إلى أن الإبداع فطرة إنسانية تضم داخل دائرتها كل جهد إنسانى ابتكارى رائد ، وكل نشاط حياتى ممتزج بحياة الإنسان ومستقبله .

فالأدب بمعناه "المجازى" يدل على جملة المعارف التى تسمو بالذهن ، والتى تبدو أكثر صلاحية فى تحسين العلاقات الإجتماعية . وخاصة اللغة ، والشعر وما يتصل به وأخبار العرب والشعوب الأخرى .

• ومن الطبيعى أن لا يكون للأدب محيط يحد ، فقد تدخل الدقة الفنية ، كما تدخل المهارة الصناعية ضمن فنون الأدب ، والعلوم الرياضية تسمى أحيانا بالأدب فى التقسيم المأثور عن أرسطو للعلوم .



- ويدخل إخوان "الصفا " فى عداد هذه العلوم الرياضية التى سميت بالأدب أحيانا (السحر والكهانة والكيمياء) وغيرها إلى جانب اللغة والشعر والرياضة ، وقال علماء الجمال: الفن هو إشعاع حسى منبثق من الفكرة .

ـ ٤ ـ

❖ وتجاوز أدبنا وتراثنا الإسلامى مرحلة التـأثير ، وبخاصـة بعـد حركة ترجمة الكتب العربية إلى اللاتينية والأسبانية "وقد نشـطت حركـة الترجمة فى عهد فروجا الثانى " الذى استولى على صقلية فى عام ٤٨٤هـ ، وكان العرب قد فتحوها عام ٢١٢هـ .

فقد أنشأ " أكاديمية " كان يعمل بها العلمـاء المسـلمون مـع العلمـاء النصارى واليهود جنبا إلى جنب ، وأحسوا بالحاجة إلى ترجمـة العلـوم العربية إلى اللاتينية،وحركة الترجمة كانت قد نشطت فى طليطلة قبل ذلك بعشرات السنين ، واستمرت فى القرن الثالث عشر ، وفى عهد " الفونسـو الحكيم " انتشرت حركة الترجمة العربية إلى اللغة الأسبانية الناشئة [١] .

- ومن مظاهر تأثير تراثنا الأدبى فى الآداب الأوروبية أن الشـعر الأسبانى تأثر بالشعر الأندلسى ، وبخاصة " فن الموشحات والزجل " .

- والمستشرق الأسبانى " انخل جو نثالث بالنثيا " أول من نبه إلى هذا الأثر ، وقام بدراسة مقارنة فى هذا الموضوع ، وجعل عنوانها " الشـعر الأندلسى وتأثيره فى الشعر الأوروبى " وقد نشرت هـذه الدراسـة فـى " المجلة الأسبانية الحديثة " السنة الأولى ، العدد الثانى ، ينـاير ١٩٣٥م ، ويقول هذا المستشرق: "ولد فى الأندلس جنس غنائى آخر ، انبثق عن اللغة

---

(١) دور العرب فى تكوين الفكر الأوروبى د / عبد الرحمن بدوى "المقدمة" .

العامية ، وارتبط بعربية الشارع ، وباللغة الرومانسية ، وكانت تستخدم فى الحديث اليومى ، وأصبحت لغة البيت ، وهو جنس بلغ من الحيوية والنضج حدا عاليا فى شبه جزيرة أيبريا ، وامتد تأثيره خارجها " [1] .

- وقد نبه "انخل جو نثالث " إلى أن أول من قام بهذا الاكتشاف هو أستاذه "خوليان ريبيرا " فى بحثه عن ديوان "ابن قزمان" الذى قدمه للمجمع الأسبانى ، وقد عارض النقاد الأسبان والأوروبيون ، صاحب هذا الاكتشاف ، وذلك بدافع من تعصبهم لقوميتهم ، وتمسكهم بأحقية الابتكار والابداع الأدبى ، وطالبوا " خوليان ريبيرا " بالوثائق ، وبالشواهد التاريخية التى تبرهن على وجود هذا الشكل فى تلك العصور البعيدة ، وحتى تكون المقارنة ذات طابع علمى ، أتى "خوليان " بالدليل : حيث قرأ فى كتاب " الذخيرة فى محاسن أهل الجزيرة " لابن بسام ما يثبت رأيه ، يقول : " ابن بسام " .

- وأول من صنع أوزان هذه الموشحات بأفقنا ، واخترع طريقتها فيما بلغنى ــ محمد بن حمود القبرى الضرير ــ وقيل هو ــ مقدم بن معافى القبرى الضرير ــ ٢٢٥ هـ ــ ٢٩٩هـ . وكان يصنعها على أشطار الأشعار ،غير أن أكثرها كان على الأعاريض المهملة غير المستعملة ، يأخذ اللفظ العامى والعجمى ، ويسميه ــ المركز ــ ويضع عليه الموشحة ، دون تضمين فيها ولا أغصان.

- وقد أحدث اكتشاف هذا النص قلبا فى موازين النقد الأوروبى ، لأنه كان قد استقر على أن الشعر " البروفنسالى " جاء منذ نشأته بعيدا عن

---

(١) دراسات أندلسية د / الطاهر أحمد مكى ص ٢٠٩ .

أى تأثير أجنبى ، لقد انبثق ــ فجأة ــ كزهرة انشقت عنها الأرض ، بــلا ساق ، ولا جذور!! .

• ومن النقاد من يعد الشعر " البروفنسالى " أصــل كــل الأشــعار "الرومانسية" ولكن هذه المعتقدات تخلخلت . بعد أن ثبت أن الشعر الأندلسى أثر فى الأشعار "الرومانسية" الأسبانية ، وقد عارض هذه الفكرة الكثيرون ، ومنهم "رودربجيزلابا" البرتغالى و "نيكل " التشيكى ، والمقيم فى الولايــات المتحدة .

• ولكن النصوص الشعرية التى أبدعها الشــعراء "التــرو بــادور اليرفنساليون" الأوائل تثبت أنهم استخدموا قوالب الشعر الأندلسى ، ومــنهم "جيوم التاسع " و "كونت بواتييه " ،وفــى قصــائد شــعراء "التروبــادور" الآخرين : مثل "موان دىمونتودون" و " ج . رينولد" نجد أشعارا جاءت فى القالب الذى صاغ فيه " كونت بواتييه" أشعاره .

• وانتشر هذا القالب الفنى فى الأوساط الأدبية فى أوروبا ، بصورة تدعو للإعجاب والدهشة : فقد ظل باقيا فى صناعة الألحــان الموســيقية ، خلال العصور الوسطى ، ولاسيما فى هذا النوع من الألحــان المعروفــة "بالروندو" وفى الأغانى الشعبية الفرنسية مثل " التعسة فى زواجهــا " و " وردة دنكرك " .

• وفى اللغة البرتغالية توجد أشعار جاءت فى قالب "زجلــى" فــى ديوان " الفاتيكانة " وفى " مختارات برانكونى" وتظهــر ــ أيضــا ــ فــى قصائد "فرنان فلهو" شاعر من عصر الملك " الفونســى العاشــر" الملقــب بالعالم ، وفى ديوان الشاعر "بابو سواريز" .



• وفى انجلترا : نلتقى بأغان شعرية قديمة موجهة إلى العذراء ، أو تقال فى أعياد الميلاد صيغت فى هذا القالب الشعرى الأندلسى .

• وفى إيطاليا : درس العلامة " خوسيه مياس فايكروما" الصلات بين الشعر الإيطالى فى العصر الوسيط ،وبين أصوله العربية ، وفى ظل الحضارة الإسلامية ، ووجد أن عروض القالب الشعرى المسمى "الكونتراستو" ومعناه الخصام أو الاختلاف يرجع إلى أصول فارسية ، ويصاغ فى قالب الزجل الأندلسى ، ويرى هذا الباحث أن الشعر الإيطالى الدينى فى العصر الوسيط ، والذى يطلق عليه اسم " المدائح " وينظم باللهجة الدارجة كان على صلة وثيقة بعروض الزجل الأندلسى .

• وللشاعر " خوان دل أنثيا" مقطوعات دينية : تتضح فيها طريقة الشعر الأندلسى ، ومنها هذه المقطوعة "مترجمة" إلى العربية :

لا تغب عنى فانى أموت يا سجانى

لا تغب عنى فإنى أموت

عجل بالمجئ ... حتى لا أخسر حياتى

وفيك لم يضع إيمانى ... يا سجانى

فك عنى هذه القيود .. وفيها قاسية آلامى

حين تغيب عنى .. تقضى على .. يا سجانى

- ٥ -

❖ وامتد تأثير الشعر الأندلسى والعربى بعامة فى الشعر الأوروبى إلى طريقة علاج الموضوع ،ولم يقتصر على طريقة النظم : ففكرة الحب النبيل التى تسود الغزل فى الشعر "البروفنسالى" نجد أصلها فى الشعر الأندلسى ، بل وفى أزجال " ابن قزمان " ويؤكد هذا " بيدال "حيث يرى أن هذه الفكرة قد عرضها " ابن حزم " فى " طوق الحمامة " وأنها كانت فكرة سائدة عند أهل الظاهر فى نظرتهم إلى الحب .

- وفى " عصر النهضة " فى إيطاليا ــ نجد أصداء التأثر بالأدب العربى الإسلامى متغلغلا فى نتاج رائدين من رواد النزعة الإنسانية : وهما "فرانسيسكو بترارك " (١٣٠٤ ــ ١٣٧٤م) ، و " جيوفانى بوكاشيو" وقد اشتهر (بترارك) بفصاحته ، وقد ابدع شعرا غنائيا نسب إليه ، وعرف باسم (البتراركية) وفى هذا الشعر الغنائى تتضح نزعته المثالية والإنسانية فى الحب ، فموقفه من الحب اتسم بالاستسلام المطلق ، والايثار الذى لا يعرف حدا ، والارتقاء بالغزل إلى مستوى السمو الروحى ، وهذه النزعة فى الحب كانت ردا على ما ساد القرون الوسطى من نظرة غير متسامية للمرأة ، وكانت ــ أيضا ــ مظهرا من مظاهر تأثير الفلسفة العربية فى الحب ، حيث كانت تستقى معانيها من فيض الغزل والعذرى فى الأدب العربى .

- ولهذا الأديب ديوان بعنوان " أشعار الى سيدتى لورا " ويعد هذا الديوان تجسيدا فنيا لتأثر الشاعر بالنبض الأدبى عند العرب والمسلمين ، فأغانيه فى هذا الديوان من أنفس وأرق ما تقدم به رجل لامرأة ، فقد عبر

فى هذه الأشعار عن حبه لمحبوبته ، وعن أمله ويأسه وصب فيها حزنــه العميق لموتها .

يقول من مقطوعة "لا سكينة لى فى الليل " :

تملك على الحبيبة لبى

لكنى أستمد من ذلك راحتى

فمن معين واحد نابض متأنق

ينبع غذائى من حلو ومر

ان يدا واحدة فيها شقوقى وراحتى

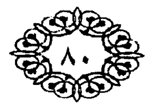
وهكذا أجاهد فى الحب جهادا غير محدود

فأحس كل يوم ألف موت وألف حياة

ألا ما أبعد الطريق إلى سكينتى وسلامى

- والأديب الإيطالى "جيوفانى بوكاشيو" وهو من رواد الفن القصصى ، ومن رواد عصر النهضة ، نراه فى كتابه "الديكاميرون " يعتمــد علـــى مصادر قصصية عربية فى مادة الكتاب ، وفيما يتصل ببنائه ، الفنى ، وفى كتاب "السوط" تتضح مشاركته فى تصحيح وضع المرأة الأوروبيــة فـــى عصر النهضة ، حيث كان لهذا الكتاب تأثير واسع فى كثير مــن الــبلاد الأوروبية .

وقد تأثر "بوكاشيو" فى هذا الكتاب ، كما تأثر (بترارك) بالفلسفة المثالية فى الحب عند العرب : وكذلك بوضع المرأة العربية ، فى ظل الحضـــارة الإسلامية.



• وأعلن المستشرق الأسبانى "أسين بلاثيوس" أن "دانتى " فى الكوميديا الإلهية قد تأثر بالإسلام تأثرا عميقا واسع المدى يتغلغل حتى فى تصويره للجحيم والجنة ، وكان لقصة المعراج ، ووصف كتب التفسير لها ، وكذلك لكتاب "المعراج" الذى ألفه " ابن عربى" فى وصف رحلة المصطفى ــ صلى الله عليه وسلم ــ إلى السماء ، وكذلك لرسالة الغفران لأبى العلاء المعرى .

هذه المعالم كان لها أكبر الأثر فى " الكوميديا الإلهية " وثبت ذلك تاريخيا وفنيا ، برغم معارضة كثير من مفكرى الغرب ، وبخاصة فى " ايطاليا " ورد عليهم " آسين بلاثيوس" فى بحث بعنوان " الأخرويات الإسلامية فى الكوميديا الإلهية " .

ونشر الباحث الإيطالى "تريكو اتشرولى " فى سنة ١٩٤٩م الترجمتين اللاتينية والفرنسية لكتاب " ابن عربى " فى " المعراج " وفى السنة نفسها نشر "خ . منيوث " الترجمات الثلاث الاسبانية واللاتينية والفرنسية للكتاب نفسه، مع مقدمة وتعليقات .

• وهذه الجهود ترد على من يعارض وينكر تأثر " دانتى " بالأدب الإسلامى ، لأن الترجمات السابقة تم نقلها من العربية إلى اللاتينية فى سنة ١٢٦٤م و "دانتى "ولد سنة ١٢٦٥م ، وتوفى سنة ١٣٢١م ، ومن البديهى أن يكون قد قرأ هذا الكتاب أو قرأ ترجمته ، ولا يعد هذا أمرا عجيبا ، وإنما إنكار تأثره هو العجب العجاب !! .

• ومن هنا نؤكد أن تأثر " دانتى " بتراثنا الأدبى الإسلامى لا مجال لأدنى شك فيه ، ولا يمكن تفسيره بالصدفة أو توارد الخواطر .

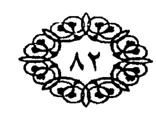
وحين نتأمل مشاهد "الكوميديا" نجد أن هناك تشابها كبيرا بينها وبين ما ورد في كتاب "ابن عربي " عن إسراء الرسول صلى الله عليه وسلم ومعراجه ، وهذا التشابه يتجلى في الملامح الآتية :

أولا : يصف "دانتي" الجحيم بأنه أراض متوالية تحت هذه الأرض مملوءة نارا ، وفي الدرك الأسفل منها الشيطان ، وهذا مطابق لما جاء في كتاب "ابن عربي " عن " المعراج " .

ثانيا : وصف النسر الملائكي ، حيث تأثر "دانتي" في وصفه له بملحمته بوصف الديك العملاق في "المعراج" وهو ذو أجنحة كثيرة ، يضرب بجناحيه حين يغني يمجد الله ، ويدعو الخلق للصلاة ، فإذا انتهى من غنائه سكنت أجنحته وسكت .

وهذه الأوصاف نفسها يضفيها "دانتي" على النسر الملائكي فهو ذو أرواح كثيرة وأجنحة ووجوه متعددة ، يشع نورا باهرا ، ويغني في نغم حلو ، داعيا الخلائق إلى عيش الاستقامة ، يضرب بجناحيه كلما غني ، حتى إذا انتهى من غنائه سكن .

ثالثا : المثول القدسي أمام الله : وهذه اللحظة متفقة تمام الاتفاق بين تصوير "دانتي" وبين ما حدث في قصة "المعراج" فرؤية الله ، كما يصف "دانتي" متأثرا بما ورد في قصة "المعراج" تتم فيما وراء السموات حيث عرش الله تحيط به تسع صفوف من الملائكة لا ينقطعون عن ذكر الله في ألوان وأنوار تغشى الأبصار : وهنا لا يستطيع "دانتي " الإبصار ، ويعترف بعجزه عن وصف هذه الألوان والأنوار الرائعة ، التي تفوق كل ما يعرف



البشر ، ولكنه حين يعجز بصره يشعر فى قلبه بنوع من النشوة والراحة الروحية يغزو جوانب نفسه[1].

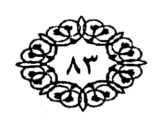
- ٦ -

❖ وأثرت القصص العربية المترجمة إلى اللاتينية فى نشأة الأدب القصصى فى أوروبا ، فقد قام (الفونسو) بترجمة ثلاثين أقصوصة ، نقلا عن العربية وأثرت كليلة ودمنة فى الأدب الأوروبى ، بعد أن ترجمت فى عصر (الفونسو الحكيم) حوالى سنة ١٢٥٠م إلى الأسبانية ، وكان لها أكبر الأثر فى انشاء فن القصص على ألسنة الحيوانات ، فى فرنسا ، على يد "لافونتين" كما كان للقصص الشعبى الذى انتقل إلى أوروبا ، أثناء الحروب الصليبية وبعدها أعمق الأثر فى انشاء القصص المسمى بالفابليو ويتسم هذا النوع بالنزعة الشعبية الساخرة ، كما ترجمت بعض القصص التى تسربت من "ألف ليلة وليلة " إلى الأندلس ، ومنها " حكاية الجارية تودد" التى ترجمت إلى الأسبانية فى القرن الثالث عشر ، وأثرت كذلك فيما بعد حتى فى "لوب دى فيجا" أكبر كتاب المسرح الأسبانى [2] .

- وأثرت المقامات العربية فى قصص الشطار الأسبانية ، ثم الفرنسية التى تأثرت بدورها بهذا النوع من القصص الاسبانية .
- ويذهب بعض النقاد إلى أن المقامات العربية كان لها تأثير مباشر وغير مباشر فى نهضة القصة العالمية.

---

(١) انظر قصة الأدب فى العالم ٦ ــ ٧ .
(٢) انظر الأدب المقارن ص ١٠٦ـــ ١٠٧ د / محمد غنيمى هلال ، وارجع إلى الكوميديا الإلهية : النشيد الثامن عشر والنشيد الثالث والثلاثين .



ويرى أحد النقاد فى مجال مقارنته بين تطور الفن القصصى بين الأدبين العربى والانجليزى أن مقالات "ستيل" و "اديسون" فى الإنجليزية بمثابة المقامات فى العربية ، خصوصا عند "بديع الزمان الهمذانى" (١) والكاتبان من مشاهير النقاد والكتاب فى الأدب الكلاسيكى ، أولهما اتسمت كتاباته بالنزعة الإصلاحية نحو مجتمعه ، واحتوت مقالاته على السخرية والفكاهة ، وثانيهما من كتاب المقال والشعر ومن النقاد فى مجال الشعر اللاتينى .

وقصة "حى بن يقظان" (٢) التى ألفها " ابن طفيل " ولخص فيها فلسفته فى المعرفة الإنسانية ومعتقده فى نشأة الإنسان ، وامكانية اهتدائه للحقيقة عن طريق التأمل ، وتعمق الظواهر الكونية ، واستنطاق الطبيعة ، والوقوف على أسرارها.

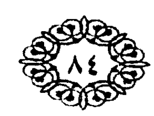
هذه القصة كان لها أثرها الفعال فى الآداب الأوروبية بعد عصر النهضة ، وذلك بعد أن ترجمت إلى لغات أجنبية مختلفة ، وانتشرت طبعاتها فى كل مكان.

فقد ترجمها "موسى التربونى " إلى اللغة العبرية سنة ١٣٤٩م .

وفى سنة ١٦٧١م ظهرت طبعة تحمل النص العربى للقصة ، مع ترجمة لاتينية "لادوار بوكون" وتنسب إلى "سبينوزا" ترجمة لهذه القصة من اللغة اللاتينية إلى اللغة الهولندية .

وفى سنة ١٦٧٤م ظهرت ترجمة للقصة باللغة الإنجليزية عن الترجمة اللاتينية ، قام بها "جورج كيث" وقد أفاض فى مقدمة ترجمته فى الثناء على

(١) مطالعات فى الأدب المقارن : د / عدنان وزان ص ١٤٨ وراجع إلى مجلة الرسالة العدد ١٩٨ ص ٦٥٤ .
(٢) انظر نص القصة فى كتاب "حى بن يقظان " ـــ تقديم فاروق سعد .



الكتاب وعلى المؤلف ، وقال : " إنه صور ببراعة مدى البون الشاسع بين المعرفة التى يبلغها الرجل المتفتح البصيرة ، وتلك التى يكتسبها سواد الناس ، عن طريق التلقين سماعا أو قراءة ".

• وعرفت اللغة الألمانية ترجمة "حى بن يقظان " قام بها "بريتوس" سنة ١٧٢٦م ، وفى سنة ١٩٠٠ م نشرت فى "سرقطة" الترجمة الاسبانية لهذه القصة قام بها "ب . يونز" كما قام "ليون غوتيه" بترجمتها إلىاللغة الفرنسية و" غوتيه" كان أول من بحث علاقة قصة "حى بن يقظان " بقصة "روبنسن كروزو" المنشورة سنة ١٧١٩م والتى ألفها "دانييل دى فو" و"أرنست بيكر " فى كتابه "تاريخ القصة الإنجليزية " الصادرة سنة ١٩٤٢م يعد هذه القصة أحد المصادر الرئيسية لقصة " روبنسن كروزو"، ويعقد "أنطونيو باستور" مقارنة بين القصتين فيلحظ التشابه فى الأحداث ، كما نوه باتفاق القصتين فى تسجيل تطور الإنسان والتاريخ من البدائية والحيوانية إلى الحضارة ، مشيرا إلى المراحل التى مر بها فى جميع شؤون حياته.

- ٧ -

❖ وكتاب "مختار الحكم ومحاسن الكلم" للمبشر بن فاتك الآمرى يقف مع غيره من الأعمال التراثية الإسلامية ، المؤثرة فى المسيرة الإنسانية ، وهو كنز ضخم من الحكمة الرائعة النافذة والأراء الرصينة السديدة التى كانت ثمرة تجارب عميقة ، ومن هنا اهتم به الأوروبيون منذ وقت مبكر لأنه أوفى كتاب فى العربية استقصى أقوال الفلاسفة والحكماء اليونانيين ، وتكمن قيمة هذا الكتاب فى أنه يفيض بالحكم اليونانية ، حيث يعرض أفكار

(هويروس) وأخبار (سولون الحكيم) واضع شرائع اليونان وحكم بقراط وحكم فيثاغورس وحكم سقراط وحكم أفلاطون وقصة الإسكندر الأكبر [١] .

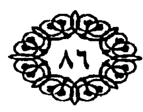
- والأقوال والأراء التى عرضها (المبشر بن فاتك) فقد أصلها اليونانى ، وهى بذلك تعمق من شأن التراث اليونانى وتزيد من قيمته ، ولذلك تعددت ترجمة ذلك الكتاب ، فقد ترجم إلى الأسبانية فى عهد "الفونسو الحكيم " ترجمة ملفقة ، ثم ترجم ـــ بعد ذلك ـــ إلى اللغة اللاتينية ترجمة دقيقة سايرت الأصل العربى إلا فى الفصلين الأخيرين ،وتمت الترجمة فى النصف الثانى من القرن الثالث عشر الميلادى : وعلى أساسها تمت ترجمة الكتاب ـــ مرة أخرى ـــ إلى الأسبانية ، وترجم الكتاب إلى الفرنسية حوالى نهاية القرن الرابع عشر ، وأوائل القرن الخامس عشر الميلادى ، وعن هذه الترجمة الفرنسية ترجم إلى اللغة "اليروفنسالية" وترجم كذلك إلى اللغة الإنجليزية [٢] .

❖ وفى العصر الحديث نفاجأ بانحسار المد الثقافى العربى والإسلامى ، ثم تأتى محاولات النهوض بعد ركود فكرى مميت بلغ عدة قرون ، وتأتى محاولات النهوض بعيدة عن الأصالة ، حيث تغير مجراها ، ولم تفتش عن المنبع الفياض الذى تدفقت منه من قبل : بل حولت وجهتها نحو الغرب الذى سبق أن أخذ عنا ، وأقام نهضته على دعائم حضارتنا الإسلامية التى اكتسبت صفة العالمية .

---

(١) انظر هذه النصوص والحكم بكتاب " مختار الحكم ومحاسن الكلم للمبشر بن فاتك".

(٢) دور العرب فى تكوين الفكر الأوروبى د / عبد الرحمن بدوى .



• ويعترف بهذه الحقيقة بعض المنصفين من علماء الغرب ، ومنهم المستشرق "روم لاندو" صاحب كتاب " الإسلام والعرب " فيقول فى صدر مقدمة الكتاب :

" فالواقع أن الإسلام على العموم والحضارة الإسلامية "أو العربية " على الخصوص ، يتمتعان بأهمية أعظم بكثير (من أى حضـــارة أخـــرى) أن الحضارة الغربية ابتداء من الفلسفة والرياضيات إلى الطب والزراعـــة — مدينة لتلك الحضارة بشئ كثير نعجز معها عن فهم الأولى (الغربية) اذا لم تتم لنا معرفة ما بالأخرى "الإسلامية أو العربية " (١) .

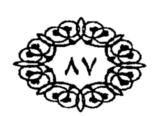
• وبرغم هذا الدور الذى لا ينكر ، وهذا التأثير الواضح فى جوانب الفكر الأوروبى — نجد بعض الأوروبيين ، وهم "الأكثرية " يتناسون كـــل هذه المعالم التأثيرية ، وينسبون لأنفسهم كل ابتكار فنى جديد ، ويثـــورون على كل دعوة تكشف عن تأثير الأدب العربى الإسلامى فى مسيرة الآداب الأوروبية والإنسانية.

• ولذلك نراهم — كما أوضحت فى بداية هذه الدراسة — يطـــالبون "ريبيرا" بالوثائق التى تثبت تأثر شعراء "التروبادور" فى أسبانيا بالموشحات الاندلسية .

ونراهم يعارضون بشدة فكرة تأثر (دانتى) فى الكوميديا الإلهية بقصـــة "المعراج" التى كتبها "ابن عربى " فى وصف رحلة سيدنا محمد صـــلى الله عليه وسلم — ليلة الإسراء والمعراج .

---

(١) الإسلام والعرب لروم لاندو ترجمة منير البعلبكى ص٩ .

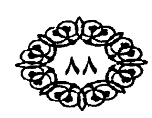


• وذلك مرده إلى سيطرة نزعتى الجهل والتعصب : فأدباء أوروبا الذين ظهروا فى القرن التاسع عشر ، وأوائل القرن العشرين ، كان بعضهم يجهل معالم الثقافة العربية وأثرها فى توجيه الثقافة الأوروبية ، وكان أكثرهم ينزع إلى طمس آثار الحضارة الإسلامية بدافع من التعصب ، والاتجاه إلى الغزو الفكرى والاستئثار بروح المغامرة والاكتشافات الفكرية والأدبية والعلمية .

• وكان لتحامل كبار المفكرين العرب ، فى العصر الحديث . على الأدب العربى ، واتهامه بالجمود ، وهروبهم إلى الثقافة الأوروبية أثر فى تقوية هذا الاتجاه .

• ولم يعلم هؤلاء المستغربون أن الثقافة العربية أسبق من ثقافة العبريين واليونانيين ، وهذه حقيقة تاريخية ، والإيمان بها لا يحتاج ، كما يقول "العقاد" إلى أكثر من الإطلاع على الأبجدية اليونانية ، وعلى السفرين الأولين من التوراة التى فى أيدى الناس اليوم ، وهما سفر التكوين وسفر الخروج ، فالأبجدية اليونانية عربية بحروفها ،وبمعنى تلك الحروف وأشكالها منسوبة عندهم إلى "قدموس الفينيقى " وهو فى كتاب مؤرخهم الأكبر "هيرودوت " أول من علمهم الصناعات .

• ولم يعلم هؤلاء "المستغربون" أن بعض علماء اللغات السامية يرى "أن الكلمة التى تفيد معنى الشعر فيها واحدة مأخوذة من أصلها العربى مع قليل من التحريف طرأ عليها ،وبعد انتشار الساميين ، فى وادى النهرين ، وبادية الشام وأرض كنعان ، ولا غرابة فى أن تكون كلمة "الشعر" فى لغة الجزيرة العربية سابقة لمرادفاتها فى وادى النهرين ، وأرض كنعان : لأن



الجزيرة كانت مصدر الهجرات المتوالية إلى تلك المواطن ، كما تواتر فى أشهر الأقوال [1] .

• وإمعانا فى الكشف عن أصالة اللغة العربية ــ لغة القرآن الكــريم ــ ولغة البيان العربى ، والحضارة الإسلامية ، يوضح الأستاذ "العقاد" ثراء اللغة العربية بالإيقاع : فقد جمعت هذه اللغة كل عناصر الإيقاع الشــعرى التى تتوزعها اللغات الأخرى ، يقول : " فلا شعر فى لغة من اللغات بغير إيقاع ، وقد يجتمع كله من وزن وقافية وترتيب فى القصيدة الواحدة ، ولكنه اجتماع نادر فى لغات العالم ، ميسور فى لغة واحدة على أكمــل الوجــوه لامتيازها بالخصائص الشعرية الوافرة فى ألفاظها وتراكيبها ، وهى اللغــة العربية ، فالكلمات نفسها موزونة فى اللغة العربية ، والمشتقات كلها تجرى على صيغ محدودة بالأوزان المرسومة كأنها قوالب البنـــاء المعــدة لكــل تركيب ، وأفعال اللغة مقسومة إلى أوزان مميزة فى الماضى والمضــارع والأمر ، وفى الأسماء والصفات التى تشتق منها حسب تلك الأوزان ، ولا نظير لهذا التركيب الموسيقى فى لغة من اللغات الهندية الجرمانية ، ولا فى كثير من اللغات السامية " [2].

---

(١) الثقافة العربية أسبق من ثقافة اليونان والعبريين ص ٤ للعقاد .
(٢) السابق ص١٢٠ ــ ١٢١ .



الفصل الرابع

أثر الثقافة العربية والإسلامية فى الأدب الألمانى

" جوته أنموذجا " ١٧٤٩ ـ ١٨٣٢م

ـ ١ ـ

- إن الثقافة العربية والإسلامية كان لها أثرها البارز فى تكوين الفكر الأوربى .. وهذا الدور كما يقول د / عبدالرحمن بدوى .. " واسع المدى " عميق الأثر ، شمل العلوم كما شمل الصناعات ، ولم يقتصر على الفلسفة والعلوم الطبيعية والفيزيائية والرياضيات ، بل امتد كذلك إلى الأدب : الشعر منه والقصص ، ،إلى الفن : المعمار والموسيقى منه بخاصة .

وتمت عملية الإخصاب بين الفكر العربى البالغ كمال تطوره وبين العقل الأوروبى ، وهو بسبيل يقظته وتلمس طريقه فى البداية ، وتمت عملية الإخصاب هذه فى منطقتين : الأولى أسبانيا وفى مدينة طليطلة منها بخاصة ، والثانية صقلية ، وجنوب إيطاليا خصوصا فى عهد ملوك النورمان وأشهرهم "رجار الثانى " المتوفى سنة ١١٥٧ م و " فردريك الثانى " المتوفى سنة ١٢٥٠ م ، فقد كانت هاتان المنطقتان نقطتى التلاقى بين الثقافة العربية الإسلامية الزاهرة وبين العقلية الأوروبية الناشئة لأنهما على الحدود بين دار الإسلام وبين أوروبا[١] .

---

(١) انظر : دور العرب فى تكوين الفكر الأوروبى د / عبد الرحمن بدوى ص٥ وما بعدها .

• وجوته .. شاعر ألمانيا الأكبر .. والأديب العالمى .. يمثل ... مع "شيللر" .. العصر الكلاسيكى فى ... الأدب الألمانى .. الذى مر بعدة عصور منها " العصر الوسيط ـ وعصر النزعة الإنسانية ، وعصر التنوير ، والعصر الكلاسيكى ، والعصر الرومانى " ثم الواقعية الشعرية ، والطبيعية ، والتعبيرية ....، وتلاحقت بعد ذلك الاتجاهات الحديثة فى القرن العشرين .

• وإذا كانت "صقلية " وجنوب ايطاليا تمثلان إحدى نقطتى التلاقى بين الثقافة العربية والإسلامية وبين العقلية الأوروبية الناشئة ، فإن "جوته" قد رحل إلى ايطاليا .. حيث اتخذ قرار السفر إلى ايطاليا عام ١٧٨٦ ، وسافر إلى روما ونابولى وصقلية " وعاد فى عام ١٧٨٨ م ،وكتب شهادته عن هذه الرحلة التى تعد نقطة تحول فى حياته فيما بعد فى كتابه "رحلة ايطاليا " ١٨٢٩م الذى جمع فيه خطاباته ويومياته تحت شعار " حتى أنا فى أركاديا " وفى إيطاليا أنهى جوته كتابه بعض المسرحيات التى كان قد بدأها بالفعل " (١) .

• وكتاب "جوته والعالم العربى" .. يلقى الضوء على كثير من القضايا التى توضح جوانب تأثر جوته . بالثقافة العربية الإسلامية .. وهذا التأثر يجسد أصالة الثقافة العربية .... والفكر الإسلامى ، والأدب العربى .. ويكشف عن جذور المقارنة بين الآداب ويؤكد أن التأثير والتأثر بين الآداب هما الطريق إلى عالمية الأدب ، وأدبنا فى عصور ازدهاره لم يكن

---

(١) انظر : عصور الأدب الألمانى / عالم المعرفة العدد ٢٧٨ تأليف باربارباوفان ، وبديجيتا أو بدله ترجمة د/ هبة شريف .

بمعزل عن التيارات الفكرية فى العالم ، بل كانت له الأسبقية فى التأثير .. فى الآداب العالمية .. وفى الأدباء العالميين ومنهم الشاعر الألمانى "جوته".

• ومن بين الشعراء الذين تركوا بصماتهم على أعمال جوته – كما تقول مؤلفة كتاب "جوته والعالم العربى " "كاتارينا مومزن " .

• يجد المرء بالنسبة للعصر الجاهلى السابق على الإسلام أسماء كل من أمرئ القيس وعمرو بن كلثوم ، وعنترة ، والحارث بن حلزه ، وحاتم الطائى ، ولبيد بن اليعة ، وتأبط شرا ، وطرفة بن العبد ، وزهير بن أبى سلمى .

كما يجد من العصور الإسلامية أسماء أبى اسماعيل الطغرائى ، والمتبنى ، وابن عرب شاه .

• ويرجع سر إعجاب "جوته " بالتراث العربى .. وبالشعراء العرب القدامى إلى أن العرب فى رأيه "أمة تبنى مجدها على تراث موروث ، وتتمسك بعادات تعارفت عليها منذ القدم " وإلى جانب تمسكهم الواعى بالتقاليد الموروثة فإن من الأمور التى استحوذت على إعجابه وأثارت اهتمامه بهم : الفخر بالنفس والاعتداد بالنسب ، والاعتزاز بطرائق حياة الآباء ، كما استأثرت بهواه أصالة قريحتهم الشعرية وتذوقهم للغة وقدرتهم على التصور والتخيل " .

• وهناك عدة قضايا كثيرة توضح اندماج "جوته" ... بأجواء الثقافة العربية والفكر الإسلامى .. وأجواء النصوص القرآنية .. ، وقبسات من حياة محمد – صلى الله عليه وسلم – ومقتطفات عاطرة من بيانه النبوى الراشد .

ومن القضايا التى أثارتها المؤلفة فى كتابها "جوته والعالم العربى " .. هى :

(أ) اهتمام جوته بالدراسات العربية للمستشرقين وبأدب الرحلات وبتعلم العربية

(ب) جوته والشعر الجاهلى .

(جـ) أثر المعلقات فى الديوان " الغربى ـ الشرقى " لجوته . وأثرها فى النفحات المدجنة .

(د) الإشادة بالشعر الجاهلى فى التعليقات والأبحاث .

(هـ) صلة جوته الروحية بالإسلام وأصداء قرآنية فى مسرحية "جوته".

(و) اقتباسات من القرآن الكريم وشذرات من تراجيديا محمد.

(ز) اقتداء شاعر الديوان الشرقى "بحافظ القرآن " (الشيرازى) .

(ح) تأثيرات قرآنية فى قصائد الديوان "الشرقى" والتسليم والتوحيد فى أشعار جوته.

(ط) شاعر الديوان جوته ودعوته لبعض المبادئ الإسلامية .

- وقد قام "جوته بترجمة "قصيدة "تأبط شرا" إلى "الأدب الألمانى ".. ومطلعها

إن بالشعب الذى دون سلع لقتيلا دمه ما يطل[1]

---

(١) جوته والعالم العربى تأليف : كاتارينا مومزن ترجمة د / عدنان عباس على.



- وبعد تحليل البناء الفنى للقصيدة يقول "جوته" موضحا موقفه من القصيدة رؤية وفنا (وأروع ما فى هذه القصيدة فى نظرنا ، هو أن النثر الخالص للفعل يصير بوساطة تعاقب الحوادث المختلفة شعريا ، ولهذا السبب ، ولأنها أيضا تكاد أن تخلو خلوا تاما من كل تزويق خارجى ، فإن جلال القصيدة يزداد ، ومن يقرؤها وهو يضع نفسه فى الموقف ، لابد أن يرى الحادث نفسه ، من البداية حتى النهاية ، وهو ينمو شيئا فشيئا أمام خياله) .

- ويتأثر "جوته " بالشاعر " زهير بن سلمى " .. ويتأثر بحكمه الشعرية .. وهو يتأمل أحوال الحياة والموت .. والشيخوخة .. والشباب .

- ومن بين حكم زهير عن الشيخوخة ، هناك حكمة يتعين علينا النظر إليها على أنها كانت بكل تأكيد .. المصدر الذى أوحى لجوته بحكمة أخرى فى النفحات المدجنة ، وأعنى تلك الحكمة التى ضمنها زهير بيته المشهور .

وأعلم مافى اليوم.. والأمس قبله ولكننى عن علم ما فى غد عم

فقد تأثر بها " جوته " سواء من حيث المضمون أو من حيث المفردات ، ويتضح هذا التأثر فى "النفحة المدجنة " قبل الأخيرة من القسم الرابع ، هذه النفحة التى لم تستطع الدراسات حتى الآن الوقوف على المصادر التى أوحت بها يقول " جوته " :

إن أسوأ ما نلقاه

نتعلمه من اليوم الذى نحياه .

ومن تطلع فى الأمس إلى ما سيكون عليه اليوم الحاضر

لم يعد يومه الحاضر مجهولا لديه الآن

ومن يتطلع اليوم إلى ما سيكون عليه الغد

فذلك الذى يدب فيه النشاط ولا يحمل الهم

وتقارن "كاتارينا مومزن " بين جوته وزهير بن أبى سلمى .. وتؤكد تأثر الشاعر الألمانى بالشاعر العربى .. فتقول معلقة على النص السابق .

" فأبيات جوته تبين بشكل واضح أنه لم يقتصر على تناول الثلاثية التى كان قد تناولها زهير من قبل أعنى " الأمس واليوم والغد بشكل حرفى،وانما يبين التطابق المفاجئ لكلمات "جوته" نتعلمه من اليوم " مع نص " زهير" (وأعلم ما فى اليوم) ، أن الأول قد اعتمد فى صياغة مطلع مقطوعته على مطلع حكمة الثانى ، كما اتفق كلا الشاعرين فى التعلم من الأمس واليوم ، واشتركا فى اختتام حكمتيهما بالسؤال عن الغد المجهول .

كذلك يتبين عن الموازنة بين النصين أن جوته قد عارض بأبياته زهيرا أى أنه دبج مقطوعته فى إطار النقائض الشعرية ، تماما كما كانت عليه الحالة فى الأبيات التى عارض بها زهيرا فى موضوع السأم من الحياة عند الكبر " (١)

- واختيار جوته للقصيدة التى تنسب لتأبط شرا .. وترجمتها للألمانية فى نغمات شديدة التقطيع ، أى على مقاطع متتالية كل واحد منها

---

(١) السابق ص ١٤٢ ، ١٤٣ .

أقل ارتباطا بالآخر ، الأمر الذى جعلها فى الغالب ترن رنين الصراخ والعويل " والقصيدة فى رثاء خاله الذى قتل .

• هذا الاختيار وذلك الشرح وتلك الترجمة تدل على سعة إدراك جوته .. وعمق تجربته فى فهم الشعر العربى .. لأن هذه القصيدة احتشد لها العلامة " محمود شاكر " وحققها .. وشرحها شرحا فنيا دقيقا .. مع استقصاء كل جوانبها اللغوية والتصويرية والايقاعية .. وخصص لذلك كتابا .. زائدة . أسماه " نمط صعب ونمط مخيف " وانطلاقا من وقوفة أمام ايقاع " البحر المديد " الذى صبت فى قالبه النغمى هذه القصيدة العجيبة، ولكن " محمود شاكر" بعد تمحيص وتحقيق .. رأى أنها ليست لتأبط شرا لأن نسجها يخالف كل المخالفة ما وصل إلينا من شعره . . وهذا أمر دقيق.

• ويرى " محمود شاكر" أن القصيدة تنسب لابن أخت تأبط شرا .

• ومن أبيات هذه القصيدة التى تعد " نمطا صعبا ونمطا مخيفا " :

إن بالشعب الذى دون سلع ... لقتيلا دمه ما يطل

خلف العبء .. على وولى ... أنا بالعبء له مستقل

خبر ما نابنا مصمئل ... جل حتى دق فيه الأجل

بذنى الدهر وكان غشوما ... يأبى جاره ما يذل

شامس فى القر حتى إذا ما ... ذكت الشعرى فبرد وظل

يابس الجنبين من غير بؤس ... وندى الكفين شهم مدل

ظاعن بالحزم حتى إذا ما حل حل الحزم حيث يحل[1]

• ويؤكد النقاد الأجانب على أن " افتتان جوته بقصيدة قتال وأخذ بالثأر كقصيدة تأبط شرا" يؤيد بالإضافة إلى كل ما قيل من قبل .. أنه كان للروح القتالية التى انطوى عليها الشعر العربى البدوى المبكر أثر أخاذ ومذهل فى جوته فى شيخوخته ، وقد أثارت المعلقات لديه حب النضال ، وتحدى الخصوم من جديد بعد فترة استراحة دامت عشرين عاما ، وتجددت لدى "جوته " بفضل اقتدائه بتأبط شرا وشعراء العرب المقاتلين إرادة منازلة الخصوم بحيث صار قادرا ــ رغم شيخوخته ــ أن يخترق جبهتهم ، ويشق لنفسه الطريق (ص١٧٤ ــ ١٧٥) جوته والعالم العربى) .

- ٣ -

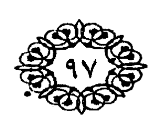
جوته والتأثر بالثقافة الإسلامية :

فى الفصل الثانى... الذى يمثل القسم الثانى من كتاب " جوته والعالم العربى".

• توضح المؤلفة " علاقة جوته بالإسلام " وتصدر هذا الفصل بهذه العبارة التى تنسب إلى جوته وهى (إننا جميعا نحيا ونموت مسلمين " ثم تقول موضحة عمق تأثر جوته بالثقافة الإسلامية فى "الديوان الشرقى " : تقول " إن علاقة جوته بالإسلام ونبيه " محمد صلى الله عليه وسلم " ظاهرة

---

(١) انظر شرح هذه القصيدة بالتفصيل فى كتاب " نمط صعب ونمط مخيف " تأليف / محمود شاكر مطبعة المدنر بالقاهرة ط ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م ..
وانظر العلامة محمود شاكر فى مواجهة النص بكتاب " شعراء وتجارب للدكتور / صابر عبد الدايم .
وانظر ترجمة هذه القصيدة إلا الألمانية بكتاب "جوته والعالم العربى" ص ١٦٦.



من أكثر الظواهر مدعاة للدهشة فى حياة الشاعر . فكل الشواهد تدل على أنه كان فى أعماق وجدانه شديد الاهتمام بالإسلام ، وأن معرفته بالقرآن الكريم كانت – بعد الكتاب المقدس – أوثق من معرفته بأى كتاب ، من كتب الديانات الأخرى ، ولم يقتصر اهتمامه بالإسلام وتعاطفه معه على مرحلة معينة من حياته، بل كان ظاهرة تميزت بها كل مراحل عمره الطويل ، فقد نظم وهو فى سن الثالثة والعشرين قصيدة رائعة أشاد فيها بالنبى " محمد " صلى الله عليه وسلم .

• وقد أسفرت الدراسات القرآنية التى قام بها جوته فى العامين (١٧٧١، ١٧٧٢م) عن نتيجة على جانب كبير من الأهمية ، إذا ألهمته التخطيط لكتابة عمل تراجيدى عظيم ، ومع أن خطة هذه التراجيديا لم تكتمل ، إلا أن بعض الشذرات القليلة من نواتها الأساسية قد تم تدوينها وما زلنا نحتفظ بها إلى اليوم ، وقد تضمنت هذه الشذرات برغم قصرها ثناء ومديحا عظيمين لم يسبق لأى شاعر ألمانى فى أى عصر من العصور أن قدمها لنبى الإسلام ، ص (٢٠٣– ٢٠٤) .

• ومما يثير الاهتمام ويلفت النظر أن جوته قدم هذه المناقب والخصال فى مدح النبى " محمد " صلى الله عليه وسلم فى صيغة حوارية بين على بن أبى طالب رضى الله عنه وفاطمة الزهراء ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وزوج على رضى الله عنه .

• وقد نظمها جوته فى ربيع عام ١٧٧٣م ، بعد أن قام بدراسة كل ما فى متناول يده من مؤلفات عن الرسول صلى الله عليه وسلم .

• وتصور القصيدة النبى بصفته هاديا للبشر فى صورة نهـر يبـدأ بالتدفق رفيقا هادئا ، ثم لا يلبث أن يجيش بشكل مطرد ، وهـى تصـور اتساع هذا النهر وتعاظم قوته الروحية فى زحفها الظافر الرائع .

• وحينما بلغ "جوته" السبعين من عمره أعلن على الملأ أنه يعتزم أن " يحتفل فى خشوع بتلك الليلة المقدسة التى أنزل فيها القرآن على النبى " .

• وبين هاتين المرحلتين " الشباب والشيخوخة " امتدت حياة طويلـة أعرب الشاعر خلالها بشتى الطرق عن احترامه وإجلاله للإسـلام . ص ١٧٧ .

• وبراعة النظم القرآنى ، وقيمته اللغوية المتميزة ، وبلاغته التـى أعجزت البشر أن يحاكيها .. هذه الظواهر الأسلوبية .. تعد فـى مقدمـة المؤثرات التى استولت على فكر جوته وشعوره ــ فأقبـل علـى القـرآن الكريم .... يستجلى معانيه ، ويتأمل أساليبه .. ومضامينه .. ولذلك يقول :

" إن أسلوب القرآن محكم سام ، مثير للدهشة ، وفى مواضع عديدة يبلغ قمة السمو حقا " .

ويقول د / عدنان عباس على . مترجم كتاب " جوته والعالم العربـى " هكذا وصف جوته القرآن الكريم وهو يقرؤه مترجما بمعانيه إلى اللاتينيـة والألمانية ، فماذا كان سيقول عنه يا ترى لو قدر له أن يقرأه بالعربية " ص (١٨٨) .

• ومن القيم الإسلامية التى أثرت فى أدب جوته ومواقفه من بعض السلوكيات الحياتية .. قيمة الصدق فى الإسلام .. ورفض المنهج الإسلامى لمبدأ النفاق فى الحياة ، ورفضه كذلك لما عليه الكفار من مبادئ وقيم .



ولذلك اقتبس من سورة النساء معنى الآية الكريمة ــ التى ترفض منهج المنافقين وتصور حركتهم السلبية فى الحياة .. حيث يقول الله عز وجل .

﴿ **مذبذبين بين ذلك لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء ، ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا** ﴾ (النساء آية ١٤٣) .

واقتبس من سورة البقرة معنى الآية الكريمة التى تصور إعراض الكفار عن الدعوة وعن الإقبال على ساحة الإيمان والتوحيد :

يقول الله عز وجل ﴿ **ومثل الذين كفروا كمثل الذى ينعق بما لا يسمع إلا دعاء ونداء صم بكم عمي فهم لا يعقلون** ﴾ (سورة البقرة الآية ١٧١) .

• ومن وحى الآية الكريمة فى سورة البقرة : حيث يقول الله عز وجل ﴿ **ولله المشرق والغرب فأينما تولوا فثم وجه الله إن الله واسع عليم** ﴾ يقتبس جوته بعض معانى مقطوعته الشعرية التى استهل به قصيدته المسماة "طلاسم" وهى مقطوعات متعددة .. وردت فى كتاب " المغنى " وهو الكتاب الأول فى الديوان الشرقى .. يقول جوته :

" لله المشرق

لله المغرب

والأرض شمالا

والأرض جنوبا

تسكن آمنة

ما بين يديه "

- ومن وحى قول الله عز وجل فى سورة الفاتحة :

﴿ اهدنا الصراط المستقيم ، صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين ﴾ .

- يقتبس "جوته " معانيه وأفكاره فى إحدى رباعياته وقد حرص فيها على الالتزام بالنص وإضفاء صيغة الدعاء عليه .. كما تقول " كاترينا مومزن " .. وقولها فيه كثير من الصواب ... يقول جوته مصورا شعوره الحائر . ثم يطلب الهداية من الله .

يريد الضلال أن يربكنى

لكنك تعرف كيف تهدينى

فإن أقدمت على عمل أو نشدت شعرا

فأنر لى أنت جادة الطريق

- وفى هذه المقطوعة أو الرباعية " نجد جوته يتحدث عن الإرباك " تعبيرا عن عدم وضوح رؤيته لماهية الصراط المستقيم ، وكلمة تهدينى .. تقطع الشك باليقين وتوضح المراد من مصطلح الضلال فى النص الشعرى ، وتؤكد أن الهداية بلا ريب من الله تعالى .. وهو الهادى إلى سواء السبيل . وهذا مراد الشاعر فى نصه ، ومن هنا نراه يتوسل إليه أن ينير له جادة الطريق فى حياته كلها .

• **جوته وموقف القرآن من الشعر والشعراء .**

• في الآيات الأخيرة من سورة الشعراء ... يتضح موقف الإسلام من الشعر ومن الشعراء .. وهو أن الشعراء ينقسمون إلى قسمين هما .

(أ) شعراء يهيمون في كل واد .. ولا يلتزمون بالسلوك الإنساني والأخلاقي في ظل التعاليم الإسلامية . وهم الذين يعادون القيم الإسلامية ، ويحرضون على هجاء المسلمين .. والتقليل من شأنهم .. وعدم احترام مبادئهم .

(ب) وشعراء .. آمنوا بالله ورسوله .. وعملوا الصالحات .. وذكروا الله كثيرا .. ووظفوا مواهبهم وملكاتهم في الانتصار للحق .. والوقوف في وجه البغي والظلم والعدوان .. ونادوا بالحرية .. والعدالة ، وقدموا تجاربهم الشعرية تقديما إيجابيا .. مثمرا يبني ولا يهدم ، ينشد الجمال في مسيرة الإنسان ، ولا يزين القبيح . ولا يكرس الرذائل والسلوكيات المرضية التي تشوه صورة الإنسان في أي زمان وفي أي مكان ...

وهذه الآيات الكريمات هي في ختام سورة الشعراء الآيات من (٢٢١ـ ٢٢٧)

﴿ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَى مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ ۞ تَنَزَّلُ عَلَى كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ۞ يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَاذِبُونَ ۞ وَالشُّعَرَاء يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ۞ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ۞ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لا يَفْعَلُونَ ۞ إِلا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانتَصَرُوا مِن بَعْدِ مَا ظُلِمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴾

• وكان جوته قد قرأ هذه الآيات الكريمة في " كنوز الشـرق" فـي ترجمة "فون هامر" فاقتبسها وكتب بمداد أحمر تحت عنوان " شكوى " .

• ومن المرجح أن يكون جوته قد دون هذه الآيات يوم ٧، ٨ مارس من عام ١٨١٥م إذ كتب في مذكراته اليومية أنه كان يطالع القرآن الكريم في هذين اليومين . وفي يوم ١٠ مارس من عام ١٨١٥م أي بعد يومين أو ثلاثة أيام من هذه المطالعة نظم جوته قصيدته " شكوى " التي ضمنها فيما بعد " كتاب حافظ " والتي يقول فيها متأثرا بالآيات القرآنيـة . ومسـتوحيا أصداءها ومعانيها الكريمة وموقفها من الشعر والشعراء.

شكوى

أتدرى لمن يقوم الشيطان بالمرصاد
فى الفيافى بين الصخور والأسـوار
وكيف يجيل فيهم النظـرات الحـداد
مقتادا إيـاهم إلـى أبـواب النـار؟
إن هؤلاء هـم الكـذابون الأشـرار

والشاعر .. لماذا لا يرتاع
من الدخول فى زمرة هؤلاء الرعاع !؟؟
هل يعرف من يرافق ويصاحب ؟
هذا الذى لا يعمل إلا فى حال من الجنون غالية !! .
أنه سيهيم على وجهه فى القفار والبيد .
ولا يحدوه غير حب عنيد !!

وأغانيه الشاكية المسطورة فى الرمال

ستجعلها الريح أبدا فى ترحال

إنه لا يعى ما يقول

ولا يفعل ما يهذى به

إن الناس سيتركون قصيده يذهب حيث شاء

لأنه لا يتفق والقرآن

فعلموا الناس أيها الراسخون فى العلم

والمتدثرون بدثار الحكمة

علموا المسلمين المخلصين واجبهم المتين

- وهذه القصيدة ترجمها إلى العربية الدكتور / عبد الرحمن بـدوى فى كتاب " الديوان الشرقى للمؤلف الغربى " وهى ترجمة نثرية ، وليست فى قالب موزون .. ولكنها تصور بدقة تأثر جوته بموقف القرآن الكريم ... من الشعر والشعراء ، وقد أصدر جوته حكمة على الشاعر الذى لا يعمل إلا فى حال من الجنون .. والذى لا يعى ما يقول .. والذى يهيم على وجهه فى القفار والبيد .

- هذا الشاعر سيفقد مكانته بين الناس .. ولن يؤثر فيهم ، بل إن الناس سيتركون قصيده يذهب حيث شاء .. لأنه لا يتفق والقرآن — كما

يقول جوته .. وكما يجب أن يكون عليه الشاعر " الملتــزم " فــى ضــوء التعاليم والتوجيهات القرآنية [١] .

- **جوته والتأثر ببعض القيم الإسلامية فى ضوء البيان القرآنى .**

(أ) الإشارة بقيمة الجهاد .. والثناء على شهداء " بدر ".

- لقد كتب " جوته " قصيدته " رجال مؤهلون " ، وقد انطلقت تجربته فى هذه القصيدة من حدث تاريخى مهم فى حياة النبى — صلى الله عليــه وسلم — وهو انتصار المؤمنين على مشركى مكة عام ٦٢٣م ، فى الســنة الثانية من هجرته — صلى الله عليه وسلم — من مكة إلى المدينة .

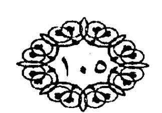
- وكان جوته قد قرأ الكثير فى كتب السير التى ألفها " رينبنــدر" و "أولزيز" و "بولان فبلبير" و " توربين" عن الظروف التى أحاطــت بهــذه المعركة الحاسمة " معركة بدر " والأهمية التاريخية التى انطوت عليها .

- وقصيدة " رجال مؤهلون " تستلهم موقف النبى محمد — صلى الله عليه وسلم — عندما بشر الذين استشهدوا فى سبيل الله بحياة خالــدة فــى الجنة.

وقد أخذ الشاعر الصور التى تصف نعيم الجنة من آيات قرآنية كان قد قرأ ترجمة معانيها فى " كنوز من الشرق " .

---

(١) انظر " التعليق على هذا النص وعلى غيره من النصوص التى تــأثر فيهــا جوته بالقرآن الكريم فى كتاب " جوته والعالم العربــى " ، وأنظــر " الأدب الإسلامى بين النظرية والتطبيق " لكاتب هذه الدراسة مبحث " التأثر بالبيــان القرآنى ، د / صابر عبد الدايم طبعة دار الشرق عام ٢٠٠٣م .



- وحتى لا يظن أن آراء جوته التى تأثر فيها بالإسلام سديدة كلهـا وليس هناك ما يؤخذ عليه . تعلق مؤلفة كتاب " جوته والعـالم العربـى " ،ولمترجم الكتاب ومراجعه دور فى دقة هذا التعليق الذى يفتح بابا للحوار والنقاش حول مدى إدراك جوته لجوهر دلالات الآيات والمبادئ القرآنيـة فى سياقها المرتبط بخصوصية سبب النزول .·. وبامتداد وعمـوم الدلالـة التأويلية التى لا تتصادم مع الدلالة الخاصة .. تقول المؤلفة تعقيبـا علـى إشادة جوته بأبطال بدر وتغنيه بانتصارهم على مشركى مكة .

" وإذا أردنا الدقة ، فالواقع أن قصيدة " رجال مؤهلون " تمثـل العمـل الإيجابى الوحيد الذى يشارك به جوته فى موضوع " الجهاد فى سبيل الله ".

- ونقتطب من هذه القصيدة هذه الأبيات التى تصور ملامـح مـن تجربة جوته وانفعاله بالموقف البطولى لأصحاب بدر ، وقد قام بترجمة هذه القصيدة إلى العربية الشاعر / عبد الرحمن صدقى فـى كتابـه " الشـرق والإسلام فى أدب جوته " وأوردها بشئ من التصرف د / عـدنان عبـاس على . مترجم كتاب "جوته والعالم العربى " فى حاشية الكتاب نفسـه فـى الصفحات (٣٠٧ــ ٣٠٨ــ ٣٠٩) يقول جوته مسـتوحيا أصـداء البيـان القرآنى ، وأحداث السيرة النبوية فى وصف غزوة بدر الكبرى .

- **بعد معركة بدر تحت السماء المرصعة بالنجوم**

ليندب الأعداء قتلاهم فإنهم من الهالكين

أما الشهداء من إخواننا ، فلا تندبوهم

فإنهم أحياء فى أعلى عليين

- **لقد فتحت السماء السبع أبوابها لهم أجمعين**

وهم أولاء يقرعون أبواب الجنة

يدخلونها بسلام آمنين

ثم يواصل " جوته " تصويره لبطولة الشهداء ، وما ينتظرهم من نعـيم مقيم فى جنة عرضها السماوات والأرض . يقول مخاطبا الشهداء .

" جرحك الذى نقش على صدرك أثرا

هو حسبك تذكار فخار ، ووسام مجد ، وقلادة جدارة .

- **إن المال فان ، والجاه زائل ،**

ولا يبقى إلا طعنة كهذه لقيها المؤمن فى سبيل الله "

(ب) الإشادة بعقيدة التوحيد .. وبأن المسيح ليس ابنا لله .

- يقول " جوته " فى إحدى قصائده مشيرا إلـى ضـرورة الإيمـان بالواحد الأحد ومؤكدا على قيمة الإيمان وثمرته ودوره فى حياة البشر .

" والإيمان بالله الواحد يسمو بالروح ..

لأنه يرد الإنسان إلى وحدة ذاته "

- وهذا الإيمان بعقيدة التوحيد يقوده إلى ضرورة التسليم لله وينـذر التعصب بكل صوره .. لأن التعصب حماقة وجهل وغرور وادعاء .

- يقول " جوته "

مـن حماقـة الإنسـان فـى دنيـاه
أن يتعصـب كـل منـا لمـا يـراه

وإذا كان الإسلام معناه : أن لله التســليم

فعلى الإسلام .. نحيا ونموت نحن أجمعين

• وانطلاقا من الإيمان بعقيدة التوحيد يرفض جوته مقولة المسيحيين ومعتقدهم فى أن المسيح ابن الله ... ، وفى المقطعين " السادس والسابع من قصيدة .

" **أيتها الطفلة الرقيقة ، هذه الأسماط من اللآلئ** " يقر جوته برفضـــه لهذا المعتقد الذى يمثل جوهر الخلاف القائم بين الإسلام والنصرانية ، وهو خلاف مستمر ودائم لأن كل فريق له حججه وتأويلاته وتصوره للقصيدة .

• ولكن جوته يؤيد الرفض الإسلامى لمقولــه " المســيح ابــن الله " ويؤكد ذلك حين يقول مقرا بأن يسوع كان يؤمن بالواحد الأحد .

- **ويسوع كان طاهر الشعور ،**

  ولم يؤمن فى أعماقه إلا بالواحد الأحد

- **ومن جعل منه إلاها فقد أساء إليه وخالف إرادته المقدسة ،**

- **وهكذا ،**

فإن الحق هو ما نادى به محمد

فبفكرة الله الواحـــــد الأحـــــد

ســـاد الدنيـــا بأسرهــــــا

• ويفيض ديوان " جوته" بكثير من المبادئ والقيم الإنســانية التــى يقرها الإسلام ومنها الدعوة إلى حسن الجوار بين أبناء ديانات التوحيد ، بل بين أبناء جميع الأديان ، ولقد بدا له كتاب " الحكم " خير مكان للدعوة إلى حسن الجوار ، وهذه الدعوة تتفق مع منهج القرآن ، ومبدأ الإســلام فـــى

معاملة أهل الكتاب ، ولم يغب عن جوته أن عصره ــ كما تقول " كاتارينا مومزن " ــ أن عصره لم يبلغ درجة النضج الأخلاقى الذى تسمح بحسن الجوار هذا ، ولكنه لم يترك الأمور تهبط من عزيمته على العمل فى هذا الاتجاه ، فقد دأب بوجه عام على فعل الخير من أجل الخير ذاته ، غير أنه كان يضع أمله فى المستقبل ، يقول مؤكدا اتجاهه الإنسانى وضرورة التواصل بين الأجيال وحسن الجوار .

- **أفعل الخير لأجل الخير وحده !**

ثم سلمه لنسل من دمك

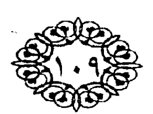
فإذا لم يجن أولادك منه

فهو لن يخلف للأحفاد وعده

(ص ٢٩٦من كتاب " جوته والعالم العربى " ، والقصيدة من ترجمة د / عبد الغفار مكاوى)

- وإن هذا التأثر بمعانى القرآن الكريم وبيانه المعجز ــ كان نتيجة دراسات وجهود من بعض المستشرقين ــ الذين قاموا بترجمة معانى القرآن الكريم .. مع الحرص على المحافظة قدر الإمكان على الخصائص اللغوية والبيانية .. ولكن ذلك لا يتحقق لأن إعجاز القرآن الكريم فى نظمه المعجز الذى أنزل على المصطفى ــ صلى الله عليه وسلم ــ بلسان عربى مبين

- وتقر بهذه الحقيقة المستشرقة " آنامارى شمل " وتؤكد أن التجاوب الذى يضفى على الجملة العربية روعتها .. يضيع فى سياق الترجمة .. كما تضيع أيضا الإيحاءات الكثيرة المستترة التى تكمن فى كل جذر عربى ، وتثير لدى العارفين مختلف التداعيات والتجارب التاريخية والدينية والبلاغية "



• وتشير هذه المستشرقة إلى قيمة اللغة العربية الإيحائية فتؤكد أن " بنية العربية وما فيها من جذور ثلاثية أساسية تعطى الفرصة علـــى نحــو رائع لاشتقاق كلمات بصيغ لا نهائية ، وبقواعد دقيقــة تكــاد تبلــغ دقــة الرياضيات .

• وبوسع المرء أن يقارنها بالبنية التى تكون عليها نقوش الزخرفــة العربية عادة عندما تتطور من نموذج هندسى بسيط إلى نجوم معقدة وكثيرة الزوايا والأركان ، أو من وردة إلى زخرفات متداخلة كثيرة الزوايا .

• والمستشرق النمساوى "يوسف فون هامر" الذى أقدم على ترجمــة معانى بعض أجزاء من القرآن الكريم . واستفاد من هذه الترجمة " جوته " وكذلك استفاد من ترجمة " ثيودور أرنولد " التى نقلها عند ترجمة "جــورج سيل" الإنجليزية .

• يقول " فون هامر " مؤكدا أن القرآن من لدن حكيم حميد " ولــيس من تأليف " محمد " صلى الله عليه وسلم كما يزعم ويدعى كثير من أدعياء العلم ومدعى الثقافة .

• يقول (القرآن ليس دستور الإسلام فحسب ، وإنما هو أيضــا ذروة البيان العربى ، فسحر اللغة العظيم .. يشهد على أن القرآن الكــريم هــو وحى من الله ، وأن محمدا ــ صلى الله عليه وسلم ــ لم ينشر سلطانه على قومه بالسيف ، بل نشره فى المقام الأول بإعجاز الخطاب .

• فالكلمة الحية التى فاقت القصائد السبع المعلقة على جدار الكعبة " أى كلمات القرآن الكريم " لم يكن من الممكن أن تكون ثمرة قريحة بشرية

، بل تحتم ان [illegible] خنمة نطقت وكتبت منذ الأزل فى السماء ، ومن هنـــا فإن القرآن [illegible] وحي من الله " (١) .

• وحين [illegible] جوته بالقران الكريم " فإنه يقدم لأدبائنا فـــى الـــبلاد العربية .. من جيل الحداثة نموذجا إيجابيا .. فى تمثـــل وهضـــم الثقافـــة الإنسانية .. وفى مقدمتها " الثقافة الإسلامية " التى تنعم النفس الإنسانية فى ظلالها بالسكينة ... والثقة والقوة .. والعزة ، ولا تعرف طريقا لليـــأس . والضعف ، والعجز والاستسلام .

• إن كثيرا من شباب الأدباء .. ومن شـــيوخه .. قنعـــوا باليـــأس ، واستسلموا للقلق والإحباط ، وألقوا بنفسهم فى كهوف التشاؤم ، وســـراديب العبث ، ووهموا .. أن هذه هى صورة الأديب الصحيح .. وذلك هو نموذج الإبداع الخارق . وأسلمهم ذلك الوهم العابث إلى ضياع القـــيم ، ونســـيان الهوية ، وتشوه الملامح !!

• وجوته .. قد ارتوى من ينابيع الثقافـــة الإســـلامية .. والثقافـــات الإنسانية كلها .. ومن هذه المنابع .. ماقرأه فى مرحلـــة تـــأليف الـــديوان الشرقى من القيم الإسلامية التى قدمها " يوسف فون هـــامر " المستشـــرق النمساوى .. وهو حجته ومرجعه فى هذا المجـــال ... حيـــث يقـــول " إن الخضوع لإرادة الله ، والثقة بتدبيره ومشيئته هما جوهر الإسلام ،

• " فإن شاء الله " تعبر عن ثقة بالمستقبل .

• " وما شاء الله " تعبر عن الرضا بالماضى والحاضر .

• " وبسم الله " تعنى : لا تقم بشئ قبل أن تطلب العون من الله .

---

(١) انظر : جوته والعالم العربى ص ٢٩٧ .

- " والحمد لله " تعني : لا تنتهي من شئ قبل أن تشكر الله ،
- إن هذه الكلمات الأربع هي إن صح القول : الركائز الأربع الأساسية للأخلاق الإسلامية ، وهي على الدوام على ألسنة المسلمين "
- **ويتجاوز تأثر " جوته " دائرة المعاني .. والصياغة .. والأفكار إلى دائرة الفعل .. والحركة .. والسلوك .. ففي القصيدة الرائعة التي استهل بها الديوان الشرقي عامة ، و" كتاب المغني " خاصة – كما تقول " كاتارينا مومزن" وهي قصيدة " هجرة " أشار من خلال عنوان القصيدة إلى رغبته في أن يهاجر كما هاجر " محمد صلى الله عليه وسلم " من مكة المكرمة إلى المدينة المنور في عام ٦٢٢م .**
- **ففي المقطع الأول من القصيدة يهاجر مغني الديوان الشرقي " إلى " الشرق الطاهر الصافي " لكي يستروح نسيم الآباء .**
- وتعني هذه الهجرة الروحية إلى أماكن بعيدة وعصورا غابرة بداية مرحلة جديدة في حياة شاعر الديوان .. ولذلك نجده يقول ابتداء من البيت السابع:

" إلى هنا حيث الطهر والحق والصفاء

أود أن أقود الأجناس البشرية

وأنفذ بها في أعماق الأصل السحيق

حين كانت تتلقى من لدن الرب

وحي السماء بلغة الأرض

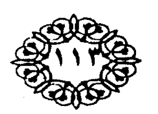
- **وأود أن أتعلم كيف كانت الكلمة هناك ذات شأن خطير**

لأنها كانت كلمة فاهت بها الشفاه .

• وقد حظى الشعر العربى بإعجاب كثير من المستشرقين وقامت حوله دراسات عدة – وقد أقدم كثير منهم على تحقيق ونشر دواوين الشعراء العرب .

• ومن أقوالهم فى بيان قيمة الأدب العربى بعامه.. والشعر العربى بخاصة يقول " هردر " مصورا تقديره للشعراء العرب .

" وهم يقفون شامخين رافعى الرءوس عاليا كما لو كانوا صخرة تعلو إلى السماء ، فالعربى الصامت يتكلم بلهب الكلمة ، وببريق حسامه ، وسهام فكره الثاقب تشبه نبال قوسه " ولا يوجد شعب شجع الشعر وارتقى به إلى تلك المنزلة التى ارتقى إليها العرب فى عصورهم الزاهية .



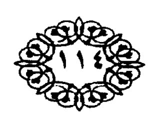
الفصل الخامس
أصداء الثقافة العربية والإسلامية
فى الأدب الروسى

- إن رصد مظاهر التأثر والتأثير من أسس المقارنة بين الآداب.

- ورصد هذه المظاهر .. لا يقتصر على الدائرة الأدبية بكل مكوناتها الفنية .. ولكن يتجاوز هذه الدائرة .. ويتفتح على المكونات الثقافية والحضارية التى قامت عليها حضارة الأمة .. واستمدت منه آدابُها مصادر قوتها ، وعوامل ثرائها وبقائها .

- وهذه القضية التى نقدمها..وهى رصد أصداء الثقافة العربية والإسلامية فى الأدب الروسى .. تثير تساؤلات عديدة ، وتدعو للدهشة والتأمل.. وذلك لأن المتعارف عليه أن الأدب العربى فى القرن العشرين .. تأثر فى الجانب الأكبر منه بالأدب الروسى..أو معايير الأدب ومنطلقاته فى "الاتحاد السوفيتى" وهو أدب موجه، وارتبطت به قضية "الالتزام فى الأدب والنقد" ، وما شابها من سلبيات ، وما اقترن بها من إيجابيات، ووقع كثير من أدباء العرب فى غرام هذا الأدب الذى ارتبط بالفكر اليسارى .. والعدل الاجتماعى .. والثورة على النظام الطبقى، وغير ذلك من مبادئ وقيم اجتماعية مرتبطة بحركة المد الشيوعى فى العالم بأسره.

- وتأتى هذه المحاولة "الجادة" التى ترصد "أصداء الثقافة العربية والإسلامية فى الأدب الروسى " .. لكى تكشف عن جذور المؤثرات العربية والإسلامية، ولكى تقدم لشباب الأدباء .. وشيوخه .. وكذلك النقاد .. الوجه الأصيل لثقافتنا العربية التى وقف منها كثير من أبنائها



المحدثين .. موقف الاتهام والرفض ، وحجتهم أن الفكر التقدمى ينبذ التراث .. ويرفض "الرؤى القديمة" ، ولا يخضع لأى فكر غير مادى .. وكل ما عدا ذلك أساطير وأوهام !!!

- وجاء الإنصاف على يد دارسين متخصصين فى المقارنة بين الآداب وفى مقدمة الذين قدموا جهدا خالصا فى هذا المضمار .. د/مكارم الغمرى فى كتابها الجيد ـ مؤثرات عربية وإسلامية"فى الأدب الروسى•

- وهو نتاج قراءات .. وجهود علمية جادة .. مع انتماء خالص للعروبة والإسلام ، ورغبة أكيدة فى تقديم صفحة حضارية جديدة تجلى هذا الجانب الوضئ من جوانب التفاعلات الثقافية والحضارية بين الأمم والشعوب •

- وتعلن عن أصالة الحضارة العربية، والفكر الإسلامى، وعمق التأثيرات القرآنية .. ، والبيان النبوى .. فى رواد الأدب الروسى "العالميين"•

- وكما تأثر جوته "شاعر ألمانيا الأكبر" .. بمعالم الثقافة العربية والإسلامية •

- وتشعبت أصداء هذا التأثر فى شعره وفى أدبه •

- تأثر كبار أدباء "روسيا" بأجواء الحضارة العربية والإسلامية وتأثروا كثيرا "بألف ليلة وليلة" وما تضمنته من أجواء تعبق بحركة التاريخ العربى.. وثراء الحياة.. وخصوبة الخيال..وتوهج المشاعر•

- والتأثر الأكبر كان "بالقرآن الكريم" وما تضمنه من قيم وأساليب وقصص ومواقف وسير .

- والشاعر الروسى الكبير "الكسندر بوشكين : يقول مؤكدا تأثر المذهب الرومانتيكى فى أوروبا .. وروسيا .. بالتراث العربى .. وأجواء الحياة العربية .

- هناك عاملان كان لهما تأثير حاسم على روح الشعر الأوروبى هما "غزو العرب .. والحروب الصليبية، فقد أوحى العرب إلى الشعر بالنشوة الروحية ورقة الحب ، والولع بالرائع والبلاغة الفخمة للشرق ، وأكسبه الفرسان الشهامة وبساطة الروح، ومفاهيم البطولة وحرية الشعوب .

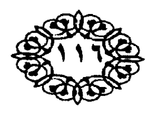
- ثم يقول وفى قوله إنصاف لتراثنا الأدبى ، والإنسانى: "هكذا كانت البداية الرقيقة للشعر الرومانتيكى"(١).

- ويتكامل هذا التوجه .. مع الحنين الرومانتيكى إلى الشرق، وهذا الحنين يحسد إحساسهم بالاغتراب المكانى، فقد فتنوا بطبيعة الشرق الجميلة ، ومناظره العجيبة، وشمسه الوضاءة المشرقة.

- وبعضهم كان يتحسر إذا لم تتح له الفرصة لزيارة بلاد الشرق مثل "فلوبير" حيث كان يتمنى أن ينام على ظهر الجمال فى خطوها المنتظم ، وهذا شعور رومانتيكى خالص، وكذلك "فيكتور هوجو" كان يرى أن

---

(١) "الكسندر بوشكين" عن الشعر الكلاسيكى والرومانتيكى " المؤلفات الكاملة فى عشرة أجزاء جـ٧ نقلا عن "مؤثرات عربية وإسلامية فى الأدب الروسى" ص٥٥ د/ مكارم الغمرى / عالم المعرفة عدد ٥٥ .



الشرق عالم ساحر مشرق وهو جنة الدنيا، وهو الربيع الدائم مغمورا بوروده، وهو الجنة الضاحكة، وأن الله وهب أرضه زهورا أكثر من سواها، وملأ سماءه نجوما أغزر، وبث فى بحاره لآلئ أوفر.

- " واتجه الرومانتيكيون" إلى الشرق بحثا عن الجديد فى الموضوعات والصور والأساليب الشرقية ، وفى مجال التجديد برز الشعر العربى والفارسى ينبوعا خصبا أمام المجددين ، وهو ما أشار إليه "هيجل" مؤكدا أن "الإيرانيين والعرب الذين يتسمون بفخامة الصور الشرقية .. والعنان الفريد "للفانتازيا" يقدمون نموذجا رائعا للشعر الرومانتيكى[١].

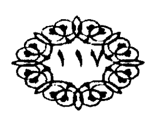
- وهذه الإشارة التى نوه فيها "فيكتور هوجو" بدور "الإيرانيين والعرب" فى تقديم النموذج الرائع للشعر الرومانتيكى .. يقودنا إلى البحث عن جذور الثقافة العربية والإسلامية فى آسيا الوسطى .. والقوقاز .. وعن جذورها فى "روسيا" بصفة عامة وفى بلاد "ما وراء النهر" كما كانوا يقولون " قديما " .

- وأصبح إقليم ما وراء النهر منطقة خصبة لتربية الشعراء والكتاب حتى بعد زحف اللغة الفارسية غربا إلى "العراق" العجمى، وأذربيجان".

- وقد اتخذ مسلمو أهل المشرق عامة من ترك وهنود وإيرانين وأفغان وغيرهم خاصة أهل تركستان ، من اللغة العربية لغة العلم، والفارسية لغة الأدب .

---

(١) السابق ص ٦٠ وانظر : علم الجمال " لفيكتور هوجو " .



• وقد ظهر فى هذه المنطقة علماء كبار شاركوا فى إرساء معالم الحضارة العربية والإسلامية ، وأرسوا كثيرا من دعائم الحضارة العالمية بعد ذلك ، ومنهم من وضع أسس النقد الأدبى والبلاغى مثل "عبدالقاهر الجرجانى فى كتابيه " أسرار البلاغة و"دلائل الإعجاز" وكذلك / عبدالعزيز الجرجانى / صاحب كتاب "الوساطة بين المتنبى وخصومه" ٠

• ومن العلماء الذين شاركوا فى نشيد الأسس الحضارية بكل جوانبها .. والذين بزغت بعض شموسهم من آفاق هذه البلاد .. ثم تضوأت بعد ذلك فى العالم كله ٠

١ – جابر بن حيان
٢ – موسى بن شاكر
٣ – الخوارزمى
٤ – الكندى
٥ – الدينورى
٦ – ثابت بن قره
٧ – البتانى
٨ – أبو بكر الرازى
٩ – الفارابى
١٠ – الخازن
١١ – الصوفى
١٢ – ابن يونس
١٣ – الزهراوى
١٤ – البوزجانى
١٥ – المجريطى
١٦ – البيرونى
١٧ – ابن الهيثم
١٨ – ابن سينا
١٨ – ابن العوام
٢٠ – البغدادى
٢١ – ابن البيطار
٢٢ – القزوينى
٢٣ – ابن النفيس
٢٤ – ابن ماجد
٢٥ – داود
٢٦ – الأنطاقى

• ومن الأدباء والعلماء الذين أثروا فى الفكر الإنسانى .. ونهلوا من منابع الثقافة العربية .. والحضارة الإسلامية ، ولهم دورهم فى مسيرة الأدب الصوفى :

* الفضل بن عياض وقد ولد فى سمرقند
* إبراهيم بن أدهم وهو من بلخ
* بشر الحافى وهو من أهل مرو
* شاه الكرمانى وهو من مرد
* محمد بن على الترمذى الشهير بالحكيم الترمذى
* أبو بكر الوراق وهو من ترمذ

* ويذكر مؤرخو الأدب الفارسى أن الصوفية العظام الذين كتبوا المثنويات ثلاثة أولهم : سنائى : وقد ولد فى بلخ ،

وثانيهم : فريد الدين العطار

أما ثالثهم فهو جلال الدين الرومى .. وقد ولد فى بلخ .

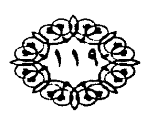
• ومن الشعراء الكبار الذين نبغوا فى هذه المنطقة .. وأثروا فيمن بعدهم :

الرودكى السمرقندى: وهو من شعراء السامانيين فى القرن الرابع الهجرى

أبو طاهر الخسروانى وهو من شعراء السامانيين فى القرن الرابع الهجرى

الدقيقى : المتوفى عام ٣٦٨هـ وقد عاش فى بلاط آل محتاج فى صغانيان ببلاد ما وراء النهر

أديب صابر الترمذى: وقد عاش فى بلاد سنجر السلجوقى ثم انتقل إلى



بلاد أتز، وقد أغرق فـــى نـــهر جيحـــون عـــام ٥٤٦هـــ

نظامى الكنجوى وكانت وفاته ٥٧٦هـــ، او ٦٠٦هـــ

- وقد قامت على أكتاف هؤلاء الشعراء جميعا نهضة الشعر الفارســـى ووضع أسسه وقواعده وقد ظلوا أساتذة لمعاصريهم ، وكذلك على طـــول العصور لمن جاء بعدهم(١).

- وحين نطل على البعد التاريخى لهذه المنطقة .. وكذلك الجغرافى .. نعرف أن نهر جيحون كان يمثل الخط التقليدى الفاصل بيـــن الشـــعوب المتكلمة بالفارسية ، والشعوب المتكلمـــة بالتركيـــة ، أو بيـــن الفـــرس والطورانين ، وفى عهد "الوليد بن عبدالملك " عبره المســـلمون، وثبتـــوا أقدامهم فيما وراءه .. " ولذلك سميت البلاد بعد ذلك بلاد "ما وراء النهر" ونجح "قتيبة بن مسلم فى أن يستولى على بخارى وبلخ، وعندما وصــــل إلى سمرقند وجد أصناما كثيرة يعتقد عبدتها أن من يثير حنقها يتعـــرض للموت، فلم يأبه لهذه الخرافات وبدأ إحراقها فى الحال، ولما لـــم يصبـــه مكروه أقبل عدد كبير من الناس على اعتناق الإسلام ، وفتح المســـلمون فى عام ٧٥١م بلاد الشاش أو "طشقند" إلى الشمال الشرقى من ســـمرقند، وبذلك انطوت بلاد ما وراء النهر فى العالم الإسلامى الذى اتصل بعنصر جديد ، وثقافة جديدة بالنسبة إليه، ونعنى بهم المغول، وأصبحت بخـــارى

---

(١) انظر "المسلمون فى آسيا الوسطى والقوقاز " إعداد: مصطفى دسوقى كســـيه / ملحق مجلة الأزهر رجب ١٤١٤هـــ .
وانظر : مقدمة فى الأدب الإسلامى المقارن " د/ الطاهر أحمد مكى.

وسمرقند وبقية مقاطعة خوارزم مهد الإسلام، ومركز الثقافة العربية في آسيا الوسطى ٠

• وفى الوقت نفسه كان محمد بن القاسم الثقفي، وهو ابن أخي الحجاج، يتقدم شرقا ويواصل تقدمه فى المنطقة المعروفة الآن باسم "بلوخستان" وأخضع السند، ونيرون، ومكانها "حيدر آباد" الحديثة ٠

• ثم وصل "البنجاب ، ووجد فيها كلها معابد وتماثيل بوذية .. وبدأ أول اتصال من الإسلام .. والثقافات الهندية .. التى تبادلت فيما بينها التأثر والتأثير ٠

• وازداد .. بعد ذلك نفوذ اللغة الفارسية فى شبه الجزيرة الهندية، وتأدب كثير من أبنائها بالفارسية، وقرضوا فيها الشعر، ونفقت أشعار كبار الشعراء الإيرانيين أمثال "الفردوسي، والسعدى وحافظ الشيرازى ، والجامى ٠

• كما اتجه الأدب الفارسى إلى آسيا الصغرى، وبلاد الدولة العثمانية وراج فى عهد الدولة الصفوية خاصة، وكان قد سلك طريقة إليها من قبل سلاطين سلاجقة الروم، وفى عهد المغول أسرع إليها جماعة كثيرة من المؤلفين والعلماء والشعراء والمتصوفة أمثال "السهروردى" و"نجم الدين الرازى" ومولانا جلال الدين الرومى وغيرهم، فعملوا على نشر الفارسية وآدابها ٠

• وكان سلطان ولد ، ابن جلال الديـــن الرومـــى أحـد بنـاة الأدب العثمانى، ولمدة طويلة اتخذوا من مثنوية "ولد نامه" أنموذجا يحتذونه"[١].

• إن هذه الجذور التاريخية تكشف عن كيفية نمو الصلات والوسـائط الثقافية والفكرية والأدبية بين شعوب هذه المنطقة .. والثقافـة العربيـة والإسلامية التى كانت لها السيادة والغلبة .. والتأثر بكل أبعاده .. فكـرا ورؤية .. ومعالم فنية .. وخصائص تعبيرية .. وطرائق أسلوبية .. وهذه المعالم الثقافية والحضارية لم تغب ملامحها .. ولم تتبدد آثارهـا عـبر القرون .. ولكنها وصلت إلى الأحفاد بعد أن أفل نجم الحضارة العربيـة .. وتقلصت أركان وظلال الدولة الإسلامية .. وحدث الانفتاح الهائل بين الشرق والغرب، ونشط العلماء المنصفون فـى ترجمـة آثـار الثقافـة الإسلامية " إلى اللغات الأوربية .. واللغة الروسـية ..، وكذلـك كـان للرحلات التى قام بها الأدباء والعلماء الـروس إلـى البـلاد العربيـة والإسلامية أثر كبير فى نقل كثير من مشاهد ومعـالم الحيـاة العربيـة والإسلامية مرة أخرى إلى هذه المنطقة .

• ومن هؤلاء الرحالة الذين كتبوا ووصفوا وقدمو الصور التفصيليـة عن البعثة العربية والإسلامية .

رحلة الأديب الدبلوماسى : أندرى مورافيوف "١٨٠٦ ــ ١٨٧٤":

• وقد كان يستهدف من زيارته الشرق العربى زيارة الأماكن المقدسـة إلى جانب زيارة الإسكندرية والقاهرة وممفيس وفلسطين، وقـد سـجل

---

(١) انظر : مقدمة فى الأدب الإسلامى المقارن د. الطاهر أحمد مكى صـ٢٢ ، ٢٣ ، وصـ١٧٥ .

انطباعاته عن زياراته فى كتاب تناول فيه وصف مصر وفلسطين وحكم محمد على ٠

- وقد اجتذب كتاب "مورافيوف" اهتمام الأدباء الروس وبخاصة "بوشكين وليرمونتوف" ، و"تشرنيشفسكى" فقد قرأ الأدباء الروس كتاب مورافيوف حسب وصف بوشكين فى تأثر وغطية وعفوية"٠

- وكذلك "مذكرات الأديب" فيودر إمين" التى وصف فيها الأماكن المقدسة فى القدس ٠

- وكتاب رحلة إلى الأراضى المقدسة للرحالة أ. نوروف (١٧٩٥ — ١٨٦٩م) حيث زار مصر وفلسطين .. وكثيرا من بلاد الشرق٠

- ووصف الأديب والرحالة "نيكولاى بيرج" لمصر وفلسطين فى مذكراته عقب رحلة قام بها إلى هذين البلدين فى الفترة من "١٨٦٠ — ١٨٦٢ " ٠

- وقد ساهم هؤلاء الرحالة الأدباء فى إعادة التعريف بالشرق العربى .. حيث لاقت كتاباتهم المستقاة من التجربة الحية، والمعايشة على الطبيعة نجاحا كثيرا لدى القارئ الروسى .. الذى كان يقدم على قراءة هذه الكتابات يوحى الشعور بمصداقية ما يرويه شاهد العيان٠

- وهؤلاء الأدباء الرحالة .. شاركهم .. وشد من أزرهم فى تأصيل الثقافة العربية والإسلامية فى "البلاد الروسية" الأكاديميون المتخصصون فى الدراسات الشرقية .. والعربية والإسلامية .. وهم "المستشرقون" ٠



• وفى مقدمتهم "سينكوفسكى" (١٨٠٠ ـ ١٨٥٨) وكان النجم الأول الساطع من المستشرقين و"بولد يريف" الذى تتلمذ على يدى المستشرق الفرنسى الشهير "سلفستر دى ساسى، وكان يقوم بتدريس العربية، وأشرف على تأليف كتابيه فى اللغة العربية وفى المختارات "و"كراتشكو فسكى" وهو يعد مؤسسا لمدرسة الاستشراق ، وصاحب دراسات متميزة فى اللغة والأدب والتاريخ العربى والمخطوطات العربية، وقد تميز "كراتشكوفسكى" بأنه كان أول وأفضل من عرف بالأدب العربى الحديث[١].

• ومن أهم عوامل التأثير المباشر .. للثقافة الإسلامية والعربية فى الأدباء الروس .. الترجمة ــ وهى إحدى وسائط "الأدب المقارن" وفى مقدمة اهتمامات المترجمين ــ جاءت "ترجمة معانى القرآن الكريم"، وكذلك الدراسات والأبحاث التى تناولت بالتحليل تاريخ الإسلام، ومعالم الحضارة العربية والإسلامية . وشروح القرآن الكريم.

• " وتعد فترة نهاية القرن التاسع عشر فى روسيا من أكثر الفترات ثراء بالأبحاث المخصصة للإسلام والقرآن .. فقد اكتسبت المطبوعات الإسلامية خلال الفترة المذكورة أبعادا كبيرة، ففى ثمانى مدن من روسيا كانت هناك مطابع تستعمل الحروف العربية"[٢].

---

(١) انظر ذلك بالتفصيل فى كتاب "مؤثرات عربية وإسلامية فى الأدب الروسى" د/ مكارم الغمرى .
(٢) السابق ص ٤٨ .

• وهذا الجهد فى محاولة ربط الجذور القديمة .. بما جد فى حقول الثقافات والمتغيرات الجديدة تمخض عن آثار إيجابية .. رصدتها بكل دقة وموضوعية د/ مكارم الغمرى فى كتابها الممتع المفيد .. وقد صدرت الكتاب بمقتطفات من أقوال كبار الأدباء الروس : حيث يقول "بوشكين" :

" كثير من القيم الأخلاقية موجزة فى القرآن" فى قوة وشاعرية ٠

• وكلمة شاعرية غير دقيقة .. ويمكن أن يكون المراد .. بلاغة القرآن، وبيانه الذى أعجز الإنس والجن، أما "كلمة "شاعرية" بمدلولها المعجمى والفنى فلا يوصف بها "القرآن الكريم "مهما كانت الأسباب والدواعى لذلك ٠

• وقد حاول الرافعى فى كتابه "إعجاز القرآن والبلاغة النبوية أن يفند هذه التهمة ولكن على طريقة "أسلوب الحكيم" ومن منطلق السخرية والاستهزاء بالجاحدين الجاهلين الذين يظنون"القرآن شعرا، قاله"محمدﷺ"

• فقال متحديا وساخرا : ولكن قوله يثير اللبس .. والظنون لدى العامة والذين لا يدركون مغزى أسلوبه . يقول الرافعى : "توهموا السحر ما توهموه، فلما أنزل الله كتابه قالوا: هذا هو السحر المبين ، وكانوا يأخذون فى ذلك بباطن الظن فأخذوا هذا بحق اليقين٠

" أفسحر هذا أم أنتم لا تبصرون ، ومن الشعر ما تسمعونه أم أنتم لا تسمعون ؟؟



- بل: إنه لسحر يغلب حتى يفرق بين المرء وعادتـــه، وينفـذ حتـــى ينصرف بين القلب وإرادته ، ويجرى فى الخواطر كما تصعد فى الشجر قطرات الماء .

- ويتصل بالروح فإنما يمد لها بسبب إلى السماء .

- وإنه لسحر، إذ هو ألحاظ لم تعهد بكلم أحداقها ، وثمرات لم تنبت فى قلم أوراقها ، ونور عليه رونق الماء فكأنما اشتعلت به الغيـــوم، ومـــاء يتلألأ كالنور فكأنما عصر من النجوم .

- وبلى إنه لشعر، ولكن زنة مبانيه فى معانيه !!!، وزنة معانيه فـــى مبانيه، فكل معنى ولا جُرم من بحر، وكل لفظ كلؤلؤة فى النحر.

- وإنه لشعر: إذ هو آيات لا يجانس كلامها البديع غير كمالها، وحقيقة فى الوجود لم يكن يعرف غير خيالها ومرآة فى يد الله تقابل كـــل روح بمثالها(١).

- ويقول "ليرمونتوف" منوها بسماء الشرق الصافية وبتأملاته فى خلق السموات والأرض .

- فربما ، سماء الشرق .. قد قربتنى بلا إرادة منى
من تعاليم نبيهم " أى محمد ﷺ .

- ويقول "تولستوى" من رسالة تاريخية وجهها إلى الإمام/محمد عبده.

- " يوجد دين واحد: الإيمان الصادق .

---

(١) تاريخ أدب العرب جـ٢ الرافعى [إعجاز القرآن والبلاغة النبوية صـــ٣٠، ٣١ .

- وأعتقد أننى لا أخطئ حين أعتقد أن الدين الذى أعتنقه هـــو نفســه الذى تعتنقونه " !!!

- ويقول "بونين" منوها بقيمة القرآن الكريم وأثره فى نفسه

"افتح إذن ذلك الخالد فوق الصحراء ،
فوق الأرض فى المساء المعتم الزرقة
كتاب النجوم السمـــاوية : قرآننا "

- وقد " ظهرت أول ترجمة روسية كاملة لمعانى القرآن الكريم عـــام ١٧١٦ م فى عهد القيصر بطرس الأكبر "بيتر العظيم"، وقد انجز هـــذه الترجمة المترجم "بوسينكوف نقلا عن الترجمة الفرنسية التى قـــام بـــها المستشرق الفرنسى "دى يورى" عام ١٦٤٧م .

- ولكن "كراتشكوفسكى" يؤكد أن هذه الترجمة بها "أخطاء كثيرة جدا".

- ودليل ذلك أنه أثار شكوكا حول درجة الصدق والدقـــة فـــى هـــذه الترجمة .

- وصحة هذه الشكوك تظهر فى عنوان الترجمة حيث وردت هاتـــان العبارتان "القرآن عن محمد" أو "القانون التركى" .

- وواضح فى هذه التسمية : خطأ المنهج، ومخالفته وعدم فهمه لحقيقة القرآن الكريم فهو ليس قانونا تركيا لأنه تنزيل من لدن حكيم حميد ، وهو ليس عن محمد ــ ولكنه تنزيل من رب العالمين ــ ، أنزل علـــى قلـــب محمد بلسان عربى مبين .



- ومما يدل على اهتمام حكام روسيا فى ذلك الوقت بالقرآن الكريم ، وبالثقافة العربية والإسلامية أن "القيصرة" بكاترينا" شجعت على إصدار نص القرآن الكريم باللغة العربية، وتم إعداد "حروف طباعة عربية أعدت خصيصا لهذا الغرض وكانت هذه "الحاكمة" تود نشر القرآن الكريم بين السكان المسلمين فى روسيا وتمت طباعة المصحف بالحروف العربية بحيث تحاكى خط أحد أشهر الخطاطين المسلمين فى ذلك الوقت

- وقد أعيد إصدار هذه الطبعة من المصحف فى الأعوام (١٧٨٩ ــ ١٧٩٠ ، ١٧٩١ ، ١٧٩٨) .

- وقد قام " فيريفكين" المترجم البارز والأديب الكبير ــ بترجمة شاملة صحيحة ــ لمعانى القرآن الكريم . وقد لقيت التقدير من "كراتشكوفسكى" وكان ظهورها.. مع ترجمة أخرى "حدثا تاريخيا بالغ الأهمية فى الثقافة الروسية" .

- وهذه الترجمة هى التى قرأها "بوشكين" واعتمد عليها فى مؤلفه "قبسات من القرآن ".

- وحين نتأمل جوانب تأثير الثقافة الإسلامية والعربية فى الأدب الروسى نجد أن كبار الأدباء الروس تأثروا بمعانى .. القرآن الكريم، وبسيرة النبى محمد ﷺ ، وكذلك أعجبوا بسيرة الشخصيات الإسلامية ، وفى مقدمة هذه الشخصيات "هارون الرشيد".

- وهو : الخليفة "الخامس" من خلفاء العصر العباسى الأول ، وقد ظل فى الخلافة "ثلاثا وعشرين سنة" ، واتسعت فى عهده الدولة الإسلامية،

وبلغت أوج قوتها وازدهارها فى جميع مناحى الحياة السياسية والعقليــــة والعسكرية.. والعلمية.. والأدبية واللغوية والدينية٠

• وحين نرصد جوانب تأثر الأدب الروسى بالثقافة العربية والإسلامية نعثر على .. المعالم الآتية :

أولا : شخصية "النبى محمد ﷺ " وسيرته الحافلة بالكفاح والبطولات ٠

• إن "السيرة النبوية" صارت نموذجا للقدوة الحسنة الصــــابرة علـــى الرسالة والمكافحة فى سبيلها " وهذه القدوة وضعها المثقفـــون الـــروس أمامهم ٠

• ويصور "بوشكين" فى قصيدة مطولة " مشاهد من ســــيرة رســـولنا الكريم" محمد عليه الصلاة والسلام. وتبدأ هذه المشاهد بتصوير لحظـــــة نزول الوحى عليه ٠

• والشاعر لا يلتزم بما ورد فى نصوص السيرة . ولكنه يطلق لنفســه عنان الخيال ويصور مشاهد المناجاة بين "جبريل عليه الســــلام، وبيـــن المصطفى ﷺ ٠

• ويستوحى بعض معارفه مما ورد فى كتب "السير"، وبعضها يفصـــل القول فى كيفية وقوع الأحداث والمواقف " النبوية " وهذه الأقوال تجنـــح كثيرا إلى الخيال الذى لا يلتزم بالحقيقة.. ، وأحيانا يشوهها ويغير عليها٠

• وفى هذا السياق نحن لا نعنى إلا بلب الفكرة .. ومصداقية التوجه .. وهى .. أن ثقافتنا الإسلامية .. بكل موروثها الروحى ــ وقيمها الإنسانية

الراشدة أثرت فى أدباء روسيا ــ كما أثرت فى أدباء ألمانيا ــ وأدباء أسبانيا .

• والحقيقة أن هذه ظاهرة تدعو للتساؤل والدهشة .. وهى كما تقول د/ مكارم الغمرى أن يخرج شعر بالروسية فى بلاد لا تدين بالإسلام، وبعد مرور ثلاثة عشر قرنا من ظهور الإسلام ويكون القرآن والرسول هما ملهما هذا الشعر وموضوعه، فهذا "حقيقة" مدعاة الدهشة ".

• وربما يكون فى التنويه بجذور وأصالة الثقافة الإسلامية قديما فى بلاد ما وراء النهر ما يخفف من وقع هذه الدهشة .. ولكن يضاعف الإعجاب والتنويه بهؤلاء الأدباء والشعراء الذين لم يحجب التعصب بصيرتهم، ولم يغلق أبصارهم فصوروا إعجابهم .. وانفعالاتهم فى أعمالهم الشعرية والنثرية تصويرا جيدا .

• ولنتأمل تصوير "بوشكين" للحظة تلقى الوحى .. ونزول جبريل على الرسول ﷺ فى غار حراء "يقول بوشكين " :

يصيبنا عطش الروح
وفى الصحراء الموحشة كنا نتمدد
فظهر لنا فى مفترق الطريق
"سارافيم" ذو الأجنحة الستة !!!
وبأصابع حقيقة مثلما فى حلم
لمس قرة عينى
فانفرجت مقلتاى
كأنهما عينا نسر مذعور !!

• ونحن لا نقر بعض الصور التى جاءت فى هذا المشهد ـ وغيره من المشاهد ، ولكن نرصد المؤثرات العربية والإسلامية فى تجارب هؤلاء الأدباء الذين جاءت أجيال من بعدهم .. فحجبت ضوء الحقيقة عن الناس ؛ وتنكر أغلبهم لدور العرب والمسلمين فى إثراء الحضارة الإنسانية؛ ويظل شعر "بوشكين" و"ميخائل ليرمونتوف" و"إيفان بونين"، وكذلك أفكار تولستوى .. ونتاجه المتفتح على آفاق الثقافة العربية والإسلامية ، هذه الشواهد تظل حجة دامغة تبطل حجج كل من يرمى التراث العربى، والفكر الإسلامى بالجمود والتخلف .

• ويصور "بوشكين" مشهد شق صدر الرسول "محمد ﷺ " مستوحيا معانى وأجواء سورة "الانشراح" فيقول ـ وكأنه يروى ما حدث عن الرسول !!!

وشق صدرى بسيفه
واقتلع قلبى المرتجف
وأقحم فى صدرى المشقوق
جذوة متأججة النيران !!!

• والسطر الأخير غير مناسب للمشهد .. وغير حقيقى .. والمناسب للسياق وللموقف ـ أن النور هو الذى أودع فى صدر الرسول ﷺ وليست النيران ".

• ثم يختم "بوشكين هذه الصورة مستوحيا معانى" سورة المدثر" يقول مصورا هذه اللحظة :

ونادانى صوت الله

انهض يا رسول وأبصر

لب إرادتى

وجب البحار والأراضى

وألهب بدعوتك قلوب الناس

- والشاعر "ليرمونتوف" يستوحى مشاهد من سيرة الرسول ﷺ ويكتب مثل "بوشكين قصيدة عنوانها "الرسول"، وقد كتبها فى : فترة أحس فيها بنفسه شخصا مضطهدا تتعقبه السلطة وتطارده ٠

- ويبدو إعجاب "ليرمونتوف"، كما تقول د/ مكارم الغمرى بجانب سيرة الرسول الذى يتناول مرحلة الهجرة من مكة إلى المدينة ، بعد أن قوبلت الدعوة بالنكران والحجود والتنكيل من جانب الكفار".

- فالقصيدة ليست سيرة مجردة .. ولكنها توظيف واستحياء لمواقف يستدعيها الشاعر لتحدث التوافق النفسى لديه، ويلاحظ أنه يتكلم بصيغة المتكلم ــ متحدثا عن تجربته الشخصية .. أما فى قصيدة "بوشكين" فإنه أجرى كلامه على لسان المصطفى ﷺ يقول : ليرمونتوف من قصيدة "الرسول :

منذ أن منحنى الإله الأزلى

رؤيا الرسول

أقرأ فى أعين الناس

صفحات الحنق والرذيلة

أخذت أنادى بالحب

وحق التعاليم الطاهرة



فكان أن ألقى الأقربون منى

بالأحجار علي فى غيظ دثرت رأسى

- ويكتب الشاعر "إيفان بونين" قصيدة "محمد مطاردا"، وهى تصـــور مدى المعاناة التى تحملها الرسول ﷺ فى سبيل الدعوة ٠

- و"بونين" يستلهم الإسلام فى عديـــد مـــن قصـــائده، وأيضـــا فـــى استطلاعاته الأدبية ، ولم يستمد "بونين" معلوماته الإسلامية من زيارتـــه إلى البلاد العربية فحسب بل درس الإسلام وقرأ القرآن"[1]٠

- وهذه القصيدة ترصد مشاهد "هجرة الرسول ﷺ " من مكة المكرمـــة إلى المدينة المنورة .. ويصور قلق الرسول على الدعوة . وفى الوقـــت ذاته توحى صور القصيدة ومفرداتها .. بجو السكينة والثقة من نصـــو الله .. انطلاقا من قوله سبحانه :

- ﴿ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها﴾ [(سورة التوبة)/ آية ٤٠)٠

- يقول "بونين" مصورا .. بعض مشاهد المعاناة التى ألمت بالرســـول فى سبيل الدعوة :

- حلقت الأرواح فوق الصحراء
- فى الغسق فوق الوادى الحجرى
- ودوت كلماته الجزعة

---

(١) انظر "مؤثرات عربية وإسلامية فى الأدب الروسى ص ٢٥٦ ــ ٢٥٧

- مثل ينبوع نسيه الله
- وعلى الرمل حاف بصدر مكشوف
- كان يجلس .. ويتكلم فى حزن
- "وليت وجه الصحراء والقفر
- عزلت عن الجميع .. من أحبهم!" .

- ولا يكتفى "بونين" باسترفاد مشاهد من السيرة النبوية ، بل يتأثر بما ورد فى القرآن الكريم عن تأملات "إبراهيم عليه السلام" فى ملكوت السماوات والأرض .. فيكتب فى عام ١٩٠٣ قصيدة "إبراهيم" وهى قصيدة مقتبسة من "النص القرآنى" مع التزام الشاعر بروح النص ولم يعمل خياله ...، ولم يتكلف مواقف من تصوراته ــ مثلما فعل فى قصائد أخرى .. يقول :

كان إبراهيم فى الصحراء فى ليلة مظلمة

فرأى فى السماء كوكبا

ها هو ربى! صاح هو ــ لكن عند منتصف الليل

أفل الكوكب ــ وخمد نوره

كان إبراهيم فى الصحراء قبيل الفجر

فرأى القمر بازغا

ها هو ربى!" صاح هو ــ لكن القمر

خمد وأفل مثل الكوكب

كان إبراهيم فى الصحراء فى الصباح الباكى

ومد يديه فى سعادة نحو الشمس



هـا هـو ربـي! " صـاح هـو .. لكـن الشـمس

قضت اليوم وغربـت فـي الليـل

وقـاد الله إبراهيـم إلـى الطريـق الحـق "

......

● ويتأمل "بونين" كثيرا من شعائر الإسلام .. مثل الحج .. والصـلاة وما يحيط بأجواء هذه الشعائر من قيم روحية.. وأخلاقية، وهذا التـأمل مشحون بانفعال .. وتقدير لقيمة هذه الشعائر .. ودورهـا فـي تـهذيب السلوك الإنساني، وذلك التأثر يؤكد عمق تغلغـل الثقافـة الإسـلامية ، واستمرار الإعجاز القرآني، بقوة بيانه وشمولية معانيه، وصدق آياته:

● ولنتأمل هذه اللوحة التي يقدمها "بوشكين" للمسلمين الـذي يـؤدون فريضة الصلاة وهي "صلاة المغرب" : يقول: مصورا جموع المصليـن ليلة عيد الأضحى / وقت الغروب :

تنغمـس الشـمس تفـتر بجمرهـا المعقـود

خلف الصحراء الرماديـة الزرقـة . تغفـو وتنحنـي

رؤوس الفديـة ...... اقـتربت السـاعة :

نحـن نشـيع الشـمس . نخلـع الأحذيـة

ونقـوم بـالصلاة تحـت السـماء الرحيمـة

كثـيرة النجـوم .. ، المعتمـة الزرقـة

رعـاة الصحـراء ، مـاذا نـدري !

نحـن كأسـاطير الطفولـة ،

نتذكـر مـآذن أوطاننـا الأم

افتح إذن، ذلـــك الخــــالد فــــوق الصحــــراء
فـــوق الأرض فـــى المســـــاء المعتـــم الزرقـــة
كتـــاب النجـــوم الســـماوية: قرآننـــــا !

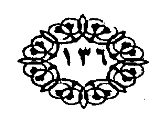
**

وبعد ثنى الركبتين..سنغلق عيوننا فى خشـــوع عـــذب
ونغســـل وجوهنــــا بالرمـــــال البـــــاردة
ونرفـــــع الصـــــوت .. ويدعـــــــاء ..
نفيـــــض فــــى الــــتراب أمـــــامك
مثـــل موجـــة علـــى شـــــاطئ البحـــر "

ثانيا : **قبسات من القرآن** [**ماس يتألف فى إكليل أشعار بوشكين**]:

- " لقد أولع" الرومانتيكيون" الروس" وعلى رأسهم "الشـــاعر الكبـــير بوشكين باستلهام "القيم القرآنية بحثا عـــن المثـــال الأخلاقـــى الخـــاص "والقومى" وللتعبير عن الأفكار البطولية " و"النضال المنكر للذات" فـــى فترة النهضة القومية ٠

- واختلف الباحثون فى تحديد الأسباب التى أثارت اهتمـــام بوشـــكين بالقرآن وتوضح د/ مكارم الغمرى .. آراء هؤلاء النقـــاد مـــن خـــلال المصادر الروسية ذاتها.. ومن خلال آراء [كاشتاليفا ــ جوكوفســكى ــ سلوميتسكى ــ ستراخوف ــ براجينسكى ــ سولوفى]٠



- حيث"أكدت الباحثة "كاشتاليفا أن اهتمام بوشكين بالقرآن كان مـــرده أسبابا شخصية ، فجده إبراهيم هانيبال كان من المسلمين" ، ولهذا الســبب كان من الضرورى أن يستشعر بوشكين تجاه القرآن اهتمامـــا شــخصيا خاصا •

- ويذهب الناقد "ستراخوف" الذى يؤكد أن أسباب توجه بوشكين إلـــى القرآن تكمن فى جوهره، فالقرآن ــ على ما يبدو ــ قادر على التـــأثير بقوة على الناس " •

- والقرآن قادر حقيقة على التأثير ــ وليس كما قال الناقد "علـــى مــا يبدو" فهو يهدى للتى هى أقوم ؟

- ثم يؤكد هذا الناقد شدة تأثير القرآن .. ويصف هـــذا التـــأثير بأنـــه "غزوات كبيرة فى الهند والصين أى انتصار .. وانتشار لدين الإســـلام" فيقول :

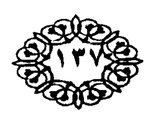
- " وفى الوقت الحاضر تصنع روح هذا الكتاب غزوات كبـــيرة فـــى الهند والصين" وهو ينتصر هناك على الأديان القديمة الإنسانية•

- وأشار الناقد "براجينسكى" إلى أن تأمل بوشكين فى القـــرآن كـــان "فلسفيا" فقد لجأ إليه"من أجل الوعى بدروس التاريخ ولخدمة الواقع"•

- والباحثة "لوميكوفا" تؤكد أن "قبسات من القرآن" مرتبـــط بتـــأملات بوشكين فى حياته الشخصية وفى أحداث عصره التاريخى"[١]•

---

(١) انظر: مؤثرات عربية وإسلامية فـــى الأدب الروســـى صـــ١٤٤ ــ ١٤٦ د/مكارم الغمرى، وانظر هذه المراجع : الروســـية [قبســـات مـــن القـــرآن



- والتأثر بالقرآن الكريم ــ فى الشعر تتعدد محاوره وظواهره .

- فقد يتأثر الشاعر بالبيان القرآنى صياغه وفكرا وشـــعرا ، فلبنـــات شعره تستمد جرسها العذب من المعجم القرآنى ألفاظا وتراكيب، ورؤيتــه الشعرية ، تنطلق من الآفاق القرآنية، وتتبـــع مـــن مقومـــات التصـــور الإسلامى للحياة عقيدة وعبادة وعملا .

- وقد يتأثر الشاعر بالمعجم القرآنى أى بألفاظه وتراكيبه، ولا تشـــحن روحه بطاقة الإيمان الدافعة ، وحينئذ يصبح التأثر شكليا أدائيا يظل بمنأى عن نسيج الرؤية الإسلامية الطامحة إلى فعالية الوجود الحضارى المسلم

- وأحيانا يكون التأثر سلبيا مضادا، وذلك حين يسئ الشاعر اســـتخدام وتوظيف الألفاظ والتراكيب والمعانى القرآنية ، كأن يضعها فـــى ســـياق غير مناسب، أو أن يسوقها فى معرض السخرية والتهكم، أو أن يحـــاول جهلا وغرورا وإدعاء ــ محاكاة أسلوب القرآن الكريم ظنا منه أنه قـــادر على إبداع بيان وأسلوب فى مثل البيان القرآنى العظيـــم؛ ومثـــل هـــذه المحاولات التى تشكل التأثر السلبى المضاد تبوء بالفشـــل الذريـــع، ولا تحظى إلا بالرفض الكامل شكلا ومضمونا.

- والأبعاد السابقة للتأثر بالبيان القرآنى ــ قد فصلت القول فيها فـــى كتابى "الأدب الإسلامى بين النظرية والتطبيق" .. وقد جاءت النماذج فـــى المجال التطبيقى لشعراء عرب مسلمين ؛ وهنا أضيف بعدا رابعا للتـــأثر

ومصادرها الأولى]، و"بوشكين والرومانتيكين الروس" و"بوشكين فى بلـــدان الشرق" و"ملاحظات حول بوشكين وشـــعراء آخريـــن" و"جوتـــه فـــى الأدب الروسى".

بالقرآن الكريم .. وهو "التأثر بالمضمون القرآنى" وبالقيم الإسلامية التى تضوأت فى ظلال النص القرآنى" لأن التأثر هنا بالأفكار .. وليس بالبيان، والتأثر بالقيم وليس بالصياغة والتأثر بالمعانى وليس بالمبانى •

• وذلك لأن هؤلاء الأدباء .. لم يقرأوا القرآن .. فى لغته التى تنزل بها على قلب المصطفى ﷺ " بلسان عربى مبين"، وإنما اطلعوا على معانيه المترجمة لهم فى اللغات التى يعرفونها •

• وبوشكين فى دراسته للقرآن ــ كما تقول د/ مكارم الغمرى، اعتمد الترجمة الفرنسية إلى جانب الترجمة الروسية، ولذلك فإن دراسة قبسات من القرآن " التى كتبها "بوشكين" وهى "تسع قصائد" كلها مستوحاة من القرآن الكريم..تستهدف"البحث فى "القيم الأخلاقية" المستلهمة عن القرآن فى إطار علاقتها بالرؤية الإسلامية لها•

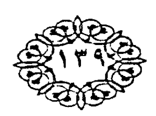
• وتعكس "قبسات من القرآن" الدور الكبير الذى أداه "القرآن الكريم" فى التطور الروحى لأكبر شعراء روسيا، كما توضح سعى بوشكين نحو تمثل الفكر الدينى الذى امتزج برؤية الشاعر لواقعه، فأثمر فى "قبسات من القرآن" التركيبة الغربية الشرقية فى نتاج "بوشكين" كذلك انعكس فى هذه "القبسات" إعجاب بوشكين بالسيرة النبوية واستلهامه لها للتعبير بشكل مجازى عن أفكار الحرية والنضال المنكر للذات[١]•

قبسات من القرآن "نماذج وإضاءات" :

• وهذه القبسات هى "تسع قصائد .. استلهمها "بوشكين" من معانى القرآن الكريم.. وأحيانا كان يأتى بالألفاظ والصيغ والتراكيب القرآنية..

---

(١) السابق ص ١٧٠ •



وهو يحافظ على قدر الإمكان .. وفى سياق المعانى المترجمة على روح المعنى القرآنى .. وأحيانا .. يضيف بعض الصور والأساليب .. بغية إضاءة المعنى وتقريب المفاهيم .. لأنه كما قلت يقتبس من المعانى القرآنية .. التى انفعل بها فى الترجمات التى عرف من خلالها المعانى والقيم الإسلامية فى القرآن .

- وحين اختار الشاعر لفظ "قبسات" عنوانا لقصائده.. فقد حالفه التوفيق وذلك .. لأن القبسة تدخل فى دائرة دلالة الاقتباس".

- وقد حدد علماء البلاغة .. والنقاد العرب "الاقتباس، وأوضحوا أنه خاص بالأخذ من القرآن والحديث النبوى، حيث يقول الخطيب القزوينى :

- " أما الاقتباس : فهو أن يضمن الكلام شيئا من القرآن أو الحديث لا على أنه منه، أى لا يحدث خلط بين "النصين" ولا يدعى الشاعر أو الناثر أن النص المقتبس من كلامه، ثم يوضح الخطيب القزوينى عدة ظواهر للاقتباسات: فيقول :

- والاقتباس منه ما لا ينقل فيه اللفظ المقتبس عن معناه الأصلى إلى معنى آخر ، ومنه ما هو بخلاف ذلك كقول ابن الرومى:

لئن أخطأت فى مدحك ∴ ما أخطأت فى منعى

لقد أنزلت حاجاتى ∴ بواد غير ذى زرع

- ويوضح الخطيب القزوينى بعدا ثالثا فى قضية "الاقتباس" وهو أنه يجوز للشاعر التغيير اليسير فى النص لأجل الوزن أو غيره، واستشهد على ذلك بقول أبى تمام فى رثاء ابنه :

قد كان ما خفت أن يكونا ∴ إنا إلى الله راجعونا

- وللاقتباس بعد رابع وهو كما يقول "القزوينى " [أن التعبير إذا كثر فى النص المقتبس فذلك جائز، ولكنه يدخل فى إطار مصطلح بلاغى آخر هو "العقد" ٠

- ويضيف الشيخ / عبدالمتعال الصعيدى شارح الكتاب فى "حاشيته قائلا: بأن يغير فيه "أى فى النص المنقول" تغييرا كثيرا إذا كان قرآنا أو حديثا أو يشار إلى أنه منهما ليخالف بهذا طريق الاقتباس فيهما ، أما نظم غيرهما فهو عقد مطلقا"(١).

- والقصائد التسع التى كتبها "بوشكين" وجعلها تحت عنوان "قبسات من القرآن" تدخل فى إطار "الاقتباس المعنوى" مع التلاقى مع مصطلح "التناص" فى النقد الحديث"، ومصطلح "التناص" أقرب إلى علاقة قصائد بوشكين بالنص القرآنى لأن هذه القصائد تتلاقى مع كثير من المفاهيم القرآنية عبر نسيج من المعانى .. والمفردات .. والتعابير تشكل شبكة من العلاقات التأثرية التى كانت من ثمارها هذه القبسات التى اقتبسها الشاعر من القرآن الكريم ٠

- ولنتأمل بعض النصوص التى تضوأت بها هذه القبسات التى توضح كثيرا من إدراك "بوشكين لكثير من القضايا والمبادئ الإسلامية التى اقتنع بها وصورها فى شعره متأثرا بالقرآن الكريم ، ومنها :

- مشاهد من السيرة النبوية ٠

---

(١) انظر "بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح" جـ٤ ص١٣٩ / عبدالمتعال الصعيدى وانظر بحث "ظواهر التأثر بالبيان القرآنى فى الشعر العربى المعاصر" قيد النشر بمجلة الأدب الإسلامى . د/ صابر عبدالدايم ٠
وانظر : الأدب الإسلامى بين النظرية والتطبيق للمؤلف ٠

- آداب الحجاب ونبذ التبرج والسفور ٠
- التواضع واحترام كرامة الإنسان ٠
- التأمل فى خلق السموات والأرض،وفى مسيرة الحياة وقضايا الواقع
- الكرم والإيثار .. والإشادة بقيمة العمل والعدالة والكفاح والنضال ٠
- التأثر بالقصص القرآنى واستلهام المشاهد والأحداث التى تضئ واقع الحياة ٠

- يقول بوشكين فى قصيدته " الأولى " مستلهما القسم القرآنى فى سورة الفجر وسورة الضحى :

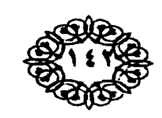
- اقسم بالشفع وبالوتر
- وأقسم بالسيف وبمعركة الحق
- وأقسم بالنجم الصباح
- وأقسم بصلاة العشاء
- لا لم أودعك

- ثم يقول فى ختام القصيدة مخاطبا الرسول فى صورة حوار بينه وبين ربه مستلهما آية (٩) من سورة الضحى :

- أحب اليتامى .. وقرآنى
- وبشر المخلوقات المهتزة ٠

- ود/ مكارم الغمرى .. نقلت هذه المقتطفات من القبسات .. من المؤلفات الكاملة لبوشكين وهى فى عشرة أجزاء، وهذه القبسات كما يقول شيخ النقاد الروسين "بيلينسكى"٠

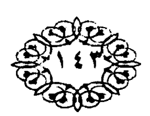
- "ماس يتألق فى إكليل أشعار بوشكين"٠



- ويستلهم "بوشكين" معانى الآيات القرآنية التى تدعو إلى "الحجـــاب" وتنهى عن "السفور والتبرج" فى سورة الأحزاب آية ٣٢ ـــ ٣٣ فى سياق بيان حياة النبى محمد ﷺ مع زوجاته أمهات المؤمنين.

- يقول بوشكين .. ملتزما بما ورد فى الآيات من معان وقيم قرآنيـــة سامية :

" إيه ، يا زوجات الرسول الطاهرات
إنكن تختلفن عن كل الزوجات :
فحتى طيف الرذيلة مفزع ولكن
فى الظل العذب للسكينة عشن فى عفاف
فقد علق بكن حجاب الشابة العذراء
حافظن على قلوب وفية
من أجل هناء الشرعيين والخجلى
ونظرة الكفار الماكرة
لا تجعلنها تبصر وجوهكن
أما أنتم يا ضيوف محمد
وأنتم تتقاطرون على أمسياته
احذروا .. ، فبهرجة الدنيا تكدر رسولنا
فهو لا يحب الثرثارين
وكلمات غير المتواضعين والفارغين !
شرفوا مأدبته فى خشوع
وانحنوا فى أدب



- وهذه المعانى والسلوكيات تتفق مع نهج بوشكين حيث كان ينفر من بهرجة النساء فى طبقته الارستقراطية وخروجهن عن الاحتشام ، وافتقاد البعض منهن لمعنى الوفاء والإخلاص للزوج وللأسرة ٠

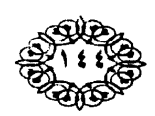
- ومما يؤكد هذا النهج فى حياة بوشكين أنه لقى مصرعه فى سبيل المحافظة على كرامته وشرفه الذى دافع عنه فى مبارزة مع غريمه .. والذى ربطت الشائعات بينه وبين زوجة الشاعر "بوشكين"٠

- وكأن هذه الاقتباسات "كانت تمثل خلاصا للشاعر من المعاناة التى كان يعيشها .. والتى عصفت به .. ودفع حياته ثمنا للتمسك بمبادئه ٠

- ويرفض "بوشكين" الغرور الإنسانى، والحمق البشرى، ويمقت نزعات التعالى والغطرسة والخيلاء، ويستوحى هذه المعانى والمواقف من سورة عبس فى سياق تحليل موقف الرسول ﷺ من الصحابى "الأعمى" ابن أم مكتوم"٠

- ثم تنعى السورة فى الجزء الباقى على هؤلاء الجاحدين عنادهم وكفرهم .. وتدعوه إلى التأمل والتدين .. ويقتبس "بوشكين هذه المعانى المضيئة ويصوغها فى هذه الصور المشحونة بالانفعال النفسى.. الذى يبوح برفضه لمنطق طبقته الارستقراطية ويدعو هذه الطبقة إلى ضرورة التعامل الإنسانى مع البسطاء . ويأخذ من القيم القرآنية نموذجا أعلى.. وقدوة مثلى :

- يقول بوشكين " مستلهما الآيات (١٦ ــ ٣١) من سورة عبس"
- علام يتغطرس الإنسان ؟



- على أنه جاء إلى الدنيا عاريا
- على أنه يستنشق دهرا قصيرا
- وأنه سيموت ضعيفا مثلما ولد ضعيفا ؟

* * *

- ألا يعلم أن الله سيميته، ويبعثه بمشيئته ؟
- وأن السماء ترعى أيامه
- فى السعادة وفى القدر "الأليم".. أى الشقاء والمصائب "
- ألا يعلم أن الله وهبه الثمار
- والخبز ، والتمر، والزيتون
- ثم بارك جهوده
- فوهبه البستان، والتل ، والحقل ؟
- ثم يصور مصير الجاحدين .. ويصور بعض مشاهد "البعث" يوم القيامة قائلا :
- لكن الملاك سيعود مرتين " ربما يقصد النفخ فى الصور".
- وسيدوى على الأرض رعدا سماويا .
- وسيفر الأخ من أخيه.
- ويبتعد الابن عن أمه
- ويمثل الجميع أمام الله .. صرعى من الرعب
- ويسقط الكفار .. يغطيهم اللهب والغبار
- والقصائد التى قدمها "بوشكين وغيره من الشعراء "الروس" مستلهمين فيها المعانى القرآنية ، والتى قدمت مقتطفات منها .. نقلا عن كتاب "مؤثرات عربية وإسلامية فى الأدب الروسى" هى فى ترجمتها



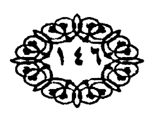
العربية ليست موزونة حسب أوزان الشعر العربى .. ولذلك لا ينظر إليها من خلال المنظور "الفنى" ولكن الذى يهمنا هو "الرؤية والفكرة" .. وعمق التأثيرات القرآنية .. فى شعراء ألمانيا وشعراء روسيا .. وذلك شاهد أكيد على أصالة الفكر الإسلامى وأصالة "القيم الإسلامية" ، وشاهد كذلك على تغلغل الثقافة فى مكونات التجارب الروحية والإبداعية، وعلى نبذ كل دواعى التعصب والدعوات الإقليمية الضيقة ٠

• وهذه "القبسات القرآنية" التى أخذت بألباب أعظم شعراء روسيا هى خير شاهد على عالمية "القيم القرآنية" التى تسن السلوك القديم للإنسان وتنهى عن الفحشاء والمنكر، وتدعو إلى الإيمان ونبذ الغرور والشك، وإلى العفة والطهارة، ومؤازرة المحتاج، وإلى الجهاد فى سبيل الحق والفداء بالنفس من أجل الرسالة"(١)٠

• ويمتد تأثير الثقافة العربية والإسلامية إلى كثير من الأدباء الروس ، وتأسرهم الشخصيات القوية فى تاريخ العرب والمسلمين، ومنها شخصية هارون الرشيد، وفى الوقت الذى نجد فيه معالم هذه الشخصية مشوهة فى تراثنا القصصى والشعبى نجد "بوشكين" يتخذ من "هارون الرشيد" رمزا إنسانيا كانت له بصمته المميزة فى مسيرة الحضارة العربية والإسلامية وهو نموذج للحاكم القلق على شؤون رعيته، الساهر على مصالحها ، وقد استرعى اهتمام بوشكين فى شخصية "هارون الرشيد" سمة المعايشة

---

(١) انظر " مؤثرات عربية وإسلامية فى الأدب الروسى د/ مكارم الغمرى للوقوف بالتفصيل على وجوه تأثيرات ثقافتنا ورؤانا فى مسيرة "الأدب الروسى" وهذا باب واسع يعيد إلينا الثقة ويدعو أدباءنا المحدثين إلى إعادة قراءة تراثهم، والتمسك بعقيدتهم " صابر ٠

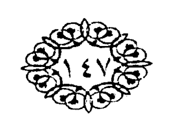


لمشاكل الشعب التى وجد فيها تجسيدا للعلاقة المثالية بين السلطة والشعب، ونموذجا مضيئا للسلوك القويم بين الحاكم والشعب.

- وقد تبوأت أحاديث الرسول ﷺ والمعانى القرآنية مكانة مرموقة بين الآراء التى يستشهد بها "تولستوى" الأديب الروسى الكبير للتأكيد على صحة دعاويه فى كتبه الفلسفية وقد كتب مؤلفا عنوانه "أحاديث مأثورة لمحمد " وقال فى مقدمة هذا الكتاب :

- " هذه تعاليم صاحب الشريعة الإسلامية، وهى عبارة عن حكم عالية ومواعظ سامية تقود الإنسان إلى سواء السبيل" وجوهر هذه الديانة يتلخص فى أن الله واحد، ولا يجوز عبادة أرباب كثيرة، وأن الله رحيم عادل، ومصير الإنسان النهائى يتوقف على الإنسان وحده، الخ .

- والثقافة العربية .. والثقافة الإسلامية .. ينطلقان من التصور الإسلامى. والفكر الذى نشر فى العالم بأسرة قيم الحق والخير والجمال.. والتى تموج بها الأعمال الأدبية الرائدة لكبار الأدباء فى الشرق والغرب .. وفى العالم العربى قديما وحديثا ".



الفصل السادس
أصداء المذاهب الأدبية الأوروبية
فى الأدب العربى الحديث

مدخل :

❖ إن المذاهب الأدبية ومعاييرها الفنية تقسـيم فنـى لا يخضـع للتحديد الزمانى أو المكانى ولا يختص بأمة دون الأخرى ، فقد توجـد المذاهب كلها فى وقت واحد ، بل وفى أمة واحدة ، ولكن قـد يطغـى صوت مذهب معين على ما عداه من المذاهب الفنية فى عصر معين ، وفى أمة معينة ، ويمكن أن يمثل نتاج أديب ما الوسائل والأدوات الفنية للمذاهب الأدبية المتعددة ، وقد يعكس تعدد المذاهب لدى الأديب الواحد مراحل تطور هذا الأديب .

فهو كلاسيكى فى بدء حياته مقلد للآخرين فـى نتـاجهم ، ومحتـذ للنماذج القديمة ، والأطر الفنية المتوارثة ؛ وهو رومانسى فى مواجهته لأحداث الحياة ، ومعترك الفن حين يتقدم خطوات قليلة فى مجال التعبير الفنى حيث ينأى عن التقليد والمحاكـاة ، ولا يظـل أسـير القوالـب والأشكال القديمة ، وهو واقعى حين يخبر الحياة ، وتصقله التجارب ، ويزداد تعرفا على تشعبات الوسائل الحياتية ، ويزداد خبـرة بـالنفس الإنسانية .. وتقلباتها ، ويواجه الصراع بين قواها المختلفة ، ورغباتها المتقاطعة ، وأحوالها المتنازعة ، وهو فى مـروره بهـذه المنحنيـات الفكرية ، والمصادمات الفنية قد يكون رمزيا حين يسمو بـالفكرة إلـى مستوى الشمول والتجربة الإنسانية المطلقة ، وقد يكون سرياليا حـين

تتوزعه مسالك الحياة ، وتتشربه دروب التعبير فيحس بعبثية الحياة ، وتشابك منافذها ، وتداخل خطوطها ، فإذا بوسيلته الفنية صورة من رؤيته للحياة ، أو انعكاسا لواقع الوجود الخارجي في نفسه .

والمذاهب التى نشأت فى أوروبا .. وكان لها صداها فى مدارس الأدب العربى الحديث واتجاهاته ومعالمه الفنية " فى الشعر والقصة والمسرح والرواية " هى :

- الكلاسيكية ، الرومانسية ــ الواقعية ــ الفنية ــ الرمزية ــ السريالية ــ البرناسية ــ الوجودية .البنيوية وغيرها مما يستجد من اتجاهات ومذاهب مثل الحداثة .. وما بعد الحداثة .

- وعلى الرغم من تعدد مذاهب الأدب فى أوروبا وتعدد عناصرها ، واتصال هذه العناصر بجوانب أخرى من الحياة غير الجانب الأدبى . فإن من الممكن النظر إلى هذه المذاهب على أنها فى جملتها مظهر لتطور الفكر والذوق فى أوروبا منذ عصر النهضة حتى العصر الحاضر .

ويمكن أن نقسم هذا التطور إلى مراحل ثلاثة رئيسة :

الأولى : من القرن الخامس عشر إلى النصف الثانى من القرن الثامن عشر تقريبا وهى فترة سيادة المذهب الكلاسيكى .

الثانية : من أواخر القرن الثامن عشر إلى منتصف القرن التاسع عشر وهى فترة سيادة المذهب الرومانتيكى [1] .

---

(١) انظر : مذاهب الأدب فى أوروبا ، د/ عبد الحكيم حسان .

أما الثالثة: فمن منتصف القرن التاسع عشر إلى الوقت الحاضـــر ، وهى مرحلة المذهب " الواقعى " وما تلاه من مذاهب وتيارات متداخلة ومتزامنة ومتصادمة .

وحين نتأمل مسيرة الأدب العربى فى القرن التاسع عشـــر والقـــرن العشرين .. نلاحظ أنه مر بالتحولات الأدبية التى مر بهـــا الأدب فـــى أوروبا .

ففى عصر "النهضة" فى أوروبا " عقب العصور الوسطى : ظهرت الدعوة إلى الكلاسيكية فى الغرب .. و كانت تعنى : " الدعوة إلى الأدب البالغ الجودة والذى كتب ليخلد " . كما يرى " سانت بيف " فى تحديـــده لمعنى " الكلاسيكية " ، وهى أيضا لها مفهوم أكثر وضوحا يقترب من المحاكاة وتقليد النماذج القديمة الرائعة ، مثل شعر " المعارضات " فى أدبنا العربى ؛ فالكلاسيكية فى هذا الإطار تعنى النماذج المعترف لهـــا بالروعة فى الأدبين الإغريقى واللاتينى "الكلاسيكية القديمة ، أو مـــا كتب على نمط النماذج الرائعة فى هذين الأدبين " وتسمى " الكلاسيكية الجديدة " .

وفى أدبنا العربى وجدنا " حركة إحياء وبعث الشعر العربى " تتمثل فى جهود البارودى وإسماعيل صبرى ، ثم يتأكد وجودها على يد أحمد شوقى وحافظ إبراهيم ... وهما من أكثر الشعراء مع البارودى اقترابـــا من آفاق الشعر العربى القديم وتقاليده الفنية ومضامينه وأغراضـــه .. وهذا الاتجاه يتضمن كل عناصر " التيار الكلاسيكى " فى الشعر ، وقد نشأ معاصرا للنهضة العربية الحديثة ، ومعاصرا لمحاولة العالم العربى

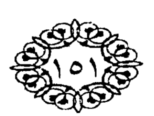
الانفصال والتخلص من سيطرة "الخلافة العثمانية " التى تمثل السلطة الدينية والسياسية".

ونشأ هذا الاتجاه متزامنا مع انفتاح العالم العربى على الفكر الأوروبى ، وعلى معالم تطور الأدب .. وما جد فيه من أشكال ومعايير فنية ، ومذاهب أدبية .

وظهور المذهب الكلاسيكى فى أوروبا .. يتشابه فى الظروف السياسية والإجتماعية مع ظهوره فى " البيئة العربية حيث لبثت أوروبا فى الشطر الأعظم من القرون الوسطى فى ظلام دامس من الجهل ، حيث طويت ثمرات الفكر القديم فى أديرة الرهبان ، وما إن وجدت سبيلها إلى النشر حتى أشرقت شمس النهضة فى طول البلاد وعرضها تحيى بدفئها الجميل عقولا كانت قد ركنت إلى جمود الموت زمانا طويلا ، ومن أهم بواعث النهضة وأسبابها " فى أوروبا " " أن سقوط القسطنطينية فى أيدى " الأتراك " قد تبعته هجرة العلماء اليونان إلى إيطاليا يحملون معهم علما بالأدب اليونانى كانت أوروبا الغربية قد أضاعته ، وجهلت من أمره كل شئ ، وتعلم الإيطاليون قبل ذلك بقرن صناعة الورق ، واخترعت المطبعة فى ألمانيا قبل سقوط "القسطنطينية بعشر سنوات ، ثم حدث إلى جانب ذلك كله أن اكتشف كولمبس القارة الأمريكية عام ١٤٩٢م ؛ فانقلبت فكرة الناس عن دنياهم التى يعيشونها رأسا على عقب ، ويستحيل أن يقع كل هذا ولا ينتج انقلابا فى مذاهب الاجتماع والسياسة والدين " (١) .

---

(١) انظر : قصة الأدب فى العالم جـ٢ د / زكى نجيب محمود ، د / أحمد أمين .



ومن المفارقات العجيبة أن يبدأ عصر النهضة فى أوروبا بانتصار الأتراك . حماة الخلافة الإسلامية على الأوروبيين واستيلائهم على معظم بلاد أوروبا الشرقية ، ثم بعد خمسة قرون تبدأ بواكير النهضة فى العالم العربى بعد أفول نجم الخلافة الإسلامية وضعف الأتراك .. وتقلص نفوذهم حتى أعلن حكام تركيا أنفسهم سقوط الخلافة .. وإعلان " الدولة العلمانية" .. وتغيير كل معالم الحضارة الإسلامية فى تركيا .

ولهذا التطور المفجع ظروف وملابسات وتفسيرات ليس مجالها فى هذا السياق ، ولكن النهضة الأدبية فى مصر والعالم العربى اقترنت بصدمات سياسية وحضارية حيث وجد العرب أنفسهم .. بل والمسلمون فى أغلب بقاع العالم تحت سيطرة واستبداد الدول الإستعمارية ، وأرادوا أن يتخلصوا من ظلم الأتراك .. فكانوا كالمستجير من الرمضاء بالنار.

- ووقعوا فى قبضة الاستعمار الغربى بكل جبروته وسطوته وعنفوانه وقهره ، .. وهذا الإحساس بالقهر فجر " المشاعر الرومانسية " فى تجارب الأدباء .. فعلا صوت الذات ،وعلت نبرة التشاؤم .. والكآبة ، وغطت الأفق الأدبى سحابة كثيفة من القلق والإحباط والتوتر .. والسأم .

- وهذا الإيقاع الرومانسى .. هو ذاته الذى انتشر صداه سابقا فى أوروبا ووصل إلينا بعد ذلك .. بعد أكثر من قرن من الزمان .

فالرومانسية فى أوروبا نشأت عقب قيام الثورة الفرنسية ، وعقب الحروب التى خاضها نابليون ثم انتهى به طموحه .. وعنفوانه وجبروته إلى الهزيمة النكراء ففجعت الجماهير وصدمت ، وصدم

الأدباء والشعراء.. لأن الناس راودتهم الأحلام العظيمة ، وكانوا يعيشون فى البطولات التى يحققها الجنود الفرنسيون ، ويتخيلون إمبراطورية نابليون المترامية الأطراف .. ، وصوت فولتير يحرك فى نفوسهم آمال المجد ، ورياح التغيير والقوة حيث يقول ممهدا للثورة :

" إن النور يزداد إشراقا وانتشارا ، وستضرم الشعلة عند أول فرصة وإذا ذاك يحدث شئ مريع .. " .

ولكن فجعتهم نهاية نابليون المحزنة حيث مات أسيرا فى جزيرة " سانت هيلانة " وتقلص المجد الكبير ، وتقوضت الأحلام العظيمة ، فكان لهذه الصدمة القوية الأثر النافذ فى الشعور بالإحباط ،والضيق ، والهروب من الواقع المؤلم ويصور الشاعر " الفريد دى موسيه " فى كتابه " اعترافات فتى العصر " هذا الشعور وذلك الانكسار الذى خيم على وجدان الشعب فى فرنسا .. وولد لديهم العواطف الرومانسية .

" ... وكان الأطفال يخرجون من مدارسهم فلا يرون سيوفا ولا دروعا ، ولا مشاة ولا فرسانا ، فيتساءلون : أين إذن آباؤنا ؟ ويكون الجواب ، إن الحرب قد انتهت وإن قيصر " أى نابليون " قد مات ، ثم يقول مصورا الخراب الذى حل بالنفوس :

" هكذا جلست على أطلال عالم مندثر شبيبة مهمومة ، شبيبة نبتت من قطرات الدماء الحارة التى غمرت الأرض ، ولدوا فى جوف الحرب للحرب، وقد رنحت أحلامهم خمسة عشر عاما ثلوج موسكو ، وشمس الأهرام ، لم يخرجوا من قراهم ، ولكن كم حدثوا أن كل باب من أبواب تلك القرى يقود إلى عاصمة من عواصم أوروبا : لقد تمثل

بعقولهم عالم بأكمله ، ثم هاهم ينظرون إلى الأرض والسماء والمسالك والطرق ، فإذا الكل صامت خال لا يسمع فيه غير دق النواقيس تتردد أصداؤه فى الآفاق البعيدة "[1].

• ومن تراكمات هذا الإحساس بالضعف والحيرة وخيبة الأمـل .. تشكلت مخيلة الرومانتيكيين حتى استعذبوا الألم وتغذوا به فقال شـاعر منهم " المرء طفل يهديه الألم ، لا شئ يسمو بنا قدر ما تسـمو الآلام ، وقال آخر : إنى أحب جلال الألم البشرى " .

• وهذه الظروف السياسية والاجتماعية والنفسية هى التى صاحبت نشأة الرومانسية فى العالم العربى ، فقد ظهرت ملامحها وآثارها عقب الحرب العالمية الأولى .. حيث وجد الأدباء .. وكل طبقـات الشـعب أنفسهم أمام واقع كئيب ، وحزن عميق .. إزاء ما حل بهم وبعالمهم .. وحضارتهم العربية .. فقد انتهى بهم كفاحهم ومقاومتهم لظلـم العمـال والولاة " الأتراك " إلى الوقوع فى براثن الدول الأوروبيـة .. وقسـم العالم العربى بين فرنسا وانجلترا وأسبانيا ، وإيطاليا .

وخابت آمال الأدباء والمفكرين .. والعلماء فـى زعمـائهم حيـث أصبحوا دمى فى أيدى المستعمرين ، وأصبحوا خاضـعين للسـيطرة الأجنبية ، فعكف الأدباء على ذواتهم يبكـون آمـالهم وغرقـوا فـى مشاعرهم الذاتية وتأملاتهم الفلسفية ، وأصبحت " المرأة والمجهـول ، والطبيعة والنفس الإنسانية شغلهم الشاغل ، والفلك الـذى تـدور فيـه

---

(١) انظر : الأدب ومذاهبه : د / محمد مندور .

تجاربهم التشاؤمية الحزينة ، وأصبحوا يرصدون الحياة من منظار البؤس والتشاؤم ، والعاطفة والخيال والشكوى والحرمان .

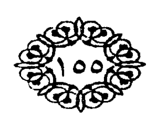
• ونشأت في هذه الآونة مدارس أدبية واتجاهات رومانسية مثل مدرسة "الديوان " ومدرسة "المهجر" ، ومدرسة "أبولو" .. ويتجاذبها جميعا التيار الرومانسي .. ويطغى على كل منها اتجاه فني وتيار فكرى .. فالاتجاه الذهني يغلف تجارب " الديوانيين " (العقاد ، والمازني ، وشكرى " ومن احتذى حذوهم بعد ذلك ، والاتجاه التأملي يصبغ تجارب المهجريين بصبغته الحائرة الباحثة عن منابع النور والحقيقة في كل فنونهم الأدبية " في الشعر ــ والقصة ــ والمسرح ــ والرواية ــ والمقالة " ، والاتجاه العاطفي "الابتداعي" يسيطر على شعراء وأدباء "جماعة أبولو" وفي مقدمتهم " إبراهيم ناجي.. وأحمد زكي أبو شادى .. ، وحسن كامل الصيرفي ، وأحمد عبد المعطي الهمشرى ، ومحمود حسن إسماعيل " .

• ومدرسة "الديوان" تعلى من شأن الفكر .. والوجدان .. ويمثلها تمثيلا حقيقيا الشاعر / عبد الرحمن شكرى ، وقد صدر ديوانه بهذا البيت

ألا يا طائر الفردوس إن الشعر وجدان

• وهو في تجاربه الشعرية يغوص في أعماق المجهول ، ويستبطن الذات ، ويحاول أن يصل إلى خفايا النفس الإنسانية .

• والعقاد يجنح إلى شعر " الفكرة " كثيرا لكنه لم يلغ عاطفته ، ويمكن القول : إنه كان يفكر بقلبه ، فإعلاؤه من شأن العقل كان طريقا



إلى تصيد المعانى الدقيقة العميقة ، والعواطف الحارة الصادقة ، وليس الأمر كما كان عند الكلاسيكيين يعنى الوقوف عند حدود مرسومة محددة ، أو اقتفاء نماذج أدبية راقية وعدم القدرة على تجاوزها ..، ويرى العقاد أن الشعر "إلهام" كما كان يرى الرومانتيكيون ومن قبلهم " أفلاطون" .. ، ومهمة الشعر عند العقاد .. وعند "الديوانيين" النفاذ إلى صميم الأشياء ، ومن أشعاره التى تمثل نهجه ورأيه فى الشعر قوله :

الشعرمن نفس الرحمن مقتبس — والشاعرالفذبين الناس رحمان
والشعر ألسنة تقضى الحياة بها — إلى الحياة بما يطويه كتمان

• والعقاد يرى : أن الأدب الرفيع لم يخل قط من عنصر التفكير ، وأن الشاهد على ذلك أدب الفحول بين شعراء الأمم العالميين ، ومنهم أمثال شكسبير ، وجيتى ، والخيام ، وأبى الطيب المتنبى ، ويرى أن أغانى "شكسبير" مثلا سلسلة من الأفكار التى يمتزج فيها الفهم بالشعور ، كما أن قصة "فاوست الكبرى " وهى أعظم أعمال "جيتى" هى فلسفة الحياة والبقاء ، وفلسفة الخير والشر ، وفلسفة المعرفة والضمير ، وليس فهمها بأيسر من فهم قضايا المنطق ومعادلات الرياضة والكيمياء"[1] .

• وعن صلة " مدرسة الديوان" بالفكر .. والأدب فى أوروبا .. وبأصداء الآداب الأجنبية بصفة عامة يقول العقاد .. كاشفا عن أصداء التأثر بهذه الثقافات الوافدة :

---

(١) انظر : عباس العقاد ناقدا ، د / عبد الحى دياب .
وانظر : ديوان " بعد الأعاصير " للعقاد ، " مقدمة الديوان " .

" هى مدرسة أوغلت فى القراءة الإنجليزية ، ولم تقصـــر قراءتهـــا على أطراف من الأدب الفرنسى ، وهى على إيغالها فى قراءة الأدبـــاء والشعراء الانجليز لم تنس الألمان والطليان والروس والأسبان واليونان واللاتين الأقدمين ،ولعلها استفادت من النقد فوق فائدتها مـــن الشـــعر وفنون الكتابة الأخرى ، ولا أخطئ إذا قلت إن "هازلت" هو إمام هـــذه المدرسة كلها فى النقد ، لأنه هو الذى هداها إلى معانى الشعر والفنون ، وأغراض الكتابة ، ومواضع المقارنة والاستشهاد .

ولقد كانت المدرسة الغالبة على الفكر الانجليزى الأمريكـــى بـــين أواخر القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر هى المدرسة التى كانت معروفة عندهم بمدرسة "النبوءة والمجاز " أو هى المدرسة التـــى تتألق بين نجومها أسماء "كارليل" وجون ستيوارت مـــل ، وشـــيللى ، وبيرون ، ووردزورث " ثم خلفتها مدرسة قريبة منهـــا تجمـــع بـــين الواقعية والمجازية وهى مدرسة "براوننج" ، و"تنيسون" و " إمرسون" و "لونجفلو" و " بو " و "ويتمان" ، و "هاردى" ، وغيرهم ممن دونهم فـــى الدرجة والشهرة ، وقد سرى من روح هؤلاء الشئ الكثير إلى الشعراء المصريين الذين نشأوا بعد شوقى وزملائه " (١) .

• ومنهج العقاد النقدى ، بل ومنهجه الحيـــاتى المتســـم بالصـــرامة والصراحة والعنف ، والعزوف عن الزواج يشبه منهج "هازلـــت" فقـــد كان "هازلت" عنيفا فى نقده لأكثر ما كتب معاصروه ، وقد قـــال عـــن نفسه : "أنا لا شئ إذا لم أكن نقاده" ، وكان يقول ما فى نفسه بصراحة تامة ، ولم يكن يستطيع الكتابة من غيـــر صـــراحة ، وكـــان يصـــور

---

(١) انظر : شعراء مصر وبيئاتهم فى الجيل الماضى للعقاد .



معاصريه كما يراهم ، ويجعل من هفواتهم جزءا مهما فى الصـــورة لا يحابى ولا يجامل ، ولا يتأول أو يقبل معذرة " [١] .

• وتمثلت ثورة مدرسة الديوان على الاتجاه الكلاسيكى فى كتـــاب "الديوان" الذى ألفه العقاد والمازنى ، وقد نقدا فيـــه " أحمـــد شـــوقى ، وحافظ إبراهيم ، ومصطفى لطفى المنفلوطى ، نقدا لاذعا شديد اللهجة ، مشوبا بنزعة التجنى ، والعدوانية والرغبة ــ كما قالوا ــ فى تحطـــيم الأصنام الأدبية ، ونادوا بما يسمى شعر الشخصية وهو ما نـــادى بـــه الرومانسيون حين ركزوا على الـــذات وجعلوهـــا محـــورا لتجـــاربهم المتعددة.

• وأما مدرسة " المهجر " فهجرة الأدباء من أوطانهم "سوريا ولبنان " ومصر وغربتهم فى أمريكا ، وترحالهم فى بـــلاد أوروبـــا ، وفـــى الأمريكتين ، وثقافتهم الأجنبية المتنوعة ، وتعرفهم على أدبـــاء العـــالم الرومانسيين والرمزيين ، والتأثر بهم ، واحتذاؤهم .. مثل تأثر "جبران" "بوليم بليك " فى تفكيره وأشعاره وسلوكه ، كل هذه العوامـــل جعلـــت "المهجريين" متأثرين أيما تأثر بالأدب الرومانتيكى فى فرنسا وانجلتـــرا وأمريكا وروسيا .

• وتتشابه مدرسة المهجر مع المدرسة الرومانسية حتى فى أسباب وبواعث التكوين فالرومانسية كان لها أكثر من مصور بينما كـــان للرابطـــة القلمية مصور واحد وهو "جبران خليل جبران " ويذهب البعض إلـــى

---

(١) انظر: " فى الأدب الحديث" لعمر الدسوقى جـ٢ .

اكثر من هذا .. فيقولون .. إن ميخائل نعيمة ناقد الرابطة يأخذ نفس المكانة فيها كتلك التى أخذها "سانت بيف " ناقد المدرسة الرومانسية .

• وقد تأثر "جبران " بالشاعر الانجليزى " وليم بليك " وأعجبه من حياته هدوؤه العائلى ، ومشاركة زوجته له فى تأملاته ومعاونتها له فى فنه بقدر استطاعتها ، وتمنى جبران لو يستطيع تحقيق هذا الحلم هو الآخر ، فيجد بجانبه فتاة أحلامة التى قد تشد أزره وتأخذ بيده "[1] .

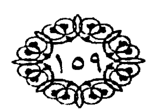
• وظهر أثر وليم بليك فى كتابات جبران وأخيلته التى تجول فيما وراء الحس ، وتجسم المعنويات ، وليس غريبا على جبران هذا التأثر فقد أتقن الإنجليزية ، وألف كتبا كثيرة باللغة الإنجليزية مما يدل على تمكنه منها مثل كتابه "النبى " و " حديقة النبى " و " يسوع بن الإنسان " و " رمل وزبد" ، و ألف نعيمة كتاب " مرداد " وكثيرا من قصائده باللغة الانجليزية .

• وألف الشاعر " رياض المعروف " بعض دواوينه وكتبه باللغة الفرنسية مثل " تلاوين " ، و " مسامير العاج " و " شعر الخمرة والمرأة عند العرب " ، وقام بترجمة بعض أشعار هؤلاء الشعراء وترجم شعره إلى الإيطالية والبرتغالية والأسبانية والإنجليزية .

• ونسيب عريضة فى ديوانه " الأرواح الحائرة " يلتقى فى مزاجه المتشائم ، وآلامه التى لا نهاية لها مع " المدرسة الرومانسية " التى سيطرت على الأدب الأوروبى فى القرن التاسع عشر ، فالشاعر

---

(١) انظر هذا الموضوع بالتفصيل فى كتاب " أدب المهجر " دار المعارف بالقاهرة د / صابر عبد الدايم .
وانظر كتاب : شعراء الرابطة القلمية ،د / نادرة جميل السراج .



"هوسمان" ، والكاتب والشاعر المتشائم توماس هاردى ، وماثيو أرنولد ، وتنيسون ، يقول عنهم الناقد البريطانى د/ ديتشر " من الآن فصاعدا تصبح صفات الرفض والانكار والهروب هى الاتجاهات العامة بين الشعراء ، والهروب إلى الكلمات والتنكر بأسلوب الصوفية والنسك ، والرفض بأسلوب التشاؤم أو الثورة ؛وديوان "هوسمان" المسمى "فتى ".

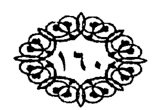
"شروبشير" ظهر فى لندن ١٨٦٨م ، ثم انتشر فى الولايات المتحدة الأمريكية ، وطبع ثلاثا وثمانين مرة ، وكتب عنه كثير من النقاد ؛ وتقول د / نادرة جميل السراج :

" وبالنظر إلى هذه الحقائق لسنا نستبعد أن يكون نسيب عريضة واحدا ممن قرءوا هذا الديوان ، وأعجبوا بالشعر والشاعر ، إذا تلحظ الكثير من وجوه الشبه بينه وبين "هوسمان" ، كلاهما كان متشائما متحيرا وخائب الأمل ، وكلاهما كان يسأل الناس أن يتركوه وحده ويعطوه الفرصة للتأمل والتحليق "[1] .

وقد استمد "ميخائيل نعيمة من الأدباء الروس ومن النقاد أشياء كثيرة أثرت فى تفكيره فيما بعد .. ، وهو يقول فى كتابه " أبعد من واشنطن ومن موسكو " : " اطلعت على الكآبة العميقة فى النفس الروسية نتيجة للقلق المستبد بها من حياة مقنعة العينين ، مكبلة اليدين والرجلين ، وللشوق المتأجج فيها إلى حياة تبصر طريقها ، وتسير فيها نشطة آمنة ومؤملة " .

---

(١) انظر : نسيب عريضة ، الكاتب الشاعر الصحفى د / نادرة جميل السراج.



ويقر ميخائيل نعيمه بتأثره بالأدباء والنقاد الروس ويعترف بأن "بيلنسكى" الناقد الروسى كشف له عن مواطن الصدق والقوة والخير والجمال فى العمل الأدبى ، وعن سمو وظيفة الأديب إذا هو أحسن تأديتها بالنسبة إلى نفسه ، وإلى الحياة حواليه ، وإلى الذين يقرأونه .

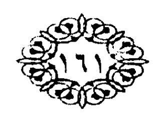
• و "جوركى" قد سلط أمام ذهنه أنوارا كشافة على زوايا مظلمة من الحياة الروسية حياة المشردين والمحرومين والناقمين على نظام يعيشون فى ظله حياة المنسيين الساكنين فى القاع .

وقد أعجب "بتشيكوف " فى تصويره الدقيق لجميع نواحى الحياة بما فيها من تفاؤل وانبساط وانقباض ، وثروات وثورات " [١]

ويرى د / محمد مندور أن أدباء المهجر قوم مثقفون قد أمعنوا النظر فى الثقافات الغربية التى لا غنى لنا اليوم عنها ، وعرفوا كيف يستفيدون منها فى لغاتها الأصلية [٢] .

---

(١) انظر : " قصة الأدب المهجرى " د / محمد عبد المنعم خفاجى .
(٢) الميزان الجديد ، د / محمد مندور .



أصداء "الواقعية فى الأدب العربى "

فى .... " فن القصة "

بدأنا التأثر بالغرب واضحا وجليا فى فن القصة ، وتعد موجة التأثر فى الفن القصصى مرحلة ثانية من مراحل نشأة القصة فى الأدب العربى الحديث ، وبذور نشأة القصة تتمثل فى فن المقامة فى العصر الحديث .. حيث كتب " على باشا مبارك " روايته التى صاغها فى أسلوب المقامات وأسماها "علم الدين " وهى مسامرات تمثل بداية التلاقى بين ثقافة الشرق وثقافة الغرب ، والمؤلف يحرص فى هذه "المسامرات" المقامية على ارتباطه بالتقاليد مع التفتح على معارف الغرب .. وعاداته ومنجزاته .

وكتاب "الساق على الساق فيما هو الفارياق " لأحمد فارس الشدياق.. من الكتب التى أنشأها صاحبها فى صيغة قصصية متبعا أسلوب المقامات .. ونص فيها على أربعة مقامات بالتحديد ، وعنى فيها بالناحية الاجتماعية .. وتصوير العادات والتقاليد .. وأظهر فيها المقدرة اللغوية .. مع فتح باب الاجتهاد فى اللغة وترك لنفسه الحرية فى النحت والاشتقاق .. دون التقيد بالضوابط اللغوية والقواعد العلمية فى هذا الباب ، وساق كثيرا من غريب اللغة تمشيا مع بعض أغراض المقامة فى القديم والحديث .

وهناك مقامات "صالح مجدى " وهى لم تأت فى صورة قصصية ولكنها سيقت فى إطار "المقالة " مع عدم فقدان " الخيط القصصى ..

وتعنى بمعالجة قضايا المجتمع فى عصر الكاتب ،ونشرت هذه المقامات فى "روضة المدارس ، وقامت بدراستها الباحثة د / عزيزة المغربـــى " فى جامعة أم القرى .. فى رسالتها " المقامة فى العصر الحديث " وهى رسالة دكتوراة (*).

• وكتاب " ليالى سطيح " يجمع بين فن القصة وفن المقامة .. مـــع معالجة كثير من قضايا السياسة والأدب واللغة والمجتمع .. ومؤلفه هو الشاعر ، حافظ إبراهيم .

• وكتاب " حديث عيسى بن هشام " أو " فترة من الزمن للمويلحى" أقرب إلى فن القصة .. وصيغ فى إطار أسلوب المقامة .. وصاحبه لم يتعمد ذلك ، ولكنه كان يجارى أسلوب العصر ، حيث السجع المتعمد ، والعبارات القصيرة ، وأسلوب التورية ، والطباق ، وغيرها من ألـــوان البديع المتعددة ، وركز على قضايا المجتمع .. والسياسة .. فى نزعـــة تهكمية ساخرة .

وتمثل النماذج السابقة مرحلة أولى لنشأة فن القصة فـــى العصـــر الحديث ، أما المرحلة الثانية .. فقد بدأت بتعريب موضوعات القصص الغربية مع التجويد فيها كى تطابق الميول الشعبية ، ولتســـاير وعـــى الجمهور آنذاك ، ويمثل هذا الاتجاه "رفاعة رافـــع الطهطـــاوى" فـــى ترجمته " مغامرات تليماك" للكاتب الفرنسى "فنلون" ، وقد أسماها رفاعة "وقائع الأفلاك فى مغامرات تليماك" .

(*) هذه الرسالة اجرتها الباحثة . وكنت مشرفا عليها بعـــد أ.د/ محمـــود فياض ، وناقضها الأديبان الناقدان أ.د/ محمد الحارثى ، وأ.د/ حسين على محمد "المؤلف" .

ومحمد عثمان جلال ترجم قصة " بول وفرجيني" للكاتب الفرنسي "سان بيير " تحت عنوان " الأماني والمنة " في حديث قبول وورد جنة".

والمنفلوطي ترجم القصة السابقة نفسها باسم "الفضيلة" وغير المنفلوطي عنوان مسرحية "أدمون روستان" التي كتبها الشاعر الفرنسي "سيرانودي" ،وأسماها "الشاعر " ، والمنفلوطي لم يكتف بالنص المترجم ولكنه أعاد صياغة النص القصصي وأضفى عليه الطابع العربي .. في عبارة مشرقة ، وأسلوب عذب .. ولغة رومانسية حالمة ، وكأنه هو الذي قام بإبداعها .

و " حافظ إبراهيم " ترجم قصة " البؤساء" "لفيكتور هوجو" فغير فيها ، وحذف منها وحور ما شاء .

وبدأت القصص تستقل بموضوعاتها مستوحية البيئة والظروف المحلية ، وكذلك الشخصيات أصبحت ملائمة مأخوذة من الواقع العربي، وبدأت القصة تعالج مشكلات البيئة والعصر ، أو تشيد بماضينا الوطني والقومي ، وظلت متأثرة في نواحيها الفنية بالآداب الكبرى والتيارات الفنية العالمية .

وقد تأثرت القصة العربية بالرومانتيكية في القصص التاريخية ، وظهر هذا التأثر في قصص "جورجي زيدان" حيث تأثر "بولتر سكوت" أب القصة التاريخية في أوروبا ، وقد تمثل هذا التأثر في النزعة القومية العاطفية والوطنية التي توهجت في قصص " محمد فريد أبو حديد " مثل قصة "زنوبيا" وقصة "المهلهل" وقصة "سنوحي " [١] .

---

(١) لمزيد من التفصيل ارجع إلى "الرواية التاريخية " د / حلمي القاعود ، و "الأدب المقارن " د / محمد غنيمي هلال .

وبعد هذه الموجة كان التأثر بالاتجاهات الواقعية والفلسفية للقصص العالمية ، وخير مثل على ذلك قصة "أنا الشعب " للأستاذ محمد فريد أبو حديد . وقصة " عودة الروح " لتوفيق الحكيم ، وقصة " الأرض " لعبد الرحمن الشرقاوى .

وقد تأثر " نجيب محفوظ " ببلزاك وإميل زولا فى كتابة " قصة الأجيال المتعاقبة " ، وبعد هذا تأثر بالواقعية الأوروبية ، والواقعية الطبيعية ، وكتب نجيب محفوظ قصة " خان الخليلى " و " زقاق المدق " ، ثم " بين القصرين " ، و " قصر الشوق " و " السكرية " .

وقصة " خان الخليلى " و " بداية ونهاية " تتناولان تاريخ أسرة من الطبقة الوسطى أثناء الحرب العالمية الأخيرة ثم عقبها ، وكذا "ثلاثيته" (بين القصرين ثم قصر الشوق ثم السكرية) تصور نماذج بشرية عاصرت أخطر فترة فى تطور حياة مصر فى العصر الحديث ما بين ١٩١٧م وعام ١٩٤٤ م .

ويظهر تأثر نجيب محفوظ باتجاهات الغرب الفنية فى القصة فى تصويره لشخصيات قصصه حيث صورهم تصويرا يكشف عن صراعهم النفسى ونظراتهم إلى القيم الإجتماعية ، وتفاعلهم مع أحداث المجتمع ومشاركتهم فى توجيه هذه الأحداث ولكن فى حيدة تامة ، ولا مناص من أن يبذل القارئ جهدا كبيرا فى الوقوف على ما تزخر به قصص نجيب محفوظ من تيارات فكرية ، وجوانب صراع نفسى ، وهو فى هذه الطريقة الفنية متأثرا بالكاتب " جيمس جويس " من الإنجليز فى حذفه كثيرا من الأحداث الهامة تاركا للقارئ استنتاجها .



وهو متأثر بالكاتب " دوس باسوس " من الأمريكيين فى اعتمـــاده على الكشف عن الوعى الباطنى من خلال الحديث النفسى لشخصياته.

وهو كذلك متأثر " بأندريه جيد " فى نظرته إلى الحقيقة الواحدة من وجهات مختلفة من خلال شخصياته .

وملامح هذا التأثر تبدو فى أثر دور الـــدين فـــى حيـــاة بعـــض الشخصيات كشخصية أحمد عبد الجواد فى ثلاثيته السابقة .

فهذه الشخصية خلقها المؤلـــف خلقـــا جيـــدا بتكوينهـــا النفســـى والاجتماعى والجسدى ، وجعلها شاملة تستوعب السمات البارزة للطبقة المتوسطة التى تقطن الأحياء الشعبية بكل عراقتها وأصالتها وتقاليدها ، ومعاناتها وأشواقها ، وهذه الشخصية متطرفة بمعنى أنها ليست تقليـــدا مبتذلا ، وليست كذلك صورة حرفية " فوتوغرافية " ، فهـــى تتجـــاوز الواقع المألوف بنتوءاتها البارزة وقـــدرتها علـــى اســـتيعاب الصـــفات المشتركة للطبقة البرجوازية التى نشطت وازدهرت فى مصـــر إبـــان النصف الأول من القرن العشرين .

ويصف نجيب هذه الشخصية وما تنطوى عليه من تقوى وورع :

" أدى فريضة الصبح ، صلى بوجه خاشع ، وهو غيـــر الوجـــه البسام المشرق الذى يلقى به أصحابه ، وغير الوجه الحـــازم الصـــارم الذى يواجه به آل بيته ، هذا وجه خافض الجناح تقطر التقوى والحـــب والرجاء من نسماته المتراخية التى ألانها التزلف والنور والاســـتغفار ، لم يكن صلى صلاة آلية قوامها التلاوة والقيام والسجود ، ولكن صـــلاة عاطفة وشعور وإحساس يؤديها بنفس الحماس الذى ينفضه على ألوان



الحياة التى يتغلب عليها .. ، حتى إذا انتهى من صلاته تربع وبسط راحتيه وراح يدعو الله أن يكلأه برعايته ويغفر له ويبارك فى ذريته وتجارته " [١] .

وتوضح هذه الثلاثية لنجيب محفوظ آثار التقاء الحضارتين الغربية والشرقية فى مطلع القرن العشرين ، وما تمخضت عنه من زلزلة القيم الاجتماعية القديمة ، وتطور الفكر الحديث ، ثم التطور الزمنى عن طريق الأحداث ومدى إيجابية الجيل السابق تجاهها ، ومدى ما يقترحه المؤلف من وراء ذلك كله على أبناء الجيل المعاصر .

ولوصف البيئة مكانها فى القصة الواقعية ، حيث يعنى الكاتب ببعث البيئة الفكرية والاجتماعية والطبيعية للطبقات والشخصيات ، ومصداق ذلك أن " أميل زولا " لبس ملابس العمال وخالطهم قبل أن يؤلف قصته "جرمينال " ؛ وكان "فلوبير" يسافر خاصة للاستقصاء فى الإطلاع قبل أن يؤلف قصصه .

وقد سار على هذا النهج " توفيق الحكيم " فى قصته " عودة الروح" وفيها يصور المؤلف " الوعى القومى " فى فترة معينة ، هى فترة ثورة مصر عام ١٩١٩ م ، ويكشف عن صدى الأحداث فى وعى الشباب لتلك الفترة ، وصراعهم الاجتماعى تجاهها من خلال حب فتى القصة "محسن" للفتاة "سنية" ، وتنافس أعمامه على حبها معه ، ويمحى هذا الحب الذاتى العاطفى فى حب أكبر منه هو حب الوطن ، يلتقى عليه

---

(١) انظر : بناء الرواية ، د / عبد الفتاح عثمان ، والروايات الثلاثة ، لنجيب محفوظ .

هؤلاء المحبون ، وتنتهى القصة وأبطال القصة فى السجن وهم متفائلون بإشراق المستقبل القريب لهم ، نتيجة جهادهم " .

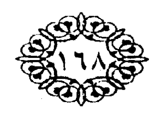
" فليس محسن وحده بطل الرواية ، وإنما هو وأقاربه الذين يتنافسون معه على حب "سنية" يمثلون روح " البرجوازية المصرية التى تتطلع إلى الثورة ، وبعث الروح المصرية ، فهم لا يتنافسون فى حبها بوصفها أنثى ، وإنما بوصفها رمزا للوطن ، الناهض من سباته العميق، والتى تنتظر البطل الذى يبعثها من جديد " .

وكذلك نهج الأستاذ نجيب محفوظ هذا النهج فى قصصه :

فمثلا فى ثلاثيته السابقة الذكر ... نرى أحداث قصة " بين القصرين " تدور فى القاهرة ما بين عام ١٩١٧م ، ١٩١٩ م فى أسرة برجوازية تمثل نماذج الشخصيات لتلك الفترة من الناحية النفسية والإجتماعية ، ثم نرى من خلال تلك الأسرة حوادث المظاهرات سنة ١٩١٩ م ، وصداها فى شخصيات الرواية وأثرها فيهم ، وفى قصته "قصر الشوق " نرى تصوير مجال الأحداث دقيقا كذلك فى حياة القاهرة بين عام ١٩٢٤، ١٩٢٧م ، ونرى مظاهر التقاء الحضارة الغربية بالتقاليد والعادات ممثلة فى شخصية " كمال " واتصاله بالارستقراطيين من أسرة آل شداد الممثلين لمظاهر الحضارة الغربية .

ثم تأثر " كمال " كذلك بنظرية " دارون" فى التطور .

وفى الصفحات الأخيرة من الرواية " وفاة سعد زغلول " وفى القصة تصوير لجهوده فى إيقاظ الوعى القومى .



وفى قصة " السكرية " استعراض عام لمظاهر التقدم الحضارى فى مصر ، وللأحداث الكبرى ما بين ١٩٣٥م إلى ١٩٤٤م من توقيع معاهدة ١٩٣٦م مع انجلترا ثم الحرب العالمية الثانية ، ثم إنذار ٤ فبراير سنة ١٩٤٢م ، وتفاعل الشخصيات مع تلك الأحداث تأثيرا وتأثرا ، ومجال الأحداث بهذا المعنى يفسر سلوك الشخصيات ، ويضئ جوانبهم النفسية ، ويقنع بالقيم التى يتصرفون فى ضوئها " (١) .

---

(١) انظر : النقد الأدبى الحديث د / محمد غنيمى هلال .
" وبناء الرواية " ، د / عبد الفتاح عثمان .



الواقعية وآثارها السلبية

شغل الواقعيون الأوائل أنفسهم من خلال رواياتهم التيانتزعت مكان الصدارة من الشعر الرومانسى بنقد ومناقشة أحوال الفرد والمجتمع ، وهذا ليس انحرافا بل هو أمر مطلوب . ولكن الانحراف جاء من جهة الموقف الذى اتخذه أولئك من الدين والأخلاق والتقاليد أثناء تصويرهم للمشاكل الإنسانية الواقعية .

وتتمثل الآثار السلبية للواقعية فى "الظواهر الآتية" :

أولا : الثورة على التقاليد الإقطاعية والرؤى الدينية:

وعند " بلزاك " تتجسد هذه الظاهرة ، فواقعيته تهدف إلى تصوير إفلاس رجل الدين ، وتهافت فظاعة التقاليد ، وليس غريبا بعد ذلك أن تركز معظم الروايات الواقعية على تصوير المجتمع فى صورة العدو اللدود الذى يكبل الفرد ويحد حريته وتطلعاته .

ثانيا : الشعور بالضياع .. وعدم جدوى الحياة :

ودليل ذلك أن المذاهب الفكرية والفلسفات لم تستطع أن تعطى الإنسان المعاصر " أو الفرد حسب تعبير كامو" أى نوع من أنواع الثقة والاطمئنان ، بل على العكس كان دورها الفعال ينحصر فى اجتثاث موروثات الكنيسة الهشة التى كانت رغم هشاشتها تقدم شيئا من الاستقرار والثقة فى المصير ، وكانت العوامل النفسية والاجتماعية تهدم كل أمل فى الوصول إلى السعادة والإيمان بالقيم المجردة أيا كانت .

وأمام العملاق الميكانيكى الرهيب وسيطرة الآلة الطاغيـة شـعر الإنسان بأنه قد سحق ، وأن وجوده قد تضاءل إلى حد أدنى مما كـان عليه ، وهو يواجه جبرية الكنيسة واضعا مصيره بـين يـدى قـدرها المحتوم ، وأصبحت مشكلة الإنسان العظمى فى الحياة هى وجوده حيا ، فالكلمة التى قالها " أوغسطين" أصبحت أنا نفسى مشكلة بالنسبة لنفسى ، لم تعد خاصة بالفلاسفة ، بل باتت ترددها شفاه الفرد العادى من أجيال الضياع .

ثالثا : عدم الشعور بالالتزام :

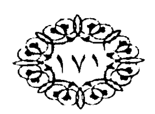
والإحساس بالضياع أدى بالأديب المعاصر إلى فقـدان الشـعور بالإلتزام ، وعدم السعى إلى هدف فى الحياة .

يقول أحد الأدباء الذين لا يؤمنون بغائية الأدب :

" ليس من الصواب الزعم أننا نخدم فى رواياتنا قضـية أساسـية مهما كانت قضية تبدو لنا عادلة ، وحتى لو كنا فى حياتنـا السياسـية نحارب فى سبيل انتصارها " .

وهذا الإحساس بالضياع وعدم الانتماء فى عالم يعج بالمعضـلات الحضارية ، والمآسى الإنسانية جعل الرواية المعاصرة تتخذ بطلها من نوع آخر . ملائم لاتجاهها ، ويستطيع المرء أن يعـد نوعيـة البطـل مؤشرا حقيقيا لتحديد الانتماء الفنى وتطوره .

فالأدب الكلاسيكى كان بطله هو ما يدل عليه المعنى الأصلى لكلمة بطل ، ثم حولت الرومانسية بطلها إلى الشعور بالذات والبحـث عمـا

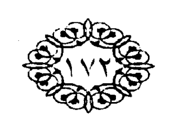


وراء المجهول ، أما بطل الرواية الواقعية فهو غالبا البطل الشهوانى أو المادى .

وفى أدب الضياع المعاصر نجد أن البطل هو الصعلوك المتشرد ، أو هو ذلك الإنسان الذى مصيره الخيبة والدمار " [١] .

---

(١) انظر : العلمانية ، د / سفر الحوالى .



الفصل السابع
المؤثرات الأدبية وأثرها فى التجربة التأملية
" عند أدباء المهجر "

مدخل

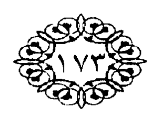
إن عامل التأثير له دوره الجاد فى ازدهار الأدب واتساع آفاقها ومضامينها ولا تستطيع أمة تقدر الفكر ،وترى فى الأدب تجسيدا لحركتها فى الحياة وصورة لواقعها وآمالها وأحلامها ، وآلامها ، أن تعيش بمعزل عن التيارات السياسية والثقافية والأدبية والعالمية ولا أن تغمض عينيها عن التراث الحافل بمآثر الأقدمين .

" والتأثر دليل الحيوية والطواعية والتفتح وهو النافذة التى تتيح للفكر استشراف آفاق جديدة ومعايشة تجارب جديدة " (١) .

وقد تأثر **الأدب المهجرى** شأنه شأن الآداب الأخرى بمؤثرات كثيرة .. سرت فيه وذابت وبقى محتفظا بطبيعته المستقلة وشخصيته المتميزة عن غيره . ولم يقتصر على هذا بل تجاوز مرحلة التأثر إلى مرحلة التأثير ولم يؤثر فى الأدب العربى فقط بل أثر فى الأدب الأوروبى وقد اعترف بهذا الشاعر رياض المعلوف فى رسالة أرسلها إلى فى العاشر من مايو سنة ألف وتسعمائة وثمانية وسبعين " "١٠ من مايو ١٩٧٨" وقال متحدثا عن القصائد التى أتت على نظام الموشحات "ولا شك أن هذه الموشحات هى من أرق الشعر العربى والشرقى لا بل العالمى "

---

(١) د / محمود الربيعى: فى نقد الشعر ص ١٤٠ .



ودليلى على ذلك أن الشاعر الفرنسى الشهير " فكتور هيغو" تـأثر بهذه الموشحات حتى أنه نسج على منوالها بالفرنسية بتعـدد القـوافى والأوزان ، وديوانه المشرقيات دليل ساطع على ما أقوله وفخـر لنـا جميعا كشرقيين أن يتأثر بنا هؤلاء الشعراء العظام فى العالم (١) .

وقد أرسل إلى الشاعر رياض المعلوف عدة قصائد مـن ديـوان المشرقيات للشاعر الفرنسى "فيكتور هيغو" وأثبتها هنا : وقد ترجمهـا أيضا وقال " عبرتها لك بأمانة .

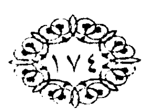
١. مصارع الثيران(٢) .

كنت أملـك خاتمـا مـن الـذهب: ولكننـى أضـعته
وأننى مصارع الثيران .. وعازف القيثارة فى غرناطة!
ولاعـب السـيف فـى أشـبيلية!
وخـاتمى كـان يلمـع لمعـان الـنجم!
والشـيطان المختبـئ فـى عـين سـمرائى!
هـل يسـتطيع أن يصـوغ خاتمـا مثليـه
ولوجـوف القمـر

---

(١) من رسالة أرسلها إلى الشاعر رياض المعلـوف فـى ١٠ مـن مـايو ١٩٧٨م.

(٢) أرسل الشاعر رياض المعلوف هـذه القصـيدة وقصـيدة العصـفور ، والخليفة ــ وترجمها عن الفرنسية،والقصائد الثلاث من شـعر "فيكتـور هوجو" وقد تأثر فيها بايقاع الموشحات فى الشعر الأندلسى وفى الشـعر المهجرى كما يقول الشاعر " رياض المعلوف " .



٢ . العصفور

العصفور يطير فى الأفق .. حيث يلتهب حبا

وإذا كانت الورود ... هى الأشياء !

فالعصفور يطير ويهيج الصحراء!

والبيت والحقول ... والسنديانات

وهى تصغى إليه..

عندما أنشودته تنتقل من غاب إلى غاب

٣. الخليفة

الخليفة انتقم من سكان الجبل .. وجنوده وصلوا إليه،رافقهم الله

ولم يتركوا بعد الانتقام شيئا حيا

فشمل الحزن هذا الحقل المنكوب

وعظام شعب كامل تسكن هذه الحجارة

والعقاب المنشور المريش

والنسر ذو الأجفان الحمر

هما هنا المنتصران الفرحان

ومنقارهما فاغران .. نهمان

كل شئ تلاشى

والطريق الذاهبة فى الصحراء

عندما تمر فيها قافلة الإبل ..

.. يتراءى فيها لكبير القافلة .. عامود ظاهر

.. تقرأ عليه هذه الكتابة



ويتضح الأثر الشرقى فى هذه القصائد فى معانيها و ألفاظها .. فى القصيدة الأولى يذكرنا ضياع الخاتم بخاتم سليمان وقصة البحث عنه . و غرناطة و اشبيلية و السيف و عين الفتاة السمراء كلها تـوحى بـأجواء الشرق وروحانيته .

وفى قصيدة " الخليفة " أيضا نعثر على هذه المواد التى تشيع فـى أجواء الشرق فهو يتحدث عن عنفوان الخليفة .. وواضح أن الشـاعر يهاجم سلطة الخلافة ويراها سببا فى دمار بعض الشعوب وحين أراد أن يصور الظلم ويجسده رمز إليه بالعقاب والنسر وهما فاتحان فمهمـا . فهما نهمان لالتهام الجثث . وحين نقارن بين هذه الصورة وبين الخيال الشعرى عند العرب فى وصف الحروب وبخاصة عند المتنبى نرى أنه كان يصف الخليفة بأنه يترك للطير رزقها من جثث أعدائه ، والإبـل سفن الصحراء عند العرب .

ولا تهمنا هذه المقارنة الآن وإنما الذى أود أن أشير إليه هو تـأثر الشاعر الفرنسى بطريقة الصياغة بحيث صاغ ديوانه " المشرقيات" على طريقة الموشحات التى نظمها شعراء المهجر تأثرا منهم بالموشـحات الأندلسية .



-١-

أولا ـ أثر التراث العربى والإنسانى

لقد تأثر الأدب المهجرى بمؤثرات كثيرة .. فقد تأثر بالتراث العربى الإسلامى حيث ظهر فى أدبهم وشعرهم أثر قوى من فكر المتصوفين .

وكما تأثر المهجريون بالفكر الصوفى والفلسفى تأثروا أيضا فى بعض أفكارهم بالشعراء العرب الكبار مثل المتنبى وأبى العلاء . والشاب الظريف ، والبهاء زهير ، وأبى نواس .

فالشاعر إلياس فرحات شعره ــ لم يخل من خطرات الحكمة والمثل يرسلها الشاعر فى خلال القصيدة . وتكثر هذه الظاهرة فى شعر فرحات كثرة تذكرنا بالحكم والأمثال فى شعر المتنبى [١] فما أقربه من المتنبى إذ يقول :

وماهين حق لا سلاح لربه ... وأضعف أنواع السلاح التأدب
ولولا نيوب الأسد كانت ذليلة ... تساط . وتعنو للشكيم وتركب
وكم ظالم يستعبد الناس عنوة ... وحجته الكبرى الحسام المشطب

*****

أنا من يرى أن الرياء معرة ... وأن خبيث القول فى الصدق طيب
وما أنا إلا كالزمان وأهله ... أعاف وأستحلى ،وأرضى وأغضب
تعبت إذ استنظرت خيرا من الورى ... ومستقطر السلوى من الصاب يتعب

---

(١) محمد عبد الغنى حسن : اشعار وشعراء من المهجر ص ٩٢ .

وقد أطلق عليه الأستاذ صالح جودت فى كتابه بلابل من الشـــرق لقب "المتنبى الجديد " ، وقال " هناك قرية تنجب العباقرة " . اسم هـــذه القرية "كفر شيما" بلبنان .

ومن هذه القرية خرج آل اليازجى ، خير من خدموا اللغة العربية ، وآل شميل من خيرة من رعوا الثقافة ، وآل تقلا من أقدم من أنشأوا الصحافة .

ومن قرية العباقرة خرج المتنبى الجديد " الياس فرحات"[1] .

وتقيم العصبة الأندلسية فى سنة ١٩٣٥م " ألف وتسعمائة وخمـس وثلاثين " مهرجانا تذكاريا لمرور ألف سنة على وفاة المتنبى — وهـــذا يدل على احتفال هؤلاء الأدباء بالمتنبى وإعجابهم بـــه وترجمـــوا هـــذا الإعجاب الذى وصل إلى درجة التأثر أن أنشأوا القصـــائد الكثيـــرة — ومنها قصيدة "القروى" بعنون "نبى" [2] . وتبدو المغالاة فى هذه القصيدة حيث يطلق على المتنبى لقب "نبى" ويعد كلامه قرآن الشـــعر كمـــا أن كتاب أحمد قرآن النثر ، وهذه مبالغة غير مقبولة .

وفى هذه القصيدة الجزالة اللفظية ، والجرس القوى والحكمة التى كان يصدرها المتنبى عن تجربة صادقة ، والفخر الذى كان يكثر فيـــه بنفسه ، ويقول القروى .

ألا أى ينبوع ســـقاك معينـــه ... فإنى إلى تلك المناهل ظمـــآن

أصاب"ابن أوس" منه حسو طائر ... وبلت لسات "البحترى"به الجان

---

(١) صالح جودت : بلابل من الشرق ص ٨٦ .

(٢) ديوان القروى ج١ ص ٤١٥ .

وأنت مقيم كارع مـــن دنانـــه   يشعشعهابالكوثرالعذب رضوان

ولم ينس الشاعر أن يشير إلى أبى تمام والبحترى فـــى أبياتـــه ، ويتعرض للخلاف حول الشعر فى العصر الحديث ، ويهاجم النقاد الذين يهاجمونه فيقول :

أجدنا فجن الحاسدون وليتنـــا   أسأنافقىبعض الإساءة إحسان

أغاروا على ألفاظنـــا بمـــراقم   يقر لها بالطعن بيض ومـــران

لهوا بانتقاد الثوب عما يضمه   وتنتخبالحسناءوالجسم عريان

وداروا بتذمام الغبار عيونهم   إذابرزتفىحلبة الشعر فرسان

بشاعرها فلتفتخر كـــل أمـــة   يهددها بالموت والعار طغيان

إذا طويت أعلامها فهو بيرق   وانأخمدت أنفاسها فهو بركان

يهز رفات الغابرين صـــراخه   فتنشق أرماس وتنحل أكفـــان

وتبعث أبطال، وتنضى صوارم   وتنشر أعلام ، وتنصف أوطان

ويبدو هذا التأثر أحيانا فى اتفاق المعانى ربمـــا للـــروح العربيـــة الواحدة أو للتأثر بأفكار الشعراء .

فأبو ماضى فى الأسطورة الأزلية يقول :

هم حددوا القبح فكان الجمال   وعرفوا الخير فكـــان الطـــلاح

ويلتقى قوله مع قول " المتنبى " وبضدها تتميز الأشياء والشـــاعر "نعيمة قازان " عندما يقول :

ألا كل دين ما خلا الحب بدعة   وكل اجتهاد ما عـــداه ظنـــون

يذكرنا بصياغة بيت لبيد الذى يقول فيه :

ألا كل شئ ما خلا الله باطـل وكل نعـيم لا محالـة زائـل

وأبو ماضى عندما يقول :

لم يبق ما يسليك غير الكاس فاشر ودع للناس ما للنـاس
وانس الهموم فليس يسعد ذاكر واسق النجوم فإنها جلاسـى
واصرع بها عقل النديم ولبـه ما نغص الحاسى كعقل الحاسى

فإنه يذهب قريبا فى التأسى " بأبى تمام " إلى حد بعيد فى قوله :

دعنى وشرب الهوى يا شارب الكاس فإننى للذى حسـيته حاسـى

والشاعر " شكر الله الجر " يقلد المتنبى فى صياغة أبياته . ويسرق منه تعبيرات كاملة فبيت المتنبى الشهير :

وإذا كنـت النفـوس كبـارا تعبت فـى مرادهـا الأجسـام

قلده " شكر الله الجر " وقال :

كلما كانـت النفـوس كبـارا ضاق عن مطمع النفوس الوجود

" والياس قنصل " بعد أن يلح فى أسباب الحيرة وينهمك يكتشـف أخيرا أن مبعث ذلك هو الإنسان نفسه يقول :

يا نفس لن تجدى السبيل فأطفئى هذا الضياء فما الضياء بمسعفى
مازلت أبحث ممعنا فى حيرتى وأجد خلف الوهم جد تلهـف
حتى رجعت إلى الشكوك مصدعا ورأيت أنى مصدر السر الخفى

إنه فى هذه النزعة يجارى أبا العلاء فى قوله :

والذى حـارت البريـة فيـه حيوان مستحدث مـن جمـاد

وعندما يخاطب " فوزى المعلوف " الموت بقوله:

الآن يا مـوت إلـى اقتـرب يا مرحبـا بـالموثق المعتـق
معتق نفسى من قيود الأسـى موثق جسمى فى المدى الضيق

فإنه يقترب جد القرب من أبى العلاء الذى رأى الحياة سجنا للروح داخل الجسد عندما يقول :

أرانى فى الثلاثة من سجونى فلا تسأل عن الخبر النبيـث
لفقدى ناظرى ولـزوم بيتـى وكون النفس فى الجسم الخبيث[1]

وقد وجهت للشاعر " رياض المعلوف " سؤالا يتعلق بقضية التأثر عند المهجريين قائلا :

أى أدب أثر فيكم وفى آل المعلوف عامة ؟ وما الأديب المباشـر الذى تأثرتم به فى الأدب العربى ؟ وما منابع ثقافتكم الأولـى ؟ وهـل للتصوف المسيحى والإسلامى أثر فى نتاجكم ؟ .

فأجاب :

نحن الإخوة الثلاثة :

فوزى : تأثر بالمعرى وعمر بن أبى ربيعـة . ومـن الفرنجـة بشاتوبريان الفرنسى وروايته ـ ابن حامد أو سقوط غرناطة تلاقى فيها مع ابن سراج القرطبى ومع شاتوبريان وألبير سامان ، ولا مرتين .

---

(١) د / نظمى عبد البديع : أدب المهجريين أصالة الشرق وفكـر الغـرب . ص٥٢ ، ٥٤، ٥٦ .

وشفيق : تأثر بالمتنبى وأبى تمام وطرفة بن العبد . ومن الفرنجة : ببودلير الفرنسى .

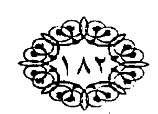
ورياض : تأثر بالشاب الظريف والتلمسانى "وأبى النواس " والبهاء زهير وعمر بن أبى ربيعة وأعجب بمجاميع الثعالبى الشعرية للعديد من شعراء العرب خاصة.

وهذا الكتاب كان رفيقه وزاد سفده مع ديوان أبى نواس فى كل أسفاره إلى أوروبا والبلاد العربية والأمريكتين .

ومن الفرنجة تأثر ببودلير ، وألبير سامان ، ومالارميه ، ولامرتين الفرنسيين وشللى البريطانى ، وأوثغريتى الإيطالى ، ولى دواوين شعريه فرنسية نشرت بباريس . منها "تلاوين ومسامير العاج ، وشعراء الخمرة والمرأة عند العرب مع ترجمة بعض شعرهم بقلمى".

وثقافتنا الأولى بالعربية والفرنسية وبعض الإنكليزية ولا شك أنه أنتنا شاعريتنا نحن الأخوة الثلاثة مع العديد من شعراء آل المعلوف عن طريق جدودنا أمراء آل غسان الذين كانوا يهتمون بالشعر والشعراء حتى إن حسان بن ثابت كان يلقى قصائده فى مديح جدودنا الغساسنة فيجزونه إكراما لشعره بأكياس الذهب ! وأشرت إلى ذلك فى إحدى قصائدى :

فقريضى ورثته عن جدودى — آل غسان خيرة الأعلام
أمراء من أنبل العرب أصلا — سادة الشعر والعلا والحسام
وبهم كم تشامخ الرأس عزا — ولي الفخر بالجدود الكرام



ويجوز أن يكون للتصوف المسيحي والإسلامي أثره في مؤلفاتنا نحن الثلاثة " فوزي وشفيق ورياض المعلوف " لأننا دبينا بين المطبوعات والمخطوطات في مكتبة عيسى اسكندر المعلوف وأولاده — الخاصة والتي تضم العشرين ألفا من المطبوعات النادرة وألفا من المخطوطات النفيسة المموهة بالذهب،والوثائق القيمة التي هي في غاية الندرة .. ووالدنا العظيم العلامة المجمعي عيسى اسكندر المعلوف مؤسس وعضو مجامع اللغة العربية بالقاهرة ، ودمشق وبيروت والبرازيل.

وفي هذا الجو الثقافي الرائع ! .. وعلاوة عن ذلك أخوالنا الخمسة شعراء ومنهم الشاعر ميشال المعلوف أول رئيس للعصبة الأندلسية بسانبولو البرازيل ومؤسسها مع مجلتها .

وهكذا ترعرعنا بين هذه النفائس الفكرية والشعرية والروحية . فعشنا هكذا لنا عين على الإنجيل .. وعين على القرآن الكريم . فجمعنا ما بين الحضارتين العظيمتين ! .. وصوفيتهما وروحانيتهما وشاعريتهما .

زحله في ١٤ ك١ ١٩٧٧ زحله لبنان — رياض المعلوف

- ٢ -

ومن المؤثرات التراثية التى أثرت فى الأدب المهجـــرى ، الأدب الأندلسى وكان تأثيره فيه تأثير النبع القديم فى الروافد التى نهلت مـــن ذلك النبع .. وتشعبت لتلتقى بينابيع كثيـــرة غيـــره ، فيحـــدث تمـــازج واختلاط ، وفى النهاية نجد أدبا ذا طعم جديد ولون متميز :

أ ــ ويرجع تأثر الأدب المهجـــرى بـــالأدب الأندلســـى إلـــى صـــلة الأمريكان الذين يعيش بينهم المهجريون بالأسبان وأهل الأندلس

ب ــ وكذلك التشابه فى ظروف الهجرة وإن اختلف الزمان والمكـــان والهدف يقول حبيب مسعود : فالعرب دخلوا الأنـــدلس فـــاتحين ونشروا هيبتهم فدرج الأدب والعلم فى ظلال أعلامهـــم وزهـــا الشعر فى خمائل مجدهم . أما نحن فقد دخلنـــا أرض كـــولمبس مسترزقين طالبين عطفا سائلين عدلا . فلا نبرر تسمية بيئتنـــا " بالأندلس " إلا اعتبارنا أن نشر الأدب العربى فى البلد الغريـــب وفى الأميين من قومنا "هو فتح مبين" وأن الانصراف إلى الأدب هو نوع من الاستشهاد .

ولقد حملت نفوس المهجريين كل اعزاز وتقـــدير وحمـــاس وتعصب لهذه الدولة التى قامت فى الأندلس وبنت مجدا عريقـــا دام أكثر من ثمانية قرون " وهذا الشعور ولد فيهم العزائم والهمم وأثار فيهم نخوة الفخر والاعتزاز بهذه الأمجاد.



ج ـ واتصل المهجريون ببعض شعراء الأسبان الذين كانوا يذكرونهم بعهود الأندلس الغابرة كالشاعر الأسبانى الشهير "فرنسيسكو فيلا سباز " الذى عاش مدة عمره فى البرازيل واتصل به عدد من شعراء هنا : مثل فوزى المعلوف وقد ترجم مطولته " بساط الريح " إلى اللغة الأسبانية وكتب مقدمتها .

ولقد ترجمها غير شاعر الأسبان ، أمير شعراء البرتغال (سوبرينو) شعرا إلى البرتغالية وترجمها المستشرق الإنجليزى "جوج كفت" إلى الانجليزية وترجمها إلى الألمانية الدكتور " كميفماير" . وإلى الروسية "كروتشكومسكى" وإلى الرومانية "أميل مرقده" نزيل بخارست" وإلى الفرنسية كل من الدكتور فائز عون ، والسيدة أفلين بسترس والسيد فوزى سعيد (١) .

ومظاهر هذا التأثر تبدو فى أعمال الشعراء والأدباء ، ومنهم فوزى المعلوف فى شعره ونثره أيضا ، فقد وضع رواية عنوانها "ابن حامد أو سقوط غرناطة" .

وجبران خليل جبران : يقول فى قصة " الأجنحة المتكسرة موضحا أن الأدب الأندلسى كان من مصادر ثقافته الأولى "سرت نحو ذاك المعبد واعدا نفسى بلقاء سلمى كرامة ، حاملا بيدى كتابا صغيرا من الموشحات الأندلسية التى كانت فى ذاك العهد ولم تزل إلى الآن تستميل نفسى" (٢)

(١) د / حسن جاد / الأدب العربى فى المهجر ص ٤٣١ .
(٢) جبران : الأجنحة المتكسرة ص ٢٠ .

والياس فرحات يحيى الأندلس فى موشحة بعنوان الأندلس فيقول:

يا ابنة الزهراء يـــا أندلســـيه إن من أجدادك العــرب بقيـــه
لم تزل شامخة الـــرأس أبيـــه لـــم تفرقهـــا مســـاع أجنبيـــه
لـــم تفتقهـــا دواع مذهبيـــه كلما مرت بها ريح الخزامـــى

أرسلت معها لاهليـــك السلامـــــا (١)

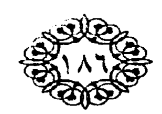
ولم يكتف شعراؤنا الأندلسيون الجدد " المهجريون " بأن اســتوحوا أمجاد الأندلس وأيامهم الجميلة فى شعرهم ونثرهم بل سموا رابطــتهم الأدبية التى تلم شتاتهم وعنها تصدر أفكـــارهم " العصـــبة الإندلســـية" وضمت كثيرا من الأدباء ومنهم من كان يوقع تحت عمله الأدبى بتوقيع "أندلسى"(٢).

وقد تأثر المهجريون فى الصـــياغة وكيفيـــة الأداء بالموشـــحات الأندلسية لأنهم قد أطالوا النظر فى الموشحات وفيما اهتدت إليـــه مـــن أشكال موسيقية تعتمد على التنويع فى القافية أو اللعب بعـــدد التفاعيـــل على أن يخضع كل ذلك لنظام موسيقى ثابت (٣).

ويرى الناعورى أن المهجريين طوروا فـــن الموشـــحات نظـــرا لظروفهم التى ساعدتهم كالجو الجديد الذى عاشوا فيه والآداب الغربيـــة التى اتصلوا بها والحرية الواسعة التى امتلأت بها نفوسهم .

---

(١) عيسى الناعورى : أدب المهجر ص ٢٤٩ .
(٢) السابق ٢٥١ .
(٣) د / دانس دواود : التجديد فى شعر المهجر ص ٣٥٢ .



ويرى هذا الرأى أيضا "الدكتور مصطفى هدارة " حينما يتكلم عن عناصر التجديد فى الناحية الشكلية العامة لشعراء المهجر ويقول عنهـــا إنها " ذات أصول قديمة إلا أن شعراء المهجر قد أضافوا إليها بروحهم التجديدى القوى إضافات جديده " (١) .

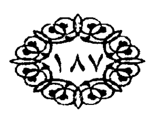
ولكن د / أنس داود يرى أن المهجريين " لم يجـددوا فـــى أوزان الشعر بل نهضوا بفن توزيع القافية على النحو الـذى بـدأه الشــعراء العباسيون ونما على يد الوشاحين " (٢) ويتهم د / نادرة جميل الســـراج بالتسرع حين " أشادت بتجديد شعراء المهجر فى أوزان الشعر وقوافيه والحقيقة أن التطوير الذى حدث علـــى أيـدى المهجــريين فـــى فـــن الموشحات لم يكن تطويرا فى الشكل " الوزن خاصـــة " وإنمـــا كـــان تطويرا فى مضمون هذه الموشحات فقد " ارتفعـــوا بمســـتواها الفنـــى وأشاعوا فيها الموسيقى العذبة والرقة الغنائية الحلوة وسموا بهـــا عـــن التلاعب اللفظى والزخرف الشكلى اللذين كانا يســـيطران عليهـــا فـــى الأندلس "(٣).

كما تجاوزوا بها نطاقها الأندلسى المحدود المضمون الـــذى كـــان يعوزه العمق واتساع الأفق إلى الآفاق الإنسانية والاجتماعية والتامليـــة وضمنوها شعر التأمل والشعور الإنسانى الواسع (٤) .

ومما يؤكد ما ذهبت إليه واتفقت فيه مع بعض النقاد الذين ذكرتهم . قول ايليا أبو ماضى فى مقدمة ديوان "نعمة الحاج" لا يصير الشـــاعر

---

(١) د / مصطفى هدارة : التجدد فى شعر المهجر ص ١٨٦ .
(٢) د / دانس دواود : التجديد فى شعر المهجر ص ٣٢٥ .
(٣) حسن جاد / الأدب العربى فى المهجر ص ٤٣٧ .
(٤) السابق ص ٤٣٧ .



شاعرا حقيقيا حتى يستنبط ويبتكر ، وليس الابتكار أن يعدل الشاعر من الروى الواحد والعروض الواحد فى القصيدة إلى أكثر من روى وأكثر من عروض كما يتوهم بعض المعاصرين خطأ .

فإن هذه الطريقة قديمة طرقها شعراء الأندلس ، وتوسعوا فيها ولكنها لم تصنع من غير الشاعر شاعرا . وهذا مما يثبت أن السر فى المعانى لا المبانى على أن المعنى الجميل يستلزم أن يكون معناه جميلا[1].

والشاعر رياض المعلوف حينما وجهت إليه السؤال الآتى :

هل تأثر المهجريون بفن الموشحات عند الأندلسيين : أجاب قائلا:

" أظن أن المهجريين تأثروا بالموشحات الأندلسية ونسجوا على منوالها أو عارضوها بالطريقة ذاتها أو ببعض الاختلاف نظرا للزمن والبيئة .

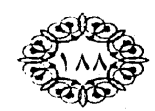
فالرابطة القلمية والعصبة الأندلسية تأثرتا بنهضة الأندلس الشعرية ولأدبائها وشعرائها خاصة نماذج لطيفة تذكرنا بالأندلس ونهضتها وإن تكن أحيانا الطريقة مختلفة نوعا ما خاصة فى التفكير العصرى الآن .

فالأندلسيات كانت فى "الروضيات والطبيعة ومحاسنها ".

أما المهجريون فإنهم تجاوزوا ذلك بإضفائهم مسحة فلسفية فى تخيلاتهم الشعرية !! وكأنهم أكملوا هاتيك الموشحات والزهريات

---

(١) مقدمة ديوان : نعمة الحاج ـ التجديد فى شعر المهجر د / مصطفى هدارة ص ١٧٩.



المستكلفة الموسيقى والمعنى والمبنى . بموشحات جاءت موافقة لنهضة الزمن الحديث فى عمق التفكير ومتطلبات العصر [١] .

وحتى تتم الموازنة ويأخذ الحكم دليله العلمى . سأضع نموذجين لكل من الموشحات الأندلسية القديمة والموشحات المهجرية . لنعرف الفرق بين مضمونهما وإن اتحدا فى الشكل الخارجى .

(أ) من موشح لأبى عبد الله محمد بن عبادة المعروف بابن القزاز من شعراء المعتصم بن حمادج وقد عاش فى القرن الخامس الهجرى يقول : [٢]

بدرتم   شمس ضحا   غصن نقا مسك شم
فالوصال   ما قد خلا   من أمل فائق
والخيال   ما قد علا   من نفس خافت
قاتلى   أهدره دما   من قد غدا ملحدا
واصلى   كنت نما   عما بدا قد عدا
سايلى   مستفهما   حين الردى اعتدى

ومما لا شك فيه أن هذه الموشحة ظاهرة التكلف ، ثقيلة الإيقاع ، متفككة الأبيات والشعور اعتمد فيها صاحبها على التنويع الموسيقى ولم يتطلع إلى ما عداه .

ولا يمنع هذا أن تكون هناك موشحات تتسم بالرقة والعذوبة وصدق الشعور ولكنها لا تصل إلى العمق الذى أضفاه المهجريون على

---

(١) من رسالة أرسل بها الشاعر إلى فى ١٠ من مايو سنة ١٩٧٨.
(٢) ابن سناء الملك دار الطراز فى عمل الموشحات ص ٦٥ .

قصائدهم التى أخذت طابع الموشحات ومنها موشحة ابن ســناء الملــك التى يقول فيها :

يا شقيق الروح من جســدى أهــوى بــى منــك أم لمــم

ضعت بيــن العذر والعـــزل

ما أنا وحدى علـــــى خبـل

مـــا أرى قلبـــى بمحتمـــــل

ما يريد البــين مــن خلــدى وهـــو لا خصـــم ولا حكـــم

أيها الظبى الـــذى شــــدا

تركتنـــى مقلتـــاك ســــدى

زعمـــوا أنـــــى أراك غـــدا

وأظـــن المـــوت دون غـــدى أين منى اليــوم مـــا زعمــوا

أدن شيئـــا أيهــــا القمــــر

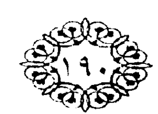
كـــاد يمحـــو نـــورك الخفـــر

أدلال ذاك أم حـــــــذر

لا تخف كيــدى ولا رصــدى أنـــت ظبــى والهــوى حــرم

*****

وإذا كانت موشحة ابن سناء الملك " وهو صاحب القدم الراســخة فى هذا الفن اقتصرت على تجربة محددة . وخيال قريب .



فإن إيليا أبو ماضى يصوغ أفكاره العميقة فى قالب الموشحات . ويخاطب نفسه معزيا إياها فالناس لا تفهمها وترميه بالجنون لأنه لا يقنع بالظواهر بل يفتش عن الأسرار الكامنة خلف النقاب " يقول من قصيدته "يا نفس" [١]

يا نفس لو كنت ترين الشؤون — كما يراها سائر الناس

لما رمانى بعضهم بالجنون — ولم أجد فى الناس من باس

*****

بالأمس مر الموكب الأكبر — فيه الفتى الراكب والناعل

وأقبلت غيد الحمى تخطر — يهتفن : عاد البطل الباسل

مالك يا هذى ألا تهتفين — لصاحب الدولة والباس؟

فقلت لى ضاحكة تسخرين — ويلك ! هذا قاتل الناس!!

ونعيمه فى قصيدته " من سفر الزمان " [٢] بين موقفه من الزمن . وفكرته عن الوجود فيستقبل عامه الجديد استقبال الفيلسوف لا استقبال الغر الساذج الذى يغرد ولا يعرف سببا لفرحته سوى أن الناس يحتفلون بهذه المناسبة وعليه أن يشاركهم أما نعيمه فيخاطب هذه السنة المقبلة فى صياغة تشبه الموشحات .

ما أنت فى سفر الزمان العظيم — إلا صدى الماضى وصوت الغد

فيك استوى من قبل أن تولدى — قطبا حياة نحن فيها نهيم

---

(١) أبو ماضى الخمائل ص ٦٣ .

(٢) م . نعيمه همس الجفون ص ٢٧ .

لا جوعهـــــــا يشـــــــبع

لا موتهـــــــا يهجـــــــع

لا طـــــــامع يقنـــــــع

فيهـــــــا ولا الزاهـــــــدون

النـــاس فـــى أســـرارها حـــائرون

والسر ، لو يـــدرون ، فـــيهم مقـــيم

- ٣ -

ومن المؤثرات التى ظهرت فى أدب المهجريين توافقهم مع حركة التجديد فى الأدب العربى المعاصر وخاصـــة اتجـــاه خليـــل مطـــران الرومانسى فى الشعر العربى الحديث فإن القصيدة عنده ذات موضوع واحد ومترابطة الأفكار والصياغة عنده تعد "جزءا من الخلق الشعرى ، فهى نحت للصور والأخيلة ومد للروابط والمبـــادلات بـــين معطيـــات الحواس المختلفة .

فمطران شاعر رومانتيكى أصيل يحاول أن يخفى تلك الرومانتيكية لشدة حساسيته وفرط محاسبته لنفسه ومعاودته لها [١] .

والمتتبع لشعر مطران القصصى وشعره فى الطبيعة ، وصـــوره الشعرية ، وصياغته يلمح هذا الشبه بينه وبـــين بنـــاء القصـــيدة عنـــد المهجريين وكأن روحا تجديدية سرت فيهما معا فتشابهت مشاعرهما.

---

(١) د / محمد مندور : خليل مطران ص ١٢ .

- ٤ -

ومن المؤثرات التى أثرت فى أدب المهجريين ما كان ثمرة الالتقاء الفكرى بين شعراء مدرسة الديوان وأدباء المهجر " ويطلق د / عبداللطيف خليف " على مدرسة الديوان اسم "جيل المذهب الجديد" ويقول " فى مطلع القرن العشرين ظهر جيل جديد من الشعراء يخالف جيل المحافظين فى فهمه حقيقة الشعر ووظيفته فقد اتجهوا بالشعر إلى التعبير عن الطبيعة وأسرارها وعن الإنسان ومشاعره ، وعابوا على الشعراء المحافظين انصرافهم بالشعر إلى تسجيل الظواهر والمعالم الوطنية أو القومية بالأسماء والحوادث " (١) .

وهذا الاتجاه فى الشعر هو اتجاه المهجريين . فهم يعبرون عن وجدانهم تعبيرا صادقا وعبد الرحمن شكرى يقول فى تصدير ديوانه.

ألا يا طائر الفردوس إن الشعر وجدان

ويقول العقاد معلنا مذهبه فى الشعر والشعراء :

الشعر من نفس الرحمن مقتبس	**والشاعر الفذ بين الناس رحمان**
إن كان فى الكون ركن للحياة يرى	**ففى صحائفه للشعر ديوان**

وكان للصلة الأدبية الحميمة التى نشأت بين العقاد ونعيمه أثر لا ينكر فى إثراء كل من المدرستين فالعقاد يذهب إلى أنه "وقع من قراءة الغربال على قرابه صحيحة وجوار ملاصق فى الحى الذى يسكنه من

---

(١) د / عبد اللطيف خليف : التيارات الجديدة فى الشعر العربى المعاصر ص١٧٤ .

هذه الدنيا الجديدة . وذلك لأنه رأى قلما جاهـدا فـي طلـب الشـعر الصحيح"(١) .

ونعيمه يقرأ كتاب الديوان ويكتب منوها بالكتاب وصاحبيه العقـاد والمازنى ويقول :

" ألا بارك الله فى مصر فما كل ما تنثره ثرثرة ولا كل ما تنظمه بهرجة ، وقد كنت أحسبها وثنية تعبد زخرفة الكلام وتؤلـف رصـف القوافى " (٢) .

ويوضح " نعيمه " حيثيات تقديره لهذه المدرسة وتجاوبـه معهـا فيؤكد أنه بدأ يسمع أن فى مصر جماعة تأبى اليوم أن تتناول غـذاءها الأدبى من قصع أجدادها وملاعق أجدادها بل تفضل أن يطبخ طعامهـا بيدها وأن تمضغه بأسنانها لا بأسنان سواها " .

وقد تبادلت هاتان المدرستان التأثير وأفادت كل منهما من الأخرى إلا أن مذهب الجيل الجديد . كان أرسخ قدما فى تقنين الأصول النقدية . حيث حدد العقاد والمازنى فى "الديوان" القيم والمعايير النقدية التى تحدد نظرتهم إلى الشعر فنادوا بالوحدة المعنوية فى القصيدة . وأكدوا علـى ضرورة الصدق الفنى والمعاناة وأن الشعر لا بد أن يرتبط بشخصـية قائله ويعبر عن وجدانه وأحاسيسه .

ويرى د / مندور أن التقاء المدرستين فى الدعوة إلى التجديد فـى الشرق العربى وفى المهاجر كان فى شعر الوجدان الذاتى والسبب " أن

---

(١) مقدمة الغربال عباس العقاد ص ٧ .
(٢) الغربال ص ١٨٣ .



المدرستين قامتا فى زمن أخذ الوعى ينتشر فيه فيعكس على الأفراد إحساسا قويا بذواتهم ورغبة عارمة فى تأكيد تلك الذوات ولاسيما أنهم قد أطلعوا على الآداب الغربية والشعر الغربى بالذات وأحسوا بنبض قائليه .

ومن ناحية أخرى فإن الشعر الغنائى هو الميدان الخصب للتجديد ولما يحوى من القيم الفنية الموروثة وزلزلة هذه القيم من أذواق الجمهور وإحلال قيم أخرى فى هذا الفن أمر جد عسير يحتاج إلى صبر وعزم وجلد على ما يواجه به الدعاة من عداوة وشحناء واحتراب حول القديم والجديد (١) .

و " العقاد " يؤكد أن المدرستين " نبعتا تلقائيا وسارتا متوازيتين ساعيتين إلى هدف موحد هو الهجوم السافر على مدرسة الأدب التقليدى والدعوة إلى أدب جديد ولا أدل على ذلك من الباعث على هذا الهدف هو ظروف متشابهة هى اتصال كل منهما بالآداب والثقافات الأوروبية ثم إحساس كل منهما بأن اتجاهات الأدب العربى التقليدى لم تكف حاجات العصر المتطور (٢) .

---

(١) د / عبد الحى دياب عباس العقاد ناقدا ص ٨٧ ، ٧٩ .
(٢) من حديث مع العقاد : المجلة عدد إبريل سنة ١٩٥٥ م .



ثانيا المؤثرات الأجنبية فى أدب المهجر :

إذا كان الأستاذ / العقاد صرح بأن سبب التقاء المدرستين هو الثورة على القديم والتأثر بالأدب والثقافات الأوروبية .

فهذا الاعتراف له دوره فى البحث عن المؤثرات الأجنبية فى الأدب المهجرى حيث جعلته يتجه إلى العمق ، ومعالجة هموم الذات ، وتأمل الحياة وخفاياها والطبيعة وما تحفل به من أسرار وسيطرة الحزن عليهم فى كثير من أشعارهم ، وشيوع المذاهب الفلسفية فى قصصهم وأشعارهم كوحدة الوجود ، والتقمص والتناسخ ، وتعدد الحيوات ، وتجدد بناء الإنسان وانتقال الأرواح من الإنسان إلى النبات ، كل هذه الأفكار السابقة كانت صدى لهذه المؤثرات المختلفة فقد أتيح لبعضهم أن يطلع على فلسفة الهنود ومذاهبهم القديمة ، والفلسفة الصينية والآداب الفرنسية والإنجليزية والروسية والأمريكية والأسبانية والبرتغالية .

ونظرا للتجمعات الأدبية التى كانوا يعقدونها والصحف التى كانوا يصدرونها انتشرت هذه الثقافات التى سرت فى أعمالهم الأدبية فقرأها زملاء لهم لم يطلعوا على هذه الآداب فقلدوها .. وتناقلت الأفكار فيما بينهم .

وربما يقرأ الإنسان قصيدة فيتأثر بمنهجها .. وتتولد فى نفسه معان كثيرة وخيالات متعددة نتيجة لقراءته وتأثره بهذا العمل الأدبى .

والشاعر رياض المعلوف يجيب على سؤال وجهته إليه فى هذا الشأن .

س : هل تعتقد سيادتكم أن الأدب الأجنبى كان له أثر فى نـزوع الأدب المهجرى إلى التأمل واستبطان أسرار الأشـياء ؟ وهـل الأدب الأمريكى خاصة ينفرد بهذا التأثير ؟

جـ : وأجاب الشاعر قائلا :

لا شك أن الأدب المهجرى تأثر بالأدب الفرنجى وفقا للبيئة التـى عاش فيها هؤلاء الأدباء والشعراء . فمثلا أدباء "الرابطـة القلميـة ـ بنيويورك تأثروا بأدباء وشعراء السكسون من أمريكيين وانكليز ، وكذا أدباء ـ العصبة الأندلسية بالبرازيل تأثروا بالأدب البورتغالى ، وفـى الشيلى والأرجنتين وفنزويلا بالأدب الأسبانى واللاتينى "(١) .

ويعترف الشاعر بأنه تأثر بالأدب الفرنسى والإنجليزى . فقد تأثر بيودلير ، وألبير سامان ، ومالا رميه ، ورامبو ، ولا مرتين . وهم من أعلام الأدب الفرنسى وأقطاب الرومانسية والرمزية فى الأدب الأوربى ، وتأثر بشيلى البريطانى ، وأونغريتى الإيطالى وفوزى المعلوف تـأثر بشاتوبريان الفرنسى ولامرتين وكذلك شفيق معلـوف تـأثر ببـودلير الفرنسى .

وهذه الاعترافات وثيقة لا جدال فيها من أحد أقطاب هذه المدرسة وليس أقوى من الاعتراف فى أمثال هذه القضايا " وتـأثرهم بـالآداب الأجنبية تعددت خيوطه وتشابكت ، ولكنهم لم يذوبوا فـى آفـاق تلـك الآداب وبقيت لهم شخصيتهم الأدبية المستقلة ـ وجاء تأثرهم قريبا من الاحتذاء.

---

(١) من رسالة أرسلها إلى الشاعر فى ١٤ ديسمبر سنة ١٩٧٧ م .

-١-

ففى أمريكا " كان الأدب ما يزال متأثرا بتلك الحركة الروحية القوية التى ظهرت على يد امرسن" ١٨٠٣ـــ ١٨٤٤ " وغيره من الشعراء الذين نزعوا فى شعرهم نحو مذهب "الترا نسند نتلزم" ومعنى هذه الكلمة العناية بكل ما هو روحى ، والسمو بالروح إلى آفاق علوية ، ومعاونة كل من يعيش بالروح ، وفى هذا ما فيه من التسامى والعلو الذى اتسمت به هذه الحركة التى يقول مؤرخو الآداب عنها إنها مظهر لاحق لحركة الرومانسية الأوروبية نفسها .

وخاصة أن كلتا الحركتين تسير على مبدأ عدم الصبر على التفكير الكلاسيكى السقيم الذى يوصف بأنه رتيب وممل .

كما أن بعض الكتاب الأمريكين ممن انتموا إلى هذه الحركة يشبهون نظراءهم من كتاب الإنجليز وهذه الحركة الأدبية التى تدعو إلى السمو والجمال الروحى والمعنوى كانت ترمى أيضا إلى تشجيع كل فرد على تتبع ملكاته الخاصة وعبقريته الكامنة فى داخله.

وهذا الاعتقاد بأهمية الفردية الشخصية هو الذى حدده ودعا إليه الكاتب الكبير امرسون وقد كان لهذه الحركة مجلة تسمى المزولة كانوا يكتبون فيها ويعبرون عن آرائهم (١) .

ومن أدباء أمريكا المشهورين والذين كان لهم أثر فى الحياة الفكرية هناك والأدبية فى ذلك الوقت والت ويتمان ، وولف والد ، وامرسون ، وهنرى دافيد ثورو .

---

(١) د / نادرة جميل السراج: شعراء الرابطة القلمية ص ١٠١ــ ١٠٢ .



وكانت اتجاهاتهم روحية خالصة . فامرسون صاحب الحركة الروحية القوية التى تحدثت عنها سابقا .

" أما والت ويتمان فقد كان ملاكا فى هيئة شاعر يتحدث بتلك النبرة التى يتحدث بها أنبياء العهد القديم وكان مشغولا بقضايا الديمقراطية والحق والعدالة " (١) .

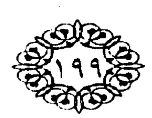
وهذه الروح التأميلة أثرت فى المهجريين .. وقد شغلوا بهذا الأدب واتصلوا ببعض الأدباء الأمريكيين فجبران كان على صلة وثيقة ببعض الشعراء الأمريكيين واشترك فى تحرير مجلة الفنون السبعة واتصل بجمعية الشعر النيويوركية التى أتاحت له أن يلقى فى اجتماع من اجتماعاتها شيئا من نتاج قلمه .

" ويكفينا هذا دليلا على أن جبران كان على صلة وثيقة بعدد لا بأس به من المنتديات الأدبية الأمريكية ، وكان بينه وبين شاعرات أمريكا وأديباتها صداقة تبلغ حد المتانة والإخلاص فى بعض الأحيان كصداقته للآنسه "مارى هاسكل" وصداقته "لبربارا يونغ" التى كتبت كتابا عنه وعن ذكرياتها معه وعن آرائه وأفكاره .

وظاهرة التسامح الدينى التى شاعت فى كتابات المهجريين وأشعارهم إنما هى صدى لهذه الروح التى سرت فى أمريكا عقب التزمت الشديد الذى سيطر على حياة الأوروبيين الذين هاجروا إلى أمريكا فارين بدينهم من الاضطهاد وسطوة الكنيسة .. وتشابهت الظروف فإن المهجريين فروا وهم يئنون من سطوة الاضطهاد الدينى

---

(١) ديوان تذكار الماضى "تذييل" ٢٦٥ .



التى اشتعلت فى بلادهم . على يد "العثمـــانيين " والصـــراع الطـــائفى المرير والمذابح التى اشتعلت فى سنة ١٨٦٠م .

ونرى " أبا ماضى يتأثر بويتمان الشاعر الأمريكى الذى كان يدعو إلى المبادئ الروحية ويتأثر بــ"ثورو" الداعى إلى الامتزاج بالطبيعة ، والحياة فى صفائها والتخلص من تعقيدات الأنظمة الحديثة وجورها على فردية الأفراد واستقلالهم النفسى .

ففى حديثه إلى قارئه " فى افتتاحية ديوانه "الجداول" نلمح ظــلالا من مطالع قصيدة الخير والشر ، والفساد والطهر ، والهزيمة والنصر ، ثم هذه المصالحة بين الروح والجسم وهى معان حفل بها ديوان الجداول كثيرا ما تتردد فى شعر " ويتمان" يقول ويتمان فى افتتاحيته :

أحتفـــل بنفســى وأتغنـــى بنفســى
وكل ما أدعيه أنا:عليك أيها القارئ أن تدعيه
لأن كــل ذرة تنتمـى إلـى تنتمـى إليــك

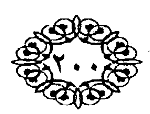
ويقول أبو ماضى فى أول ديوان الجداول :

يــا رفيقــى أنـــا لـــولا	**أنــت مــا وقعــت لحنــا**
كنـــت فـــى ســرى لمــا	**كنـــت وحـــدى أتغنـــى**

انه استطاع أن يعرف الروح السارية فـى المـوروث الشـعرى الأمريكى[1] .

---

(١) ديوان تذكار الماضى ٢٦٧ ــ أبو ماضى .



وقصيدة " ميخائل نعيمه" أغمض جفونهك تبصر " التى تدعو إلى شئ من التفاؤل بما يكون وراء المظهر الخارجى للأشياء . ربما لم تكن إلا تحليلا قصيرا لقول "لونجفلو" .

" تعز أيها القلب وكف عن الشكوى فوراء الغيوم لا تزال شمس مشرقة " .

وهى عبارة أحبها نعيمه ووصفها فى صدر إحدى مقالاته [١] "مقالة فى كتاب الغربال " .

ولكن نعيمه تبرأ من تأثره بأى مؤثرات أجنبيه فيما عدا الأدب الروسى . والحقيقة أنه تأثر بفلسفة الهنود القديمة وبالفلسفات الصينية.

إنه يخاطب "بوذا " قائلا :

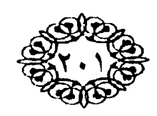
" ايه يا ساكن النرفانا : علمنى كيف أسكت سكوتك فى حضرة ما يدريك بالتأمل ولا يفسر بلغة البشر ، وكيف ألجم لسانى فى حضرة من لا شأن لهم من الكلام معى عما لا يقاس ولا يحد إلا إيقاعى فى التجربة والشماتة بجهلى .

" ألا برد لواعج روحى ولو بقطرة من رحيق النرفانا"

ويفسر " نعيمه النرفانا كما نقل عن "ادموند هومز" تفسيرا فيه قرب من فكر نعيمه نفسه وكأنه اختط لنفسه منهج النرفانا فى الحياة يقول " النرفانا حالة من حالات الكمال الروحى الأقصى التى تدركها النفس بنموها الطبيعى واتساعها وتمددها إلى حد أن تنفصل عن كل ما هو

---

(١) د / احسان عباس ، ومحمد يوسف نجم : الشعر العربى فى المهجر ص١٨٦ .



فردى وغير دائم ومتقلب فتندغم بالنفس العالمية التى ليس من حقيقة أبدية سواها [١] .

أليس المفهوم السابق للنرفانا يتفق مع قول نعيمه " فما انطلق فى الكون صوت إلا كان نوطة فى ترنيمة الحياة العامة . ولا فكر إلا كان خيطا فى نسيج الفكر الكونى " .

وقوله " فأنتم متى انفك خيالكم من أصفاده ــ لا قبل ذلك ــ تمكنتم من الوصول إلى قلب الجمال والحرية ــ إلى قلب المحبة والحق ــ إلى قلب الله [٢] .

ويتحدث نعيمه عن " وجه لا وتسو " الصينى الذى تنبأ للولاية بالخراب واضطر إلى مغادرتها واذ بلغ الحدود أوقفه الخفير قائلا "إذا كنت عازما على مغادرتنا أفلا كتبت لنا كتابا نذكرك به ! " إذ ذاك نظم لاوتسو بضعة مقاطع شعرية أودعها خلاصة اختباراته الروحية ، وسلم الجندى الكتاب ومضى فى سبيله وإلى اليوم لا يدرى أحد إلى أين يمضى".

إن حكاية هذا المعلم والفليسوف الصينى تشبه إلى حد كبير حكاية "مرداد بطل قصة "نعيمه" ولا شك أن حكايته كانت من المصادر التى نسج منها نعيمه قصة مرداد إن نعيمه يمجد فكر "لاوتسو" ويخاطبه فى شغف وتأثر بالغ .

---

(١) م . نعيمه : المراحل : ١٥ ، ١١ .
(٢) م . نعيمه : زاد المعاد ص ٢٠ .

وما أبعد فكرك عن المتناهى وأقربه من اللامتناهى حيث تقول :

اطلب الفكر المطلق "ذروة الفراغ " والرصانة (ينبوع الطمأنينة الروحية) الأشياء كلها فى حالة الصيرورة تأتى وتعود . فالنبات لا يزهر إلا ليرجع إلى الجذور . وفى رجوعه إلى الجذور اقتراب من الطمأنينة . لأنه يسير إلى الغاية . المحتومة له ، المسير إلى الغاية المحتومة كالأبدية فى معرفة الأبدية نور وفى جهلها شغب وشر من عرف الأبدية فهو مدرك ، ومن أدرك فقد اتسع أفق فكره ، ومن اتسع أفق فكره كان نبيلا ومن كان نبيلا فهو كالسماء " [1] .

أليست المعانى السابقة كلها تسرى فى أفكار نعيمه وآثارها واضحة فى كتاباته ولكن نعيمه عنده قدرة على إذابة الآثار الخارجية فى فكره وبثها فى جميع نواحيه فتبدو كأنها غير موجودة .

- ٢ -

وقد تأثر المهجريون بالنزعة الرومانسية الأوروبية " وقد نشأت الرومانسية فى أحضان الألم الذى أصاب الشبان الفرنسيين حين ضاعت آمالهم وتبددت أحلامهم التى كانو يرقبون الظفر بها فى ظل امبراطورية عظيمة على يد نابليون . فلما اخفق نابليون ساع اليأس فى قلوب الشبان الفرنسيين وأحسوا أن آمالهم تتبدد على صخرة الواقع المرير الذى تعيشه فرنسا فواجهوا نفوسهم بآمال محطمة وأحلام يائسة وقلوب حزينة ومضوا بها إلى الطبيعة المرحبة يلتمسون لديها العزاء حين يحسون رجع نفوسهم فيما توحى به من أسرار ، وحين هربوا إلى

---

(١) م . نعيمه : المراحل ص ٢٦ .

الطبيعة الحانية عاشوا معها فى وجدان حالم فرارا مـن واقـع الحيـاة القاسى المرير ، وانتقلت عدوى النزعة الوجدانية الحالمـة إلـى دول أوروبا كافة حتى صارت سمة من سمات الشعراء فى هذا العصر(١).

وتتشابه مدرسة المهجريين مع المدرسة الرومانسـية حتـى فـى أسباب التكوين ــ فالرومانسية نشأت فـى أعقـاب الثـورة الفرنسـية والمدرسة المهجرية اتضح كيانها وبرزت ملامحها بعد الحرب العالمية الأولى .

وحتى فى الفن والتصوير فهما متشابهان أيضـا إلا أن المدرسـة الرومانسية كان لها أكثر من مصور بينما كان للرابطة القلمية مصـور واحد هو جبران . ويذهب البعض إلى أكثر من هذا فيقولون إن ميخائيل نعيمة ناقد الرابطة يأخذ نفس المكانه فيها كتلك التى أخذها سانت بيـف ناقد المدرسة الرومانسية(٢) .

وقد تأثر جبران بالشاعر الإنجليزى " وليم بليك " وأعجبه من حياة بليك هدوؤه العائلى ومشاركته زوجته له فى تأملاته ومعاونتها له فـى فنه بقدر استطاعتها وتمنى جبران لو يستطيع تحقيق هـذا الحلـم هـو الأخر فيجد بجانبه فتاة أحلامه التى قد تشد أزره وتأخذ بيده(٣) .

وظهر أثر وليم بليك فى كتابات جبران واخيلته التى تجول فيمـا وراء الحسن وتجسم المعنويات ومن هذه الأساليب قوله فى كتابه "رمل

---

(١) د / عبد اللطيف خليف : التيارات الجديدة فى الشعر العربى الحديث فى مصر .
(٢) د / نادرة جميل السراج شعراء الرابطة القلمية ص١٠٢ .
(٣) السابق ص ٢٩١ .

وزبد" كنا خلقا ضالين هائمين تواقين آلاف السنين قبل أن نلهم الكلمات من البحر والريح فى الأجمات .

فأنى لنا الآن أن نفصح عن خوالى الدهور بأصوات أمسنا(١) .

وليس غريبا على جبران هذا التأثر فقد أتقن الإنجليزية . وكذلك نعيمه والريحانى وألف جبران كتبا كثيرة بالإنجليزية مما يدل على تمكنه منها مثل كتابه النبى وحديقة النبى ، ويسوع ابن الإنسان ورمل وزبد ، وألف نعيمه كتاب مرداد ، وكثيرا من قصائد الشعر باللغة الإنجليزية .

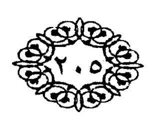
كذلك ألف الشاعر رياض المعلوف بعض دواوينه وكتبه باللغة الفرنسية مثل : تلاوين ومسامير العاج . وشعراء الخمرة والمرأة عند العرب ، وقام بترجمة بعض أشعار هؤلاء الشعراء ، وترجم شعره إلى الإيطالية والبرتغالية والأسبانية والإنجليزية .

وايليا أبو ماضى تسرى فى أشعاره روح "وليم بليك " كما سرت فى كتابات وأشعار جبران ففى قصيدته "أمنية الإلهة " يقول على لسان الآلاهه :

أريد دنيا شعاع — يبقى اذا غابت النجوم
أريد دنيا تحس نفسى — فيها نفوسا بلا جسوم
أريد خمرا بلا كؤوس — من غير ما تنبت الكروم
إريد عطرا بلا زهور — يسرى وإن لم يكن نسيم
وماء يموج ولا جدول — ونارا بلا حطب تستعر

---

(١) جبران : رمل وزبد ص ١٩ .



وتقول د / نادرة جميل السراج .

" إنى أحس بهذه الأبيات روحا من شعر " وليم بليك " الشاعر الروحى الهائم الذى تأثر به جبران زعيم الرابطة ، ويظهر أن عدوى التأمل ببليك قد سرت منه إلى بقية الزملاء [١] .

ونسيب عريضة فى ديوانه "الأرواح الحائرة " يلتقى فى مزاجه المتشائم ، وآلامه التى لا نهاية لها مع المدرسة الرومانسية . التى سيطرت على الأدب الأوروبى فى القرن التاسع عشر .

فالشاعر "هوسمان ، والكاتب والشاعر المتشائم "توماس هاردى" ، وماثيو أرنولد ، وتنيسون يقول عنهم الناقد البريطانى د / ديتشر" من الآن فصاعدا تصبح صفات الرفض والإنكار والهروب هى الاتجاهات العامة بين الشعراء . والهروب إلى الكلمات والتنكر بأسلوب الصوفية والنسك ، الرفض بأسلوب التشاؤم أو الثورة ، وديوان "هوسمان" المسمى " فتى شروبشير" ظهر فى لدندن ١٩٨٦م ثم انتشر فى الولايات المتحدة الأمريكية وطبع ثلاثا وثمانين مرة وكتب عنه كثير من النقاد.

وبالنظر إلى هذه الحقائق لسنا نستبعد أن يكون نسيب عريضه واحدا ممن قرءوا هذا الديوان وأعجبوا بالشعر والشاعر ، إذ نلحظ الكثير من وجوه الشبه بينه وبين هوسمان "كلاهما كان متشائما متحيرا وخائب الأمل ، وكلاهما كان يسأل الناس أن يتركوه وحده ويعطوه الفرصة للتأمل والتحليق " .

---

(١) د / نادرة جميل السراج : شعراء الرابطة القلمية ص ٢٢٧ .

وكثيرا ما كان " هوسمان " يتحدث إلى نفسه مثل عريضة وبقيـــة "المهجريين" ولكى يؤكد أهمية هذه النفس يقول "هوسمان"

" وإذا نالك الأذى من يدك أو من قدمك ، اقطعها وعش صـــحيحا ولكنك كرجل يقضى عليك إذا كان المرض فى نفسك أو فى روحـــك " ولكن بينما يحتقر هوسمان النفس المريضة فإن نسيبا يجاهد لكى يجـــد لها علاجا " .

أنفسى ألم تصبرى فى الحياة　　سوى الليل واليأس والمنكرات؟
فهلا نظرت إلـــى المفرحـــات　　وطرت إلى الروض والغانيات

****

ذممت الحياة ولـــم تعرفيهـــا　　فهلاتناديت،ماأنتفيهاسوى زائره[١]

وحين نقارن بين موقف المهجريين من الموت وموقف بـــودلير . نرى توافقا فى النظرة إليه وقد اعترف "الشاعر رياض المعلوف " بأنهم تأثروا ببودلير ورامبو ، وشاتوبريان ، ومالارميه فبودلير يقول "العـــالم ممل وصغير اليوم وأمس وغدا " وبعد الوت مخلصا له من واقع الحياة المريرة فقصيدته "المرحلة" التى تضمنها ديوانه "أزهار الشر تجرب كل محاولات الخلاص لكى تصمم فى النهاية على الموت أما مـــا يجلبـــه الموت فهو شئ لا ندريه فالمهم هو السفر فى حد ذاته وأمـــا الشـــاطئ المجهول فلا أهمية له .

---

(١) د / نادرة جميل السراج : نسيب عريضه :الكاتب الشاعر الصحفى .

يقول :

يــا مــوت ! .. أيهــا المــلاح العجــوز
آن الأوان فـــــارفع المرســـــاه!
مللنا المقام هنا ، يا مــوت فعجــل بــالرواح
إن يكن قد أدلهــم ســواد البحــر والســماء
فان قلوبنا التى تعرفها يفيض منها الضياء(١)

أليس القول السابق قريبا من قول " رياض المعلوف "

إنما الحظ قسمة فى البرايــا	**شؤم حظى يبدو على قسماتى**
من حولى الحفاريهمس همسا	**فسمعت الحفار يروى ممـــاتى**
إن ثغرى سلا التبســم لكــن	**عند موتى تجددت بســماتى**(٢)

وهل يبعد قول "بودلير" عن قول فوزى المعلوف :

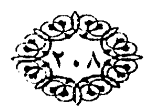
الآن يا مــوت إلــى اقتــرب	**يا مرحبــا بــالموثق المعتــق**
معتق نفسى من قيود الأســى	**موثق جسمى فى المدى الضيق**

ويرى صورة الموت فى الطبيعة فيقول :

برعم الزهر ما وجدت لتبقــى	**بــل ليمضــى بــك الخريــف**
هذه حالنــا خلقنــا لنشــقى	**ولتقضـــى بنـــا الحتـــوف**(٣)

---

(١) د/ عبد الغفار مكاوى : ثورة الشعر الحديث ص ٨٦ .
(٢) رياض المعلوف : الأوتار المتقطعة ص ١٠ .
(٣) شعله العذاب لفوزى المعلوف " مخطوطه " ارسلها إلى الشاعر ريــاض المعلوف .



وتأثر جبران خليل جبران بأسلوب نيتشه وطريقته الخاصة التى اتبعها فى كتابه " كذا تكلم زرادشت " وعرف كيف يلتقط فن نيتشه ، ودفعه الإعجاب به إلى أن يحاول أن يكون هو نيتشه جديدا [١].

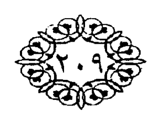
وكما أجرى نيتشه تعاليمه على لسان زرادشت أجرى جبران تعاليمه على لسان " المصطفى " وظل جبران متأثرا بأساليب نيتشه وطريقته فى التعبير والمصطفى عند جبران هو "المختار" والنبى حسب عقيدته المسيحية .

وميخائيل نعيمه ونسيب يتأثران بالأدب الروسى وذلك نتيجة لتلقى العلم وهما فى مراحلهما الأولى بالمدارس الروسية . ودراسة نعيمه فى جامعة "بلتافا" واطلاعه على نتاج الأدباء الروس أمثال "جوركى وتشيكوف، وبيلنسكى ، وبوشكين ، وتكراسوف ، ويقول فى كتابه "أبعد من واشنطون ومن موسكو" أطلعت على الكآبة العميقة فى النفس الروسية نتيجة للقلق المستبد بها من حياة مقنعةُ العينين ، مكبلة اليدين والرجلين ، وللشوق المتأجج فيها إلى حياة تبصر طريقها وتسير فيه نشطة آمنه ومؤملة .

ويبدو هذا التأثر فى قصص نعيمه ذات المغزى الاجتماعى المتعاطف مع الكادحين من الشعب ، فهو يكتب عن العامل "أبى بطة" وعن "مسعود ، وعن تكريم الصحفيين وعن ، ستوت " وعن الشباب

---

(١) د . ثروت عكاشة : رمل وزبد ص ٨ .



الثائر ، ويدعو إلى محاربة اللظلم الاجتماعى والثورة على المستغلين والمرابين [١].

وقد استمد نعيمه من الأدباء الروس والنقاد .. أشياء كثيرة أثرت فى تفكيره فيما بعد .

والنهر المتجمد " الذى وصفه نعيمه فى قصيدته إنما يرمز إلى حياة الشعب الروسى المتجمدة والتى يهيمن عليها القيصر الروسى ، واستطاع نعيمه أن يصور مشاعره تجاه هذا الشعب ثم آماله فى الغد المشرق الذى يرجوه له ، ولكنه فى نهاية القصيدة يعدل عن الشعب إلى القلب فيقول :

يا نهر ذا قلبى أراه كما أراك مكبلا
والفرق أنك تنشط من عقالك وهو لا

وبرغم هذا العدول المفاجئ عن فكرة القصيدة يظل نعيمه متعلقا بروح سرت فى أدبه مستمدة من الأدب الروسى .

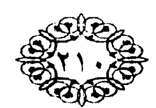
ويؤكد نعيمه هذا التأثر وهذا التقدير بعد تصفحه لمجلة الفنون التى أصدرها نسيب عريضه .

* وفى صحيفة الفنون حرص نسيب على ترجمة بعض القطع النثرية والشعرية من الأدب الروسى .

وبنظرة إلى عناوين القطع المختارة سواء من الشعر أو النثر ، تتضح لنا الحالة المسيطرة على مزاج نسيب ، وتشاؤمه ووحدته .

---

(١) تحدثت بالتفصيل عن هذا الاتجاه عند نعيمه فى الفصل السابق ، وكذلك عن أصداء المذاهب الأدبية فى الأدب الحديث.



ابتعادا عن مشاكل الحياة اليومية إلى عالم من الذاتية ، أى فى اتجاه الهروب . وهذه الملامح فى طبيعته امتزجت جيدا مع نغمة الحزن وطبيعة الكآبة التى سيطرت على الكثيرين من الشعراء والكتاب الروس ، الذين وقع نسيب تحت تأثيرهم عندما كان حدثا ثم شابا يحاول أن يتحرر من القلق ومتاعب الحياة ، ففى قطعة النوم المنية مثلا ، يرى الكاتب الروسى "سولوغوب" أن العالم الذى نحن فيه عالم شرير وقبيح، والحل الوحيد للإنسان أن يتراجع أو يهرب إلى عالم من الأحلام ، عالم من الانسجام والهدوء .

وفى قطعة أخرى من الشعر الحر بعنوان "الموت" لزعيم الحركة الرمزية فى الأدب الروسى الكاتب "موشكوفسكى" يشجع الكاتب على الترحيب بالموت كأفضل هبة منحتنا إياها الطبيعة . وهو يرى أن طهارة الجسم وطهارة الروح يجب أن تجتمعا وتتمم إحداهما الأخرى، حتى نصل إلى هدف التاريخ البشرى [١] .

ويتأثر شفيق المعلوف ورياض المعلوف وفوزى المعلوف بالأدب البرتغالى ويؤلفون بعض دواوينهم بالبرتغالية ، ويترجمون بعض القصائد منها " أسطورة " يارا التى ترجمها شفيق ويكتب شفيق معلوف عن ألف ليلة وليلة ، وعن جسور الاتصال بين العرب والغرب ، وعن الأدب الفارسى .. وعن الأدب الهندى .. مما يدل على ثقافة متمكنة .. ولا شك أنه تأثر بهذه الاتجاهات التى كتب عنها .. فى خواطره

---

(١) المصدر السابق : ١٦٥ .

النثرية، وأشعاره بكتابه "ستائر الهودج" روح من حافظ الشيرازى وصدى لأغانية التى يناجى بها محبوبته : يقول حافظ الشيرازى [1].

ما أكثر المخاطر فى دروب الحب ألم أقل لك يا قلبى أن تبتعد عن ضفائرها .

فقد وقع حتى النسيم فى أشراكها !

لا مست الكأس شفتيك ذات مساء فقالت : أنا الحياة مع أنك أنت تهبين الحياة للكؤوس . [2]

ويقول شفيق [3] :

وكان شعرك عند كل لفتة يتردد بينك وبينى

كغدائر صفصافة يدفعها النسيم عنها

فتجذبها إليها الأغصان

فى محياك ما فى الأرض والأفق من أضواء

أنت تجذبين يدى فيبهرنى البهاء

إن قبلتى الأولى لن يقطفها سواك .

إن نفسية شفيق المعلوف تلتقى مع نفسية حافظ الشيرازى الذى يقول :

"إن براعم روحى لن تفتح مالم أضم حبيبتى بين ذراعى

أنا شمعة تحترق ! "

---

(١) جورج صيدح : أدنيا وأباؤنا .
(٢) شفيق المعلوف : حبات زمرد ص ١١٥ .
(٣) ستائر الهودج : ص ١١ ، ٣٤ .

" يوم غاب ركبها اغرورقت عيانى بالدمع . وما زالتا تجودان به حتى طنت في مسامع قلبى أجراس القافلة المؤذنة بالعودة "(١)

ولا شك أن هذه المؤثرات كلها أفادت الأدب المهجرى ، واكسبته خبرة واسعة جعلته يرقى إلى مستوى عال فى الفكر والتعبير ، مع ما تمتع به هؤلاء الأدباء الذين هاجروا من بلادهم من مواهب قوية ونفوس حائرة ، وأرواح شفافة وعقول قادرة على التلقى والتمحيص والإبداع ، وهذا ما يؤكده جورج صيدح حين يوضح السر فى تفوقهم ويقول إنه الموهبة الفطرية لا الثقافة .

ويرى الدكتور مندور " أنهم قوم مثقفون قد امعنوا النظر فى الثقافات الغربية التى لا غنى لنا اليوم عنها ،وعرفوا كيف يستفيدون منها فى لغاتها الأصلية "(٢) وأرى أن الثقافة تضافرت مع الموهبة ، مع العوامل النفسية ، والتجارب التى خاضوها ، فصنعت هذا الأدب الذى التقت فيه حضارة الشرق بحضارة الغرب وروحانية الشرق بمدنية الغرب وماديته . فهو أدب كما يقول جورج صيدح .

" طبعت شمس الغرب ألوانها على أوراقة أما لبه فيختلج بنسمات الصحراء " .

وهذا الامتزاج الفنى بالآداب المتعددة يعد ميدانا فسيحا ، وحقلا خصيبا من حقول " الأدب المقارن " وهو حقل الإبداع الفائق بالتجارب الإنسانية العميقة.

---

(١) حبات زمرد : ص ١١٥ .
(٢) د / محمد مندور فى الميزان الجديد ص ٨٥ .



الخاتمة

• بعد هذا التطواف والتنقيب عن الجذور البعيدة، ومحاولات الكشف عن أضواء جديدة فى حقل الدراسات المقارنة أقول :

• إن ميادين الأدب المقارن متشعبة المحاور والأبعاد والزوايا ، وما تزال آثار الثقافة العربية والإسلامية تحتاج إلى رصد متأن، وحياد كامل، ودقة علمية موضوعية حتى تزول هذه الغشاوة الكثيفة التى حجبت عن أبصار أدبائنا فى القرن العشرين آفاق الثقافة الإسلامية .. والعربية .. ومدى دورها فى شحذ ملكات الأدباء فى مناطق كثيرة من العالم على مر العصور •

• وقدم العلماء المنصفون جهودا لا تنكر فى مضمار الكشف عن تفاعل الثقافة الإسلامية والعربية ـ مع غيرها من ثقافات الأمم والشعوب•

• وفى ميدان هذه الجهود التى تحتاج إلى رصد..ومتابعة..ومناقشة وتفاعل علمى حضارى متجدد يقدم الدكتور/ الطاهر أحمد مكى كتابه .. الذى يمثل إشارة ضوئية تفتح الطريق لارتياد آفاق جديدة فى المقارنة بين الآداب .. وهو : مقدمة فى الأدب الإسلامى المقارن •

• والكتاب يرصد السمات والملامح المشتركة بين آداب الشعوب الإسلامية الناطقة بغير العربية ويقول مؤلف الكتاب "الأدب الإسلامى غنى ثرى، ونقاط اللقاء بين ألوانه كثيرة، والمشابهات وفيرة •



- وإذا كان منظرو الأدب المقارن يتجاوزون الغاية الجمالية وهى ليست هدفه الأول، ويرونه علما مفيدا، يهدف إلى اجتثاث العصبيات الإقليمية والقومية ، أو التخفيف من غلوائها فى أضعف الحالات ، فإن الإسلام دينا يجعل من الفكر الإسلامى الوشيحة الأقوى، والرابطة الأقوى، والأسمى التى تنهض عليها دعائم الدولة الإسلامية، وبهذا سبق الإسلام الأدب المقارن فى غايته، وسوف يجد فيه وسيلة أدبية مثمرة، يحقق بها بعض ما يرنو إليه من السمو بالمشاعر الإنسانية فوق الجنس واللون واللغة"[1].

- وكتاب "أثر الإسلام فى الأدب الأسبانى" من تأليف الدكتورة "لوثى لوبيث" وهى تقوم بالتدريس فى جامعات "أمريكا اللاتينية، وأمريكا الشمالية مثل جامعة "هارفارد ، وجامعة "بيل" وقد بذل الدكتور /حامد أبو أحمد، ود/ على عبدالرءوف اليمنى جهدا مشكورا فى ترجمة هذا الكتاب ويقول د/ حامد فى ختام مقدمة هذا الكتاب "ونحن نرجو أن نكون بترجمتنا لهذا الكتاب قد أدينا خدمة واجبة لثقافتنا العربية الإسلامية التى ما زال الكثيرون من أبنائها يتهمونها بالقصور فى وقت ينشط فيه الأجانب للكشف عن الجوانب المضيئة فى هذه الثقافة وتأثيراتها القوية على ثقافات العالم"، وتقول المؤلفة إن استقصاء كل آثار الإسلام فى الأدب الأسبانى مهمة تحتاج لكثير من المجلدات ولأجيال كثيرة من الدارسين، وآمل أن تشكل هذه الدراسات نموذجا دالا على ما كان للإسلام من تأثير عظيم على الإبداع الأسبانى ، والإسبانى ــ الأمريكى "

---

(١) انظر : مقدمة فى الأدب الإسلامى المقارن د/ الطاهر أحمد مكى / دار عيد للدراسات والبحوث ١٩٩٤م .



على امتداد العصور المختلفة، وأن تكون مؤشرا على أن ثمة مهمة كبيرة تنتظرنا فى مجال الدراسات المقارنة"[١].

• وكتاب "الأدب المقارن والتراث الإسلامى "للدكتور / عبدالحكيم حسان يقدم وجها جديدا للأدب المقارن وهو "أدب الرسائل والوصايا .. والفنون النثرية التراثية .. ويقول المؤلف وهو من رواد الأدب المقارن ٠

• " لقد أقامت الحضارة الإسلامية نوعا من الوحدة بين آداب الشعوب الإسلامية رغم ما احتفظت به هذه الآداب من عناصر ثقافية قومية لم تتعارض مع مبادئ هذه الحضارة ، وبهذا كان للحضارة الإسلامية سمتان : الوحدة والتنوع ٠

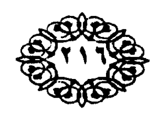
• فسمة الوحدة هى مظهر العالمية فى الآداب الإسلامية ، وسمة التنوع هى مظهر القومية، فى كل أدب منها، والعالمية والقومية .. تشكلان أرضا بالغة الخصوبة لقيام دراسات مقارنة مثمرة يرجى أن تسلط أضواء كاشفة على طبيعة التراث الأدبى الإسلامى، وعلى العلاقات التى ربطت بين بعض الآداب الإسلامية وبعض وبذلك تزول الحجب، وتتضح الرؤية ، ويجعل الله لهذه الأمة نورا تمشى به فى الناس[٢].

• فهل نحقق أصالتنا ، ونعثر ـ من جديد ـ على هويتنا ؟ ونجسد رغبة أمتنا العربية والإسلامية فى تجديد فكرها ، والتهام التراث

---

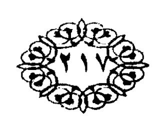
(١) انظر: أثر الإسلام فى الأدب الأسبانى/ تأليف د/ لوثى لوبيث : بارالت : ترجمة د/ حامد أبو أحمد ، ود/ على اليمنى مركز الحضارة العربية سنة ٢٠٠٠م ٠

(٢) انظر: الأدب المقارن والتراث الإسلامى د/ عبدالحكيم حسان مكتبة الآداب ـ القاهرة ١٩٩٨م ٠



الإنسانى، والانفتاح على الثقافة العالمية ، والاستفادة من التيارات الوافدة، والأخذ منها بقدر ، وبما يناسب مزاجنا، وبيئتنا مع الحفاظ على اســتقلال شخصيتنا الأدبية ؟ وإلا أصبحنا فى خضم انبهارنا بالثقافات الوافدة، كمن أراد أن يغتسل بماء النهر، فغرق فيه، أو مثل من يلبس قناعا ظنا منه أنه سيخفى ملامحه الحقيقية، فإذا به يثير سخرية الآخرين،وليس بعــد هــذا امتهان للنفس، وإهدار لقيمة الذات؟!!

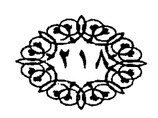
د/ صابر عبد الدايم



المؤلف فى سطور

أ.د/ صابر عبدالدايم يونس

* مواليد محافظة الشرقية بمصر ١٥ / ٣ / ١٩٤٨م ٠
* دكتوراه فى الأدب والنقد مع مرتبة الشرف الأولى من كلية اللغة العربية بالقاهرة جامعة الأزهر سنة ١٩٨١م ٠
* عضو مجلس إدارة اتحاد كتاب مصر ، ومقرر لجنة فروع الاتحاد بالمحافظات، وعضو لجنة الشعر باتحاد الكتاب ٠
* عضو رابطة الأدب الإسلامى العالمية ٠
* رئيس مجلس إدارة جمعية الإبداع الأدبى والفنى بمحافظة الشرقية سابقا ٠
* عضو مجلس تحرير مجلة الثقافة الجديدة بمصر، ومستشار التحرير لمجلة أوراق ثقافية ومجلة : اصوات معاصرة ٠
* عضو مجلس إدارة مجلة : صوت الشرقية ٠
* عمل أستاذا مشاركا بجامعة أم القرى فى الفترة من ١٩٨٤ ــ ١٩٨٨م ٠
* حصل على درجة الأستاذية فى الأدب والنقد عام ١٩٩٠م ٠
* وكيل كلية اللغة العربية ــ فرع جامعة الأزهر بالزقازيق "٣ فترات " فى الأعوام ٩٢/ ٩٣ / ٩٤" ثم من ٢٠٠١م ٠
* عمل أستاذا زائرا بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية فى الفصل الدراسى الثانى من عام ١٤١٣هـ ــ ١٩٩٣م ٠



* عمل أستاذا فى كلية اللغة العربية ـ جامعة أم القـــرى ـ مكـــة المكرمة ـ قسم الأدب ـ وقسم الدراسات العليا فى المـــدة مـــن ١٩٩٤ م ـ ٢٠٠٠م ٠

* شارك فى كثير من المؤتمرات الأدبية والشعرية فى داخل مصـــر وخارجها ، ومنها:

ـ مؤتمر العقاد بأسوان ١٩٩٠م ـ مؤتمر د.زكى مبارك عام ١٩٩١م٠

ـ مؤتمرات أدباء مصر فـــى الأقـــاليم : بأســوان ســنة ١٩٩٠م ، وبورسعيد ١٩٩١م والإسماعيلية ١٩٩٢ ، ومؤتمر العريش ١٩٩٣ ومؤتمر الفيوم عـــام ٢٠٠١م والمؤتمـــر العـــام لأدبـــاء مصـــر بالإسكندرية ٢٠٠٢م ٠

ـ أمين عام مؤتمر الأدباء الثانى بالشرقية الذى أقامته وزارة الثقافـــة بالزقازيق أبريل ٢٠٠٢م٠

ـ مهرجان الهيئة العامة للكتاب سنة١٩٩٢ ـ ١٩٩٣م ٠

ـ مؤتمر الأدب الإسلامى بجامعة عين شمس سنة ١٩٩٢م ٠

ـ مؤتمر الأدب الإسلام بمدينة استانبول بتركيا ١٩٩٤م ٠

ـ مهرجان الانتفاضة باتحاد كتاب مصر عام ٢٠٠٢م ٠

ـ مؤتمر الجنادرية بالسعودية سنة ١٩٩٣ ـ ١٤١٣هـ ٠

ـ مؤتمر الجنادرية بالسعودية سنة ٢٠٠٣م ـ ١٤١٣هـ٠

ـ مؤتمر الأدب الإسلامى فى القاهرة ٢٠٠٢م ٠

ـ مؤتمر "الاتحاد العـــام للكتـــاب العربـــى بتونـــس " ســـنة ٢٠٠٣ "وموضوعه" التضامن والتكافل فى الحضارة العربية والإسلامية ٠

* أشرف على عديد من الرسائل الجامعية فى مرحلتى الماجستير والدكتوراه فى مصر والسعودية منذ عام ١٩٨٥م ٠

* عضو اللجنة الدائمة لترقية الأساتذة ، والأساتذة المساعدين بجامعة الأزهر منذ عام ١٩٩٨ " لجنة المحكمين " ٠

* مدير تحرير " المجلة العلمية لكلية اللغة العربية بجامعة الأزهر عام ٩٢ ــ ٩٣ ــ ٩٤م ٠ ثم من عام ٢٠٠١ حتى الآن ٠

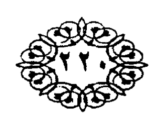
* رشحه اتحاد كتاب مصر للمشاركة فى مؤتمر " التكافل الاجتماعى فى الإسلام" الذى أقيم بتونس فى يناير سنة ٢٠٠٣م ٠

* ناقش كثيرا من الرسائل الجامعية فى جامعة الأزهر ، وجامعة الزقازيق بمصر وجامعة أم القرى، وجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية . والجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة وكلية التربية للبنات بجده ــ ومعهد الدراسات الإسلامية بالقاهرة ٠

* مؤسس الصالون الأدبى بالشرقية . ويعقد بمنزله شهريا فى مدينة الزقازيق ــ مصر ٠

* يشارك فى البرامج الأدبية والدينية فى إذاعات مصر ــ البرنامج العام ــ صوت العرب ــ البرنامج الثقافى ــ إذاعة القرآن الكريم .. وغيرها ٠

* يشارك بالأحاديث والحوارات الأدبية والفكرية والدينية فى قنوات التليفزيون .. الرابعة والثانية، والسادسة .. والأولى .. وبعض القنوات الفضائية ٠



* نشر نتاجه الإبداعى والنقدى فى كثير من المجـــلات والجرائـــد المصرية والعربية . ومنها : الأهرام ــ الأخبار ــ الجمهورية ــ عقيدتى ــ آفاق عربية ــ الأزهر ــ صوت الأزهر ــ الشـــرق الأوسط ــ الهلال ــ إبداع ــ الشعر ــ الندوة بمكـــة ــ المدينـــة السعودية ــ الثقافة بدمشق ــ الأنباء بالكويت
* فاز فى كثير من المسابقات الشعرية فى مصر والسعودية ٠
* كتبت عنه دراسات عديدة فى المجلات والدوريات المتخصصة ٠
* يشارك فى تحكيم كثير من المسابقات الأدبية فى الشعر والقصـــة والبحوث والمقالة ، وشارك فى لجان ترقية الأساتذة ، والأســـاتذة المساعدين فى مصر والسعودية ٠
* رشحه مجلس جامعة الأزهر لنيل جائزة مبارك فى الآداب لعـــام ٢٠٠٣م، وجائزة سلطان العويس عام ٢٠٠١م ٠
* حصل على درع التكريم من وزير الثقافة فى مصر لجهوده فـــى خدمة الحركة الأدبية عام ١٩٩٣م ، كما حصل على درع التكريم فى مؤتمر الأدباء بالشرقية عام ٢٠٠٢م ٠
* تم ترشيحه لنيل جائزة سلطان العويس فى الشعر من قبل جامعـــة أم القرى عام ١٩٩٨م ٠

((المؤلفات الإبداعية والأدبية والنقدية))

أولا : دواويـن شعريـة :

١ - ديوان " نبضات قلبين " بالاشتراك مع عبدالعزيز عبدالدايم ، عام ١٩٦٩ مطبعة الموسكى بالقاهرة ٠



٢ – ديوان " المسافر فى سنبلات الزمن " عام ١٩٨٢م مطبعة الأمانة بالقاهرة٠

٣ – ديوان "الحلم والسفر والتحـول " عـام ١٩٨٣م وزارة الثقافـة بمصر ٠

٤ – ديوان " المرايا وزهرة النار " ، الهيئة العامة للكتاب بالقـاهرة ١٩٨٨م ٠

٥ – ديوان " العاشق والنهر" ، الهيئة العامة لقصور الثقافة بالقـاهرة ١٩٩٤م٠

٦ – ديوان " مدائن الفجر " نشر وطبـع "رابطـة الأدب الإسـلامى العالمية" دار البشير ـ عمان ـ الأردن ١٩٩٤م ٠

٧ – مسرحية " النبوءة" مسرحية شعرية (مخطوطة) ٠

٨ – ديوان " العمر والريح " نشر الهيئة العامة للكتاب بالقاهرة عـام ٢٠٠٣ سلسلة الإبداع الشعرى ٠

ثانيا : كتب أدبية ونقدية :

١ – مقالات وبحوث فى الأدب المعاصر. دار المعارف بالقاهرة عام ١٩٨٢م٠

٢ – محمود حسن إسماعيل بين الأصالة والمعاصرة . دار المعـارف بالقاهرة عام ١٩٨٤م ٠

٣ – الأدب الصوفى : اتجاهاته وخصائصه . دار المعارف بالقـاهرة عام ١٩٨٤م٠

٤ – فن كتابة البحث الأدبى والمقال . بالاشتراك مع أ.د/ محمد داود ود/ حسين على محمد . مطبعة الأمانة بالقاهرة عام ١٩٨٤م ، ودار هبة النيل بالقاهرة سنة ٢٠٠١م.

٥ – من القيم الإسلامية فى الأدب العربى . مطابع جامعة الزقازيق عام ١٩٨٨م

٦ – التجربة الإبداعية فى ضوء النقد الحديث . مكتبة الخانجى بالقاهرة عام ١٩٨٩م .

٧ – الأدب الإسلامى بين النظرية والتطبيق . دار الأرقم بالزقازيق ، عام ١٩٩٠م و" دار الشروق بالقاهرة عام ٢٠٠٢م الطبعة الثانية

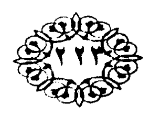
٨ – الأدب المقارن " دراسات فى المصطلح والظاهرة والتأثير " مطبعة الأمانة بالقاهرة ١٩٩٠م ط ١ .

٩ – موسيقى الشعر العربى بين الثبات والتطور . مطبعة الخانجى بالقاهرة ١٩٩٢م .

١٠ – أدب المهجر . دار المعارف بالقاهرة ١٩٩٣م .

١١ – تاج المدائح النبوية ، [شرح قصيدة البردة : لكعب بن زهير] رؤية نقدية معاصرة دار هديل للنشر بالزقازيق / مصر ١٩٩٤م.

١٢ – الحديث النبوى " رؤية فنية جمالية " . دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر بالإسكندرية ١٩٩٩م .



١٣ - " شعراء وتجارب " نحو منهج تكاملى فى النقد التطبيقـى . دار الوفاء بالإسكندرية ١٩٩٩م .

١٤ - الأدب العربى المعاصر بين التقليـد والتجديـد ـ الزقـازيق ٢٠٠٠م .

١٥ - فن المقالة ـ بالاشتراك ـ دار هبة النيل بالقاهرة ٢٠٠١م .

ثالثا : كتب تحت الطبع :

١ - ديوان " الإمام الشيخ : محمد متولى الشعراوى" جمع وتحقيـق ودراسة فنية "دار أخبار اليوم .

٢ - الشعر الأموى فى ظل السياسة والعقيدة .

٣ - هاشم الرفاعى : شاعر العروبـة والإسـلام : نشـر الثقافـة الجماهيرية بوزارة الثقافة.

٤ - الدليل إلى أهدى سبيل فى علمى الخليل : مكتبة الفتح بالقاهرة .

٥ - ديوان " الأعمال الكاملة " .

رابعا : ما كتب عنه :

١ - كتاب " أبعاد التجربة الشعرية فى شـعر د/ صـابر عبدالدايـم ١٩٩٢م" د/صادق حبيب ، نشر دار الأرقم بالزقازيق ـ مصـر

٢ - مبحثان فى كتاب " القرآن ونظرية الفن " للدكتور / حسين علـى محمد ، مطبعة حسان ١٩٩٢م .



٣ - دراستان فى كتابى : دراسات نقدية ، وجماليات النص ، للدكتور / أحمد زلط ــ دار المعارف ــ مصر ٠

٤ - بعض الدراسات النقدية فى مجــلات : كليــة اللغــة العربيــة بالزقازيق، وكلية اللغة العربية بالمنوفية ، ودمنهور ، وفى مجلة الشعر بالقاهرة، وجريدة المسلمون الدوليــة، ومجلــة الخيريــة بالكويت، ومجلة الأدب الإسلامى، ومجلة الهلال ومجلة صــوت الشرقية ــ والأسبوع ــ ومجلة المجتمع بالكويت٠

٥ - دراسة نقدية فى كتاب " الورد والـــهالوك " للدكتــور/ حلمــى القاعود ، جامعة طنطا ــ مصر ٠

٦ - أعدت عنه رسالة ماجستير فى كلية اللغة العربيــة بــالمنصورة عنوانها "صابر عبدالدايم شاعرا" قام بإعدادها الباحث الشــاعر " البيومى محمد البيومى " ٠

٧ - أعدت عنه رسالة دكتوراه فى الأدب الإسلامى المقارن ــ بيــن الأدب العربى والماليزى .. " بالجامعة الإســـلامية بماليزيــا : وذلك بالمشاركة مع الشاعرين "حسين على محمد " و " أحمــد فضل شبلول" ، وثلاثة شعراء من ماليزيا . وأعدها الدكتــور / علاء حسنى من "سوريا"٠

* اختارته لجنة تراجم أشهر الشعراء فــى العــالم الإســلامى ــ للترجمة له والتنويه بأدبه وشعره فى كتاب : تراجم الشعراء فــى العالم الإسلامى، وطبع على نفقة الجامعة الماليزية عام ٢٠٠٠م ٠

* شارك فى الكتاب التذكارى الذى أصدرته كلية الآداب بجامعة الكويت " لتكريم الناقد والشاعر أ.د/ عبده بدوى ٠

* كتبت عنه ترجمة وافية مع نماذج من أشعاره فى : معجم البابطين للشعراء المعاصرين٠

* قررت بعض قصائده .. ودرست فى الجامعات المصرية .. والسعودية

* كتبت عنه دراسات كثيرة ترصد معالم التجربة الشعرية.والجهود النقدية بأقلام أساتذة متخصصين ــ وأدباء مرموقين ومنهم:

د/ عبدالحكيم حسان، د/ طه وادى ، د/ حامد أبو أحمد ــ د/ محمد عبدالمنعم خفاجى ــ د/على صبح ــ د/ حسين على محمد ــ د/ حلمى القاعود ــ د/صادق حبيب ــ د/ أحمد زلط ــ د/عبدالله الزهرانى "السعودية" ــ د / سيد الديب ــ د/محمد بن سعد بن حسين "السعودية ــ د/صلاح الدين حسنين ــ د/ فتحى أبوعيسى ــ د/ ناجى فؤاد بدوى ــ د/ محمد السيد سلامة ــ د/ طه زيد ــ أ./على عبدالفتاح "الكويت" أ. حيدر قفه "الأردن" ــ د/ حسن الأمرانى "المغرب" أ.أحمد محمود مبارك ، أ. البيومى محمد عوض ــ د/ أحمد حنطور ــ د/علاء حسنى "ماليزيا" أ . أحمد فضل شبلول . أ/ أحمد سويلم ــ د/ عزت جاد ــ د/سعد أبو الرضا ــ د/ محمد بن مريس الحارثى "السعودية" أ.مصطفى النجار "سورية" د/ المنجد العراقى " ماليزيا " ــ د/ محمد مصطفى سليم ، أ. مأمون غريب ٠

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
المقدمة	٣
الفصل الأول : الأدب المقارن أضواء على المدلول والنشأة	٩
الفصل الثانى : ظاهرة التلاقى بين الآداب عواملها ... وثمارها	٣٧
الفصل الثالث : تراثنا الأدبى والعلمى يؤثر فى الآداب الأوربية وفـــى النهضـــة العلمية الحديثة	٦٦
الفصل الرابع : أثر الثقافة العربية والإسلامية فى الأدب الألمانى " جوته أنموذجا " ١٧٤٩ ــ ١٨٣٢م	٨٩
الفصل الخامس : أصداء الثقافة العربية والإسلامية فى الأدب الروسى	١١٣
الفصل السادس : أصداء المذاهب الأدبية الأوروبية فى الأدب العربى الحديث	١٤٧
الفصل السابع : المؤثرات الأدبية وأثرها فى التجربة التأملية عند أدباء المهجر	١٧٢
الخاتمة	٢١٣
المؤلف فى سطور	٢١٧
فهرس الموضوعات	٢٢٦